

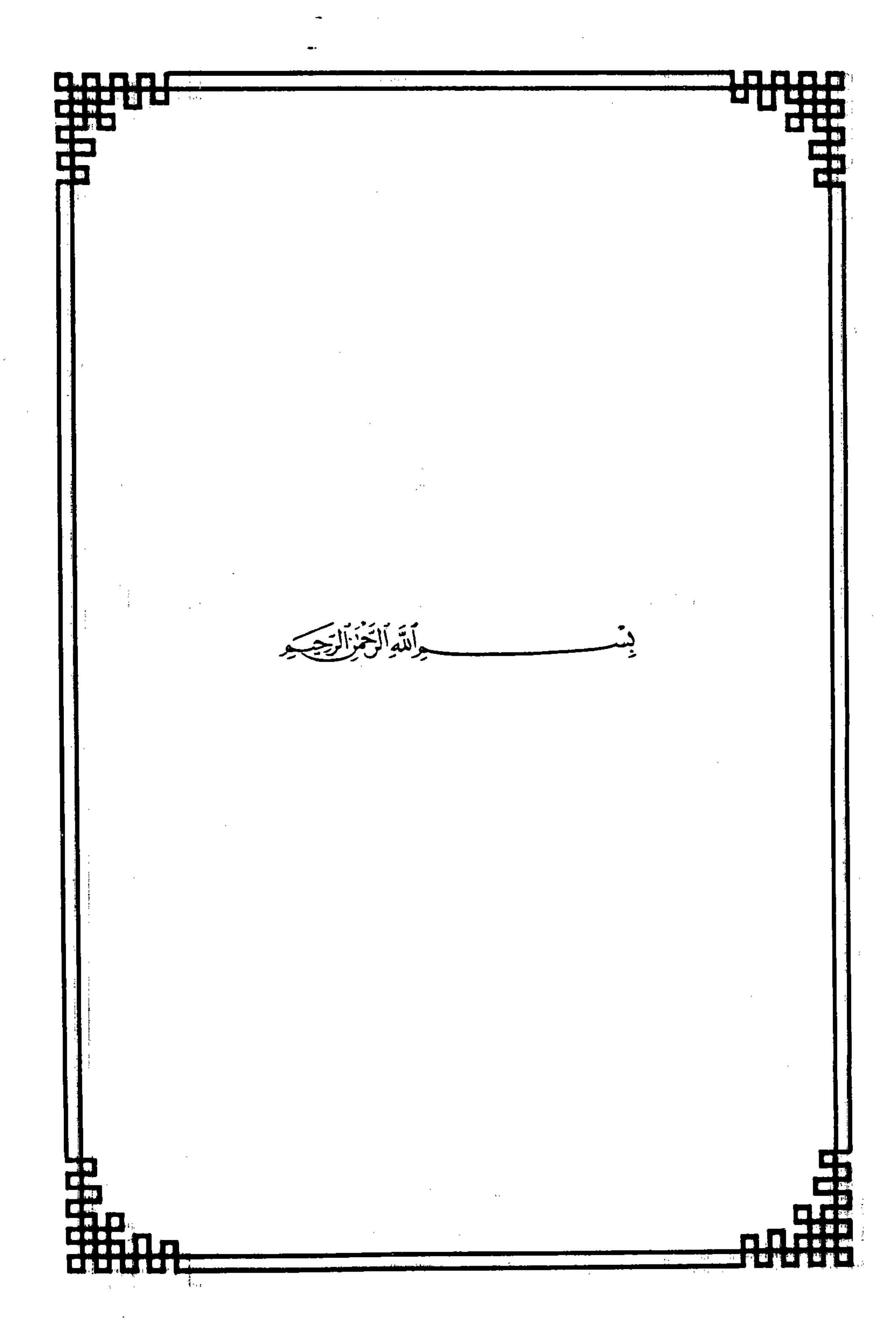
صِفَةُ الغُرَباء

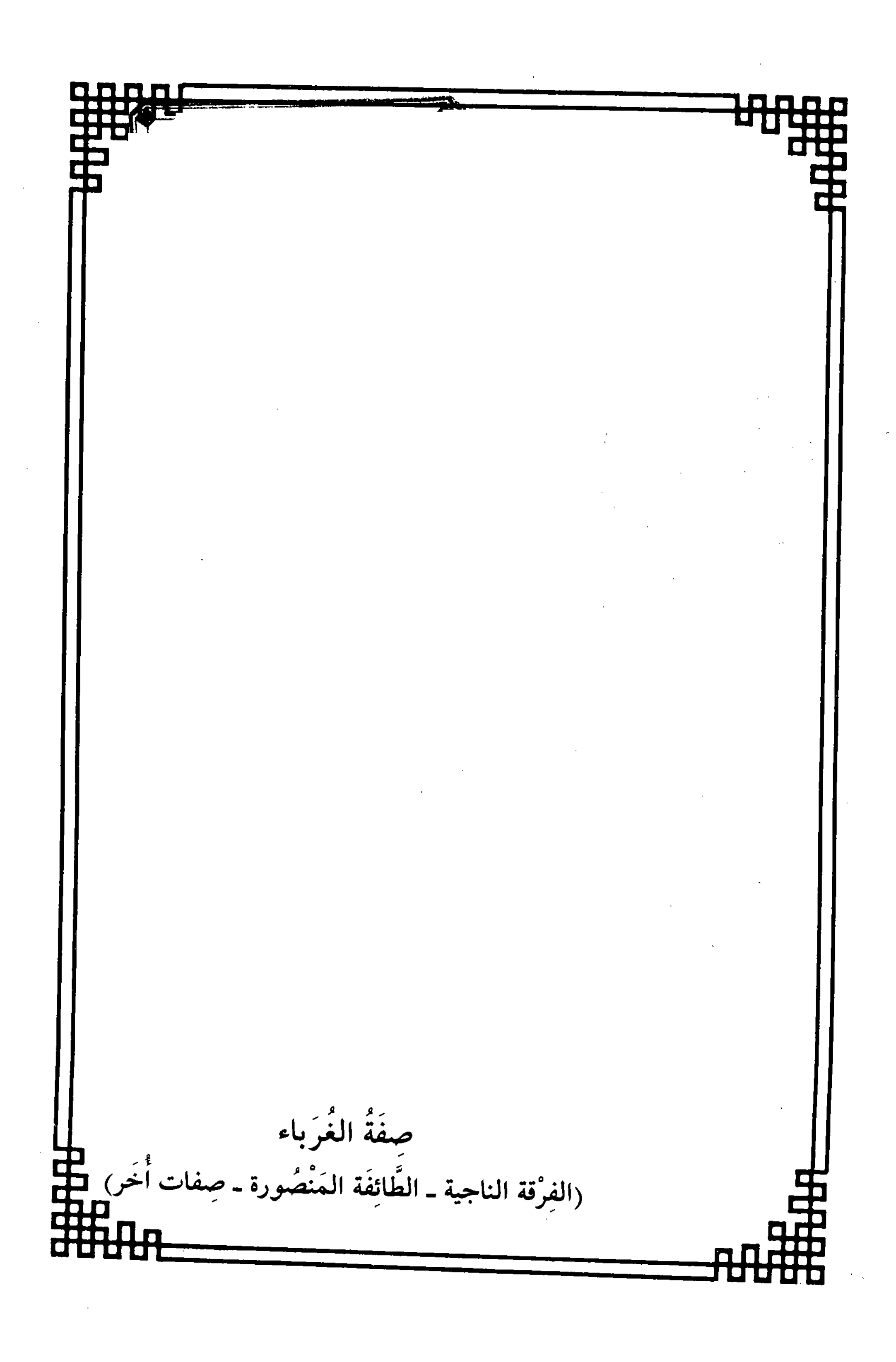
(الفِرْقَةُ النَّاجِية ـ الطَّائِفَةُ المَنْصورَة ـ صِفاتُ أُخَر)

تأليف

سلمان بن فهد العودة

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

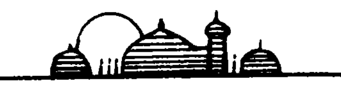


صِفَةُ الغُرَباء

(الفِرْقة الناجية ـ الطَّائِفَة المَنْصُورة ـ صِفات أُخَر)

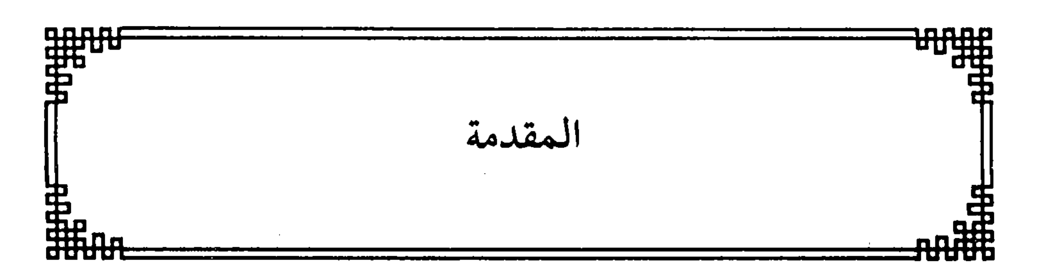
الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية

الدمام : شارع ابن خلدون ت: ٨٤٢٨١٤٦
ص.ب ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس ٨٤١٢١٠٠
الاحساء : الهفوف - شارع الجامعة
ت: ٥٨٢٤٦٧٢ - ص.ب ١٧٨٦



المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰـهَ إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ـ ﷺ ـ.

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما تَعْمَلونَ﴾.

أما بعد:

فهٰذه هي الرسالة الثانية في سلسلة «رسائل الغرباء»، والتي صدرت منها الرسالة الأولى قبل عامٍ تقريباً، وكانت بعنوان: «الغرباء الأوَّلون: أسباب غربتهم، مظاهرها، كيفية مواجهتها، أسلوب جديد في دراسة السيرة النبوية».

ولقد لقيت ـ بحمد الله تعالى ـ لدى القراء الكرام قبولاً حسناً، وأُعيدت طباعتها في جمهورية مصر العربية خلال أشهر، وسوف تطبع الطبعة الثالثة قريباً

إن شاء الله تعالى.

وهٰذه هي الرسالة الثانية، وهي بعنوان: «صفة الغرباء: الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، صفات أخرى».

وفي **الفصل الأول** منها دراسة حديثية وافية لحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة، مع عرض خصائص الفرقة الناجية، وبيان مَن هي؟ والحديث عن الفرق الهالكة، وهل هي كافرة؟ وما معنى حصرها في ثنتين وسبعين فرقة، ثم بيان غربة الفرقة الناجية.

أما **الفصل الثاني**؛ فهو دراسة حديثية وافية لحديث الطائفة المنصورة؛ لمعرفة ثبوته وتواتره، ثم عرض لخصائص هٰذه الطائفة ومهمَّاتها، وزمانها ومكانها، وبيان من هي؟

وفي **الفصل الثالث** ـ وهو الفصل الأخير ـ دراسة مدى الترابط بين هٰذه الألقاب الثلاثة:

أ ـ الفرقة الناجية.

ب ـ الطائفة المنصورة.

جـ ـ الغرباء.

حيث يتَّضح جليّاً أن دوائر النَّجاة في الدنيا والآخرة ثلاث دوائر، بعضها أضيق من بعض:

فأوسعها **دائرة (الإسلام)**، الذي هو ضمانة دخول الجنة؛ فإن الله تعالى حرَّم الجنة على الكافرين، فالجنَّة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ، فمَن كان مسلماً؛ فهو من أهل الجنة؛ مرتكباً ما ارتكب من المعاصي، مُتَّبِعاً ما اتَّبع من

البدع، ولكنَّه يُعَذَّبُ بقدر بدعته ومعصيته ما شاء الله، ثم يصير إلى الجنة؛ إلا أن يتجاوز الله عنه.

ـ ثم **الدائرة الثانية**: دائرة (الفرقة الناجية)، السالمة من البدع والانحرافات، وهي أضيق من الأولى، ولهٰذه الفرقة من الخيرية والاستقامة والفوز في الدارين ما ليس لعموم المسلمين؛ لسلامتها مما ابتُلِي به عامتهم من الوقوع في أسر الشبهة أو الشهوة.

ـ وأضيق منها **الدائرة الثالثة**، وهي دائرة (الطائفة المنصورة)، وهي جزء من الفرقة الناجية، تميزت عن سائرها بالقيام بالأمر، وتحمُّل أعباء الجهاد وتَبِعاته، والتصدِّي للأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر، وبناء الحياة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنة، ومقارعة الظالمين والفاسقين والمنافقين والكافرين.

وهٰذا المقام أشرف المقامات، وأعلاها، وأسماها، وأهله هم خاصة المؤمنين، وخلاصة المتّقين، وخيرة أتباع سيد المرسلين، جعلنا الله منهم أجمعين.

○○○○○

أما بالنسبة للمنهج الذي سلكته في هٰذه الرسالة من حيث التخريج ودراسة الأسانيد وتراجم الرواة؛ فهو المنهج الذي سلكته في الرسالة الأولى سواءً بسواء؛ غير أني أودُّ الإشارة إلى بعض الأمور اليسيرة:

١ ـ اعتمدتُ في إعداد هٰذه الرسالة على طائفة غير قليلة من المخطوطات، فضلاً عن الكتب المطبوعة، وهي كثيرة، ولم أتمكَّن من وضع فهرس للمصادر والمراجع ـ على أهميَّته ـ، ولا من الإشارة للمخطوطات التي اعتمدتُ عليها.

لكن يُعْرَف كون الكتاب مخطوطاً:

إما بالتصريح بكونه مخطوطاً ـ وهٰذا قليل ـ، حيث أقول: «في مخطوطة كذا»، أو: «في كتاب كذا المخطوط».

وإما بالإحالة إلى الموضع باللوحة:

فمثلاً: «المطالب العالية» (ل ٢٠٢ ـ النسخة المسندة): إشارة إلى اللوحة، ومعناه أن نسخة «المطالب العالية» التي سيقت فيها الأسانيد مخطوطة.

ومثله: «السنن الواردة في الفتن» لأبي عمرو الداني (ل ٢٤ / ب): معناه أن الحديث في اللوحة الرابعة والعشرين، وفي الوجه الثاني منها، وهو يعني أن الكتاب مخطوط.

وهٰكذا في «سنن النسائي الكبرى»، أو «مسند البزار»، أو «رسالة التنبئة فيمن يبعثه الله على رأس المئة» للسيوطي، أو «مرقاة الصعود» له، أو غيرها. . .

٢ ـ فيما يتعلق بتراجم الرجال ـ سواء رجال الإسناد أو غيرهم ـ قد يجد القارىء في هٰذه الرسالة أسماء اكتفيتُ بذكر مجمل حالها؛ دون تفصيل، ودون إحالة، فهٰذا يعني أن الرجل سبق ذكر ترجمةٍ له، وبيان حاله، مع ذكر المصادر.

فمثلاً: «عبد الله بن صالح، كاتب الليث، صدوق، كثير الغلط»؛ فهٰذا يعني أنه سبق ذكر تفصيل أكثر مشفوعٍ بمصادر الترجمة.

○○○○○

وفي ختام هٰذه المقدمة أرجو ألا يغيب عن ذهن القارىء الكريم أن الحديث عن الطائفة المنصورة ـ في هٰذه الرسالة ـ مرتبط بالحديث عن الجهاد،

والأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر، وإقـامـة الحياة الإسلامية، وهي من موضوعات الرسالة الثالثة القادمة بإذن الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المؤلف

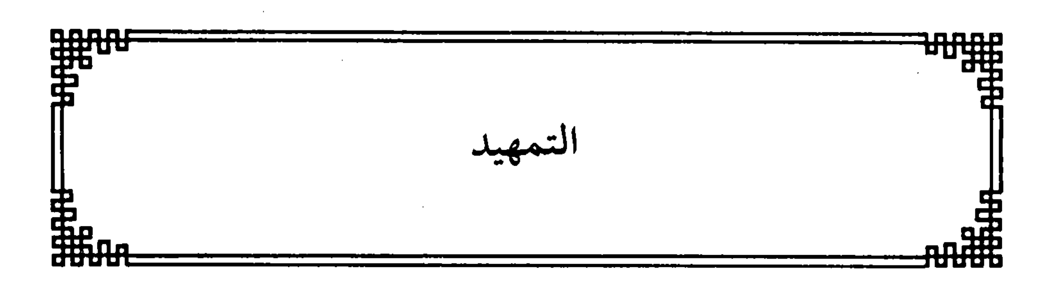
سلمان بن فهد العودة

القصيم - بريدة

ص ب (٢٧٨٢)

تاريخ ٦ / ١٠ / ١٤١٠هـ

ooooo



التمهيد

إن هٰذه الأمة التي غادرها النبي - ﷺ - قويةً، عزيزةً، موحَّدةً على كلمة الله، قائمةً بأمر الله، قد نفذت إليها عوامل الضعف والتردِّي كما نفذت إلى الأمم المؤمنة السابقة، وأثَّرت فيها أسباب التفرُّق، والاختلاف، والتنازع، حتى أصبحت أهـواء شتَّى، وآراء متباينة، وفرقاً يكفِّر بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً، ويقتل بعضها بعضاً - إلا مَن عَصَمَ الله، وقليلٌ ما هُم - كما حدث هٰذا كله للأمم السابقة.

وإزاء هٰذا الأمر الواقع - لا محالة - نجد النصوص - قرآناً وسنَّةً - عُنِيَتْ ببيان جانبين متقابلين:

○ **الجانب الأوَّل**:

أن هٰذا الأمـر سيحـدث - ولا بدّ - حيث ستفتـرق الأمـة، وتختلف، وتتقاتل، والنصوص الحديثية - خاصة - لا تُحصى كثرة في هٰذا الباب، فمنها ما يشير إلى عموم الاختلاف والتفرق الواقع في الأمة، ومنها ما يشير إلى أسبابه، ومنها ما يشير إلى تفاصيل محدَّدة فيه، ومنها ما يشير إلى نتائجه.

والنص - هنـا - يتحـدَّث عن أمـر غيبيٍّ قَدَرِيٍّ، وعن قضاء سابق مقرَّر

محتوم، لا مردَّ له من الله.

وهٰـذا الإخبارِ عن الوقائع، والأحداث، والتحوُّلات، التي سَتُبْتَلى بها الأمة، يحقِّق فوائد وحكماً عديدة:

أ ـ منها أنه دليلٌ واضحٌ على صدق نبوَّة محمد ـ ﷺ ـ، وأنه يتلقَّى عن الله الذي يَعْلَم الغيب ولا يظهر على غيبه أحداً؛ إلا مَن ارتضى من رسول.

فهو تقويةٌ ودعمٌ لإيمان الذينَ نُقِلَت إليهم هٰذه الأخبار، حيث يجدون الوقائع المطابقة لها، فيقولون: ﴿**هٰذا مَا وَعَدَنَا اللهُ ورَسُولُهُ وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُهُ**﴾[1].

وتقـويةٌ ودعمٌ وتجديدٌ لإيمان ناقليها الذين سمعوها من النبي ـ ﷺ ـ، حيث يتحوَّل يقينُهم إلى (عين اليقين) حين يشاهِدونَ عَياناً بعض ما أخبرهم به الصادق المصدوق ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ب ـ ومنها أنه أدقُّ في تحديد سبل النجاة من هٰذه الفتن والنوازل؛ فإن الإنسان مهما بالغتَ في تحذيرِه من خطرٍ يهدِّدُه ـ دون أن تحدِّد له هٰذا الخطر، أو تبيِّن له كيفية الـوقـوع فيه ـ؛ قد لا يتصوَّرُ الطريقة التي سيحدث بها، ولا يستبين طبيعة المشكلة التي سيواجهها، وقد يقع في المحذور وهو لا يحسبه ما كان يُحذَّر منه.

فتفصيل الوقائع والأحداث وتحديدها يسهل للكافة ـ من العلماء، ومن غيرهم من سائر الناس ـ التعرُّف عليها حين وقوعها، وتطبيق النصوص عليها، وتجنبها.

---

(١) الأحزاب: ٢٢.

وبيان الـواقعة ـ تفصيلاً ـ يترتَّب عليه بيان العلاج تفصيلاً، مع أن هٰذا التفصيل يؤكِّد في رَوْع المواجِهِ للفتنة أو الواقعة: أن الذي وصف العلاج هٰذا الوصف هو المحيط بتفصيل الواقعة هٰذه الإحاطة، فيزداد إيمانه بأنْ لا مخرج منهـا إلا بما ذكرتْهُ النُّصوص، ويندفع عنه إلقاءُ الشيطان الذي يوهمُه بأنّ في الواقعة جوانب خفيَّة، قد لا تكون هي المقصودة في تلك النصوص.

جـ ـ ومنها أن هٰذه الأخبار ـ مجملةً ومفصَّلةً ـ تحمل في مضمونها تحذيراً شديداً من الوقوع في تلك الفتن المُهْلِكة.

ذٰلك أن المؤمنين من هٰذه الأمة ـ من الصحابة وغيرهم ـ حين يسمعون خبـر الـرسـول ـ ﷺ ـ بأن منهم مَن سيحـدث منه القتل، ومنهم مَن سيتعلَّق بالـدُّنيا، ومنهم مَن سيتـرك الجهـاد، ومنهم، ومنهم . . . تتحرَّك في نفوسهم مشاعر المواجهة لهٰذه الفتن، ويقول كل منهم: لعلَّني أنا أنجو، ويصبح الموفَّق منهم خائفاً على الدوام أن يقع في تلك المهالك على غفلةٍ، والخوف ـ في هٰذا الباب ـ من أعظم سبل النجاة، فمَن خاف سلم.

د ـ وهي سبب لتوبة المتلبِّسين بالفتنة حين يرون من الآيات والعلامات ما يبيِّن لهم فسـاد ما هم عليه، وذمَّـه، وإنكارَه، فيفيق الخائض في الفتنة، وتتفتَّح عيناه على أنوار نص نبوي، يحدوه إلى الإقلاع عما هو عليه، ومراجعة السَّمْت المستقيم.

هـ ـ والإخبار عن هٰذه الأمور هو جزءٌ من مهمَّة البلاغ التي كُلِّف بها النبي ـ ﷺ ـ لعموم الأمة، حيث إن مِن هٰذا العموم مَن سيكون معرَّضاً للفتنة، محتاجاً إلى بيان شافٍ بشأنها.

○ الجانب الثاني :

هو التحذير الصريح المباشر من الفتن وأسبابها ودواعيها، سواء جاء هٰذا التحذير مستقلًّا، أو جاء متَّصلاً بأخبار الفتن ووقائعها، وإذا كان التحذير يُفهم فهماً في النصوص المتعلِّقة بالجانب الأول، فهو ـ هنا ـ نصٌّ صريحٌ واضحٌ يحذر مما أخبر أنه سيقع.

وهٰذا مجالٌ للالتباس عند بعضهم؛ يعجبون من التحذير من أمر وقوعه محتَّم! ودفعه ـ بالكلِّيَّة ـ محالٌ!

والفرق بين هٰذه النصوص الناهية عن الاختلاف وتلك النصوص المخبرة بوقوعه هو الفرق بين الشرع والقدر، فالشرع خطاب للمكلَّفين بفعل ما أمر الله، وترك ما نهى.

ولا يبطل الشرع أن يكون الله أخبر عن كفر أكثر الناس، وردِّهم للحق، وتكذيبهم بالرسل.

كما لا يسوِّغ للكفار كفرهم أن يحتجُّوا بالأخبار الواردة في وقوع الكفر في الأرض ـ قدراً ـ.

مع أن النص لم يحدِّد أشخاصاً بأعيانهم، بل حدَّد مواقع ومواقف، والناس هم الذين يختارون لأنفسهم ما شاؤوا.

فقد ذكرت النصوص سبيل النجاة وسبل الهلاك، ووصفت الناجين والهالكين، وميَّزت هٰؤلاء عن أولٰئك؛ كما ذكرت الإيمان ووسائله، والكفر وذرائعه، وأمرت بالإيمان، ونهت عن الكفر.

ومن هٰذه النصوص الأحاديث الواردة في افتراق الأمة واختلافها ـ وهي

موضوع الفصل الأول ـ، والأحاديث الواردة في الطائفة المنصورة ـ وهي موضوع الفصل الثاني ـ، والأحاديث الواردة في الغرباء وقلَّتهم ـ وهي جزء من موضوع الفصل الثالث ـ.

ooooo

وفي جميع هٰذه الأحاديث نصٌّ صريح على تناقص الخيرية في هٰذه الأمة، وتكاثر الشر والفتن والأهواء المضلَّة، حتى يغدو الأخيار، الملتزمون بمنهج النبوة، الممسكون بالكتاب والسنة، المجانِبون ما عليه العامَّة من الانحراف، وترك الأمر والنهي والجهاد، غرباء بين أهلهم وقومهم، وفي أوطانهم، لا غربة الجسد، ولكن غربة الروح، وغربة المنهج، وغربة السلوك، وقد تجتمع فيهم الغربتان، حتى يصدق عليهم قول القائل:

إنِّي غَرِيبٌ غَرِيبُ الرُّوحِ مُنْفَرِدٌ
إنِّي غَرِيبٌ غَرِيبُ الدَّارِ والنَّسَبِ
كَمْ ذَا أَحِنُّ إلى أَهْلِي إلى بَلَدي
إلى صِحَابِي وَعَهْدِ الجِدِّ واللَّعِبِ
إلى المَنَازِلِ مِنْ دِينٍ ومِنْ خُلُقٍ
إلى المَنَاهِلِ مِنْ عِلْمٍ ومِنْ أَدَبِ
إلى المَساجِدِ قَدْ هَامَ الفُؤادُ بِها
إلى الأذانِ كَلَحْنِ الخُلْدِ في صَبَبِ

ooooo

وبهٰذا تتَّضح علاقة الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، بالغرباء.

فالفرقة الناجية غريبةٌ بين سائر فرق الأمة الثنتين والسبعين، وهي أشد

غربة بين سائر ملل الأرض الكافرة، فأفرادها ـ إذاً ـ غرباء، وهي بمجموعها غريبة.

والطائفة المنصورة غريبة بين سائر أفراد الأمة، ممَّن لا يجتمعون على الحق، ولا ينصرونه، ولا يجاهدون في سبيله، حتى ولو كانوا من الفرقة الناجية، فكيف بغيرهم؟ فكيف بسائر الأمم؟

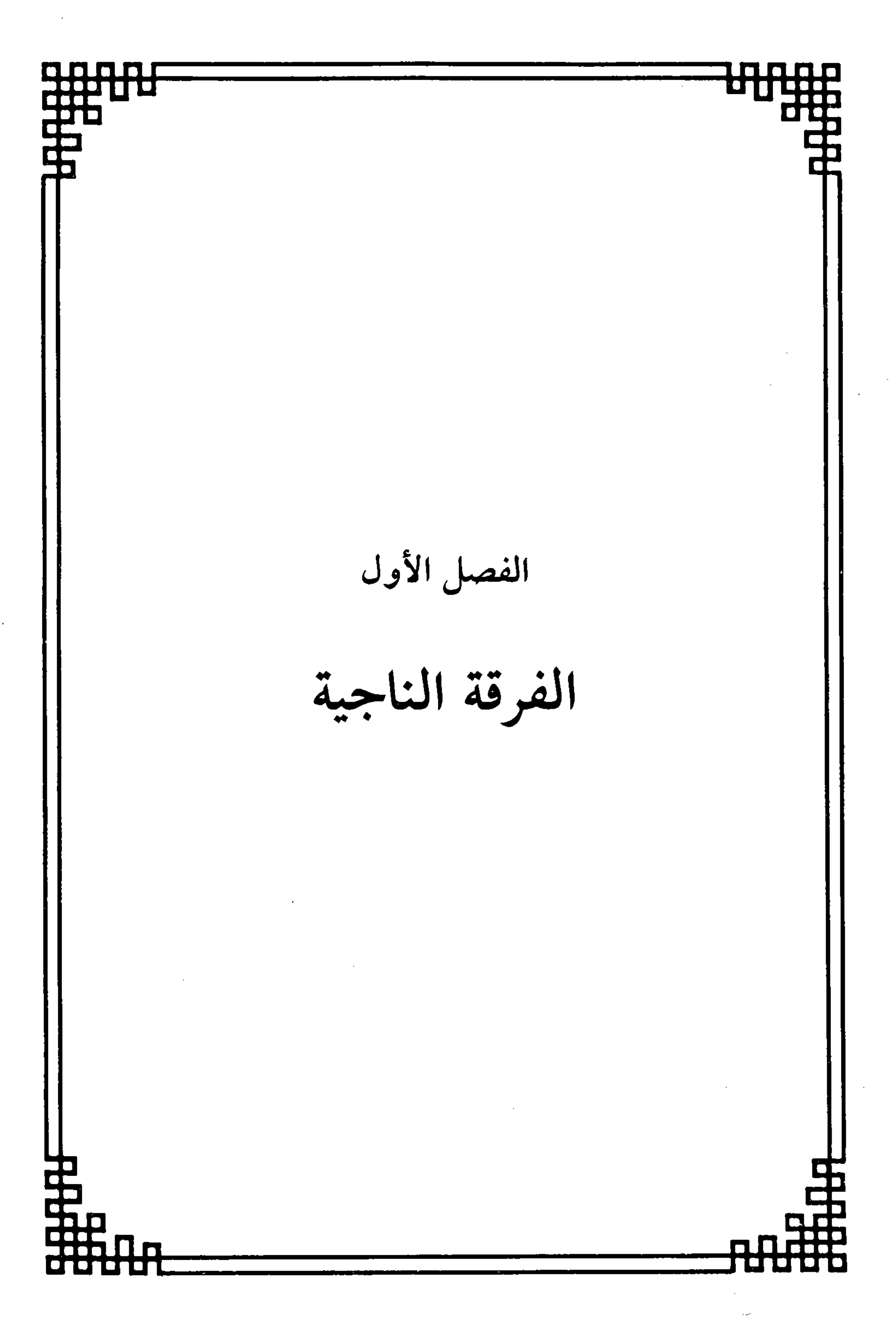
فغربتها أشدُّ وأقسى من غربة الفرقة الناجية.

ولكن لفظ الغربة يشملهم جميعاً؛ كما يشمل غيرهم من المسلمين الغرباء بين الكفار.

وبهذا يتبين أن وصف النجاة وما يتبعه هو وصف لبعض الغرباء.

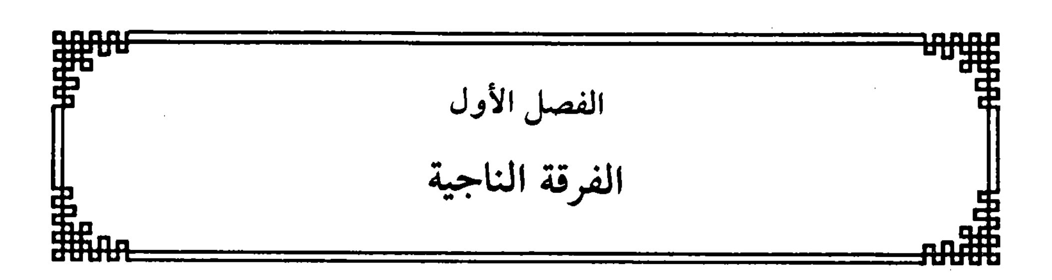
وكذلك وصف النصر وما يتبعه هو وصف لبعضهم؛ إضافة إلى الأوصاف الأخرى الواردة في حديث الغربة ذاته.

○○○○○



الفصل الأول

الفرقة الناجية



الفصل الأول

الفرقة الناجية

وقد ورد الحديث الذي يبشر بها عن جمع من الصحابة، وهم: أبو هريرة، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعوف بن مالك، وأنس بن مالك، وأبو أُمامة، وابن مسعود، وجابر بن عبدالله، وسعد بن أبي وقَّاص، وأبو الدَّرداء، وواثلة بن الأسقع، وعمرو بن عوف المزني، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري.

وفي معظم الأحاديث ذُكرت الفرقة الناجية بعد ذكر الاختلاف، وفي بعضها ذُكر الاختلاف دون إشارة للفرقة الناجية.

وسأسوق هٰذه الأحاديث كلها مساقاً واحداً، حتى يتبيَّنَ بوضوح ثبوت الخبر في اختلاف الأمَّة ثبوتاً لا شكَّ فيه، إذ إن بعض هٰذه الأحاديث يشهد لبعضها الآخر.

ويكفي في ثبوت وجود الفرقة الناجية أن تكون معظم هٰذه الروايات ذَكَرَتْها.

ويؤكِّده تأكيداً لا يقبل الشك، ما سيأتي ـ بعد ـ من ذكر الطائفة

المنصورة[1].

○ وهٰذه أحاديث الفرقة الناجية:

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«افترقَتِ اليهودُ على إحدى ـ أو ثِنْتَيْن ـ وسبعين فرقةً، وتفرَّقَتِ النَّصارى على إحدى ـ أو ثِنتَيْنِ ـ وسبعين فِرقةً، وتفتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً»[2].

---

(١) وذلك في الفصل الثاني من هٰذا الكتاب.

(٢) رواه: أبو داود في: ٣٤ ـ كتاب السنة، ١ ـ باب شرح السنة، (رقم ٤٥٩٦)، (٥ / ٤)، وهٰذا لفظه.

ـ والترمذي في: ٤١ ـ كتاب الإيمان، ١٨ ـ باب ما جاء في افتراق هٰذه الأمة، (رقم ٢٦٤٠)، (٥ / ٢٥)، وقال: «. . . حديث حسن صحيح».

ـ وابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ١٧ ـ باب افتراق الأمم، (رقم ٣٩٩١)، (٢ / ١٣٢١).

ـ والإمام أحمد في «المسند»: (٢ / ٣٣٢)؛ دون ذكر النصارى.

ـ والحاكم في «مستدركه» في: كتاب الإيمان، (١ / ٦١)، وقال: «هٰذا حديث كثر في الأصول. . .».

وفي: كتاب العلم، (١ / ١٢٨)، وقال: «هٰذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ـ وابن حبان؛ كما في «الموارد»: ٣١ ـ كتاب الفتن، ٤ ـ باب افتراق الأمم، (رقم ١٨٣٤)، (ص ٤٥٤).

ـ وأبو يعلى الموصلي في «المسند»: مسند أبي هريرة (ل: ٥٤١ ـ ٥٤٢).

ـ وابن أبي عاصم في كتاب «السنة»: ١٩ ـ باب فيما أخبر به النبي ـ ﷺ ـ أن أمته ستفترق، (رقم ٦٦)، (١ / ٣٣).

ـ والمروزي في «السنة»: (ص ١٧).

=

● وعن أبي عامر عبد الله بن لُحَيّ، قال: حَجَجْنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكّة؛ قام حين صلَّى صلاة الظهر، فقال: إنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«إنَّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هٰذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملَّة ـ يعني: الأهواء ـ كلُّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة.

وإنَّه سيخرُجُ في أُمَّتي أقوامٌ تَجارى بهِم تلك الأهواءُ كما يَتَجارى

= ـ وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينها، وعلى كم تفترق الأمة؟ (رقم ٢٥٢)، (١ / ٢٢٨).

ـ والآجُري في «الشريعة»: باب ذكر افتراق الأمم، (ص ١٥).

ـ ومدارهم جميعاً على: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ـ ومحمد بن عمرو: هو ابن علقمة بن وقَّاص الليثي: قال أبو حاتم: «صالح الحديث، يكتب حديثه، وهو شيخ»، وقال النسائي: «ليس به بأس»، وقال مرة: «ثقة»، وتكلَّم فيه ابن معين، والجوزجاني، وقال الذهبي: «شيخ مشهور حسن الحديث»، وقال ابن حجر: «صدوق، له أوهام».

انظر: «التهذيب» (٩ / ٣٧٥)، «الجرح والتعديل» (٨ / ٣١)، «الميزان» (٣ / ٦٧٣)، «التقريب» (٢ / ١٩٦).

ـ أما أبو سلمة؛ فهو ابن عبد الرحمٰن بن عوف، ثقة مكثر.

انظر: «التهذيب» (١٢ / ١١٥)، «التقريب» (٢ / ٤٣٠).

ـ فالحديث ـ بهٰذا الإسناد ـ حسن؛ لحال محمد بن عمرو، ولكنه صحيح لشواهده، وقد صحَّحه: الترمذي، والحاكم، وابن حبان ـ وسبقوا ـ، وصحَّحه أيضاً: الشاطبي في «الاعتصام» (٢ / ١٨٩)، والسيوطي في «الجامع الصغير» (٢ / ٢٠ ـ المطبوع مع فيض القدير).

الكَلَب[1] بصاحِبِهِ؛ لا يبقى منهُ عرقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله».

والله - يا معشر العرب - لئن لم تقوموا بما جاء به نبيُّكم - ﷺ -؛ لَغَيْرُكم من الناس أحرى أن لا يقومَ به[2].

---

(١) **الكَلَب** - بالتحريك - هو داء يعرض للإنسان من عض الكَلْب الكَلِب، فيصيبه شبه الجنون، وتعرض له أعراض رديئة، ولا يشرب الماء حتى يموت عطشاً.

هٰكذا ذكر صاحب «النهاية» (٤ / ١٩٥)، وغيره.

(٢) رواه: أبو داود في: ٣٤ - كتاب السنة، ١ - باب شرح السنة، (رقم ٤٥٩٧) (٥ / ٥).

- والدارمي في: ١٦ - كتاب الجهاد، ٧٥ - باب في افتراق هٰذه الأمة، (رقم ٢٥٢١)، (٢ / ١٥٨).

- والإمام أحمد في «المسند»: (٤ / ١٠٢)، وهٰذا لفظه.

- والحاكم في «مستدركه» في: كتاب العلم، وقال بعد سياقه وسياق حديث أبي هريرة: «هٰذه أسانيد تُقام بها الحجة في تصحيح هٰذا الحديث»، ووافقه الذهبي (١ / ١٢٨).

- والآجري في «الشريعة»: باب ذكر افتراق الأمم، (ص ١٨).

- وابن أبي عاصم في «السنة»: ١ - ذكر الأهواء المذمومة، (رقم ١ و٢)، (١ / ٧).

وفي: ١٩ - باب فيما أخبر به النبي عليه السلام أن أمته ستفترق، (رقم ٦٥)، (١ / ٣٣).

- والمروزي في «السنة»: (ص ١٤ و١٥)، بإسنادين، في أولهما زيادة بعد قوله: «وهي الجماعة»؛ قال: «فاعتصموا بها، فاعتصموا بها»، وليس فيها ذكر الأهواء.

- واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي - ﷺ - في الحث على اتباع الجماعة، (رقم ١٥٠)، (١ / ١٠١).

- وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (رقم ٢٤٥)، (١ / ٢٢١)، و(رقم ٢٤٧)، (١ / ٢٢٣). =

. . . .

= ـ وقَوَّام السنة الأصبهاني في كتاب «الحجة في بيان المحجة»: فصل في ذكر الأهواء المذمومة، القسم الأول، (رقم ١٠٧)، (ص ١٧٧).

ـ ومدارهم جميعاً على صفوان بن عمرو، قال: حدثني أزهر بن عبدالله الحرازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية.

ـ وصفوان بن عمرو: هو ابن هرم السكسكي، وثَّقه العجلي، ودحيم، وأبو حاتم، والنسائي، وابن سعد، وابن المبارك، وغيرهم، وقال الذهبي: «وثقوه»، وقال ابن حجر: «ثقة».

انظر: «تهذيب التهذيب» (٤ / ٤٢٨)، «الجرح والتعديل» (٤ / ٤٢٢)، «التقريب» (١ / ٣٦٨)، «الكاشف» (٢ / ٢٧).

ـ وأزهر بن عبد الله الحرازي: وثقه العجلي، وابن حبان، وقال الذهبي: «تابعي حسن الحديث، لكنه ناصبيٌّ ينال من علي ـ رضي الله عنه ـ»، وقال في «المغني»: «صدوق»، وقال ابن حجر: «صدوق تكلَّموا فيه للنصب».

انظر: «الميزان» (١ / ١٧٣)، «التقريب» (١ / ٥٢)، «ثقات العجلي» (ص ٥٩)، «الثقات» لابن حبان (٤ / ٣٨)، «المغني» (١ / ٦٥).

ـ وأبو عامر الهوزني: هو عبد الله بن لُحَيّ ـ بضم اللام وفتح الحاء ـ: قال أبو زرعة والدارقطني: «لا بأس به»، ووثقه العجلي، وابن حبان، وغيرهم، وقال الذهبي: «ثقة»، وقال ابن حجر: «ثقة مخضرم».

انظر: «الجرح والتعديل» (٥ / ١٤٥)، «تهذيب التهذيب» (٥ / ٣٧٣)، «التقريب» (١ / ٤٤٤)، «الكاشف» (٢ / ١٠٩).

ـ فالحديث ـ بهذا الإسناد ـ حسنٌ؛ لحال أزهر بن عبد الله، لكنه صحيح بشواهده.

ـ وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي ـ وسبقا ـ.

ـ وجوَّده العراقي في «تخريج الإحياء» حيث قال: «ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك: «وهي الجماعة»، وأسانيدها جياد». =

● وعن عِوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«افترقتِ اليهودُ على إحدى وسبعينَ فِرقةً، فواحدةٌ في الجنَّة وسبعون في النار، وافترقتِ النَّصارى على ثنتينِ وسبعين فرقةً، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده؛ لتفترقنَّ أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقةً، واحدةٌ في الجنة، وثنتان وسبعون في النار».

قيل: يا رسول الله! مَن هُم؟

قال: «الجماعة»[1].

= «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» (٣ / ٢٣٠).

ــ وحسنه ابن حجر، حيث قال: «وإسناده حسن».

«الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (ص ٦٣).

ــ وقال ابن تيمية: «هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبدالله الحرازي، عن أبي عامر عبدالله بن لحي، عن معاوية؛ رواه عنه غير واحد؛ منهم: أبو اليمان، وبقية، وأبو المغيرة...».

«اقتضاء الصراط المستقيم» (١ / ١١٨).

(١) رواه: ابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ١٧ ـ باب افتراق الأمم، (رقم ٣٩٩٢)، (٢ / ١٣٢٢).

ــ وابن أبي عاصم في: ١٩ ـ باب فيما أخبر به النبي ـ عليه السلام ـ أن أمته ستفترق، (رقم ٦٣)، (١ / ٣٢).

ــ واللالكائي في: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتباع الجماعة، (رقم ١٤٩)، (١ / ١٠١).

ــ وعلقه الحاكم في: كتاب الإيمان، (١ / ٦).

ــ ورواه قوَّام السنة الأصبهاني في كتاب «الحجة في بيان المحجة»: فصل في ذكر الفرقة الناجية، القسم الأول، (رقم ١٩ ـ ٢٠) (ص ٢٦). =

● وعنه ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ:

«ستفتـرقُ أُمَّتي على بضـع وسبعين فرقـةً: أعظمُها فتنةً على أمَّتي قومٌ يقيسون الأمورَ برأيِهم؛ يحرِّمون الحلال، ويحلُّون الحرام»[1].

= ـ كلهم من طريق عمـرو بن عثمـان، حدثنا عباد بن يوسف، حدثني صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف، به.

ـ وعمرو بن عثمان: هو ابن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٨ / ٧٦).

ـ وعبـاد بن يوسف: لم يرو عنه من الستة إلا ابن ماجه، روى عنه هٰذا الحديث فحسب، وقد عدَّه ابن حبان في الثقات، ووثقه ابن ماجه، وابن أبي عاصم، وقال عثمان بن صالح: «حدثنا إبراهيم بن العلاء، حدثنا عباد بن يوسف، صاحب الكرابيسي، ثقة»، وقال ابن عدي: «روى عن صفوان وغيره أحاديث ينفرد بها».

والذي يترجَّح ـ والله أعلم ـ أن صدوق، حسن الحديث.

انظر: «التهذيب» (٥ / ١١٠)، «الميزان» (٢ / ٣٨٠)، «المغني» (١ / ٣٢٨)، «التقريب» (١ / ٣٩٥)، «الكاشف» (٢ / ٧)، «الكامل» (٤ / ١٦٥٢).

ـ وصفوان بن عمرو: ثقة.

ـ وراشد بن سعد: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٣ / ٢٢٥)، «التقريب» (١ / ٢٤٠)، «الكاشف» (١ / ٢٣١).

ـ فالحديث ـ بهٰذا الإسناد ـ حسن؛ لحال عباد بن يوسف.

ـ وقـد سبق ما يشهـد للزيادة التي فيه ـ وهي: «الجمـاعة» ـ في رواية المروزي لحديث معاوية.

(١) رواه البزار؛ كما في «كشف الأستار»: كتاب العلم، باب التحذير من علماء السوء، (رقم ١٧٢)، (١ / ٩٨).

ـ وعزاه الهيثمي له وللطبراني في «الكبير»؛ قال: «ورجاله رجال الصحيح».

«المجمع»: كتاب العلم، باب في القياس والتقليد، (١ / ١٧٩). =

. . . .

= ــ ورواه ابن عدي في «الكامل»: في ترجمة نعيم بن حماد الخزاعي، (٧ / ٢٤٨٣).

ــ والبيهقي في «المدخل»: باب ما يذكر من ذم الرأي، (رقم ٢٠٧)، (ص ١٨٨).

ــ وأبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» في: (فقرة رقم ١٧٨٣)، (١ / ٦٢٢).

ــ وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينها، (رقم ٢٥١)، (١ / ٢٢٧).

ــ والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»: في ترجمة نعيم بن حماد، رقمها (٧٢٨٥)، (١٣ / ٣٠٧ و٣٠٨).

ــ والحاكم في «المستدرك»: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٤٣٠)، وقال: «هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه».

ــ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي والقياس، (٢ / ١٣٣ و١٣٤).

ــ ومداره على نعيم بن حماد، عن عيسى بن يونس.

ــ ونعيم بن حماد: وثقه أحمد، وابن معين، وغيرهم، وقال ابن حجر: «صدوق يخطىء كثيراً. . .»، وقد تتبَّع ابن عدي ما أخطأ فيه، وقال: «وعامة ما أنكر عليه هو هٰذا الذي ذكرته، وأرجو أن يكون باقي حديثه مستقيماً».

انظر: «التهذيب» (١٠ / ٤٥٨)، «التقريب» (٢ / ٣٠٥)، «الكامل» (٧ / ٢٤٨٥).

وقال عبد الغني بن سعيد: «وبهٰذا الحديث سقط نعيم بن حماد عند كثير من أهل العلم بالحديث؛ إلا أن يحيى بن معين لم يكن ينسبه إلى الكذب، بل كان ينسبه إلى الوهم». «التهذيب» (١٠ / ٤٦١).

ــ وقد تابع نعيماً في روايته عدد؛ منهم: عبدالوهاب بن الضحاك، وسويد الأنباري، وأبو صالح الخراساني، والحكم بن المبارك، والنضر بن طاهر.

وانظرها في: «تاريخ بغداد» (١٣ / ٣١٠ ـ ٣١١)، و«الكامل» (٣ / ١٢٦٤ و٧ / =

● وعنه ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ:

«كيف أنت ـ يا عوف ـ إذا افترقت هٰذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقةً: واحدةٌ في الجنة، وسائرهن في النار؟».

قلت: ومتى ذٰلك يا رسول الله؟

قال: «إذا كَثُرَتِ الشُّرط، ومَلَكَتِ الإماءُ، وقَعَدَتِ الحملانُ على المنابر، واتُّخِذَ القرآن مزامير، وزُخْرِفَتِ المساجد، ورُفِعَت المنابر. . .» الحديث(١).

= ٢٤٨٣)، وغيرهما.

وقال عبد الغني: «كل من حدَّث به عن عيسى بن يونس غير نعيم بن حماد؛ فإنما أخذه من نعيم».

وقال ابن عدي: «وهٰذا إنما يُعرف بنعيم بن حماد، ورواه عن عيسى بن يونس، فتكلَّم الناس فيه بجرَّاه».

قال: «. . . ثم سرقه قومٌ ضعفاء ممَّن يعرفون بسرقة الحديث. . .».

«تاريخ بغداد» (١٣ / ٣١١)، «الكامل» (٣ / ١٢٦٥)، «التهذيب» (١٠ / ٤٦١).

ـ والحديث ـ بهٰذا الإسناد ـ منكر.

ـ قال أبو زرعة الدمشقي: «قلت ليحيى بن معين في حديث نعيم هٰذا، وسألته عن صحَّته؟ فأنكره. قلتُ: من أين يؤتى؟ قال: شُبِّه له».

ـ وقال البيهقي: «تفرَّد به نعيم بن حماد، وسرقه عنه جماعة من الضعفاء، وهو منكر، وفي غيره من أحاديث الصحاح الواردة في معناه كفاية».

ـ وقد سبق ذكر كلام عبد الغني.

ـ أما تصحيح الحاكم له؛ فمدفوعٌ بأقوال هٰؤلاء الجهابذة، وقد عُرف تساهله الشديد في التصحيح.

ـ لكنَّ صدر الحديث صحيح ـ كما سبق وسيأتي ـ.

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع»، وقال: «رواه الطبراني، وفيه عبد الحميد بن =

● وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«ليأتِيَنَّ على أُمَّتي ما أتى على بني إسرائيلَ حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إن كان منهُم مَن أتى أُمَّه علانيةً؛ لكان في أُمَّتي مَن يصنع ذٰلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار؛ إلا ملة واحدة».

قالوا: ومَن هي يا رسول الله؟

قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[1].

= إبراهيم، وثَّقه ابن حبان، وهو ضعيف، وفيه جماعة لم أعرفهم».

«المجمع»: كتاب الفتن، باب ثان في أمارات الساعة، (٧ / ٣٢٣).

ـ وعبد الحميد؛ قال الذهبي: «ضُعِّف»، وقال ابن حجر: «صدوق؛ إلا أنه ذهبت كتبه، فساء حفظه».

«التهذيب» (٦ / ١٠٨)، «الميزان» (٢ / ٥٣٧)، «الكاشف» (٢ / ١٣٢)، «التقريب» (١ / ١٦).

(١) رواه الترمذي في: ٤١ ـ كتاب الإيمان، ١٨ ـ باب ما جاء في افتراق هٰذه الأمة، رقم (٢٦٤١)، (٥ / ٢٦)، وقال: «هٰذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هٰذا إلا من هٰذا الوجه».

ـ وابن وضَّاح في «البدع والنهي عنها»: باب فيما يُدال الناس بعضهم من بعض، (ص ٨٥).

ـ والآجري في «الشريعة»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (ص ١٥ و١٦).

ـ والمروزي في «السنة»: (ص ١٨).

ـ واللالكائي في: سياق ما رُوِيَ عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتِّباع الجماعة، (رقم ١٤٥ ـ ١٤٧)، (١ / ٩٩). =

= ـ والعقيلي في «الضعفاء الكبير» في: ترجمة عبدالله بن سفيان الخزاعي، رقمها (٨١٥)، (٢ / ٢٦٢).

ـ والحاكم في: كتاب العلم، (١ / ١٢٨)، وأشار إلى أن إسناده لا تقوم به الحجة.

ـ وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (رقم ٤٤٣ ـ ٢٤٤)، (١ / ٢١٩ ـ ٢٢١).

ـ وقوَّام السنة الأصبهاني في كتاب «الحجة في بيان المحجة»: فصل في ذكر الفرقة الناجية، القسم الأول، (رقم ١٦ ـ ١٧)، (ص ٢٤ و٢٥).

ـ ومداره على عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم الإفريقي، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو.

ـ وعبد الرحمٰن: وثقه يحيى القطان مرة، وضعَّفه أخرى، ووثَّقه أحمد بن صالح المصري، وقال البخاري: «مقارب الحديث»، وقال في «الضعفاء الصغير»: «في حديثه بعض المناكير»، وضعفه يحيى بن معين، والإمام أحمد، والنسائي، وغيرهم، وقال الذهبي: «ضعفوه»، وقال ابن حجر: «ضعيف في حفظه».

انظر: «التهذيب» (٦ / ١٧٣)، «الضعفاء الصغير» (ص ١٤٢)، «الكاشف» (٢ / ١٤٦)، «التقريب» (١ / ٤٨٠).

ـ وعبد الله بن يزيد: هو المعافري: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٦ / ٨١)، «التقريب» (١ / ٤٦٢).

ـ فالحديث بهٰذه الإسناد ضعيف؛ لضعف عبدالرحمٰن في حفظه وروايته للمناكير.

ـ وقد حسنه الترمذي؛ كما في طبعة «السنن» مع «تحفة الأحوذي» (٣ / ٣٦٨)، طبعة دار الفكر، بمراجعة عبدالرحمٰن محمد عثمان (٧ / ٤٠٠)، وكما نقله العراقي في «تخريج الإحياء» (٣ / ٢٣٠).

ولعل الترمذي حسَّنه لشواهده الكثيرة، وليس لتقويته للإفريقي، إذ إنه لم يحسّن حديث: «من أذَّن فهو يقيم» عن زياد بن الحارث الصدائي، وقال عقبه: «وحديث زياد إنما نعرفه من حديث الإفريقي، والإفريقي ضعيف عند أهل الحديث، ضعَّفه يحيى بن سعيد =

● وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«إن بني إسرائيل افترَقَتْ على إحدى وسبعين فرقةً، وإن أمَّتي ستفترق على ثنتينِ وسبعينَ فرقةً؛ كلُّها في النار؛ إلا واحدة، وهي الجماعة»[1].

= القطان وغيره، وقال أحمد: لا أكتب حديث الإفريقي». قال: «ورأيت محمد بن إسماعيل يقوِّي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث».

«سنن الترمذي» (١ / ٣٨٤).

(١) رواه ابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ١٧ ـ باب افتراق الأمم، (رقم ٣٩٩٣)، (٢ / ١٣٢٢).

ـ وابن أبي عاصم في «السنة»: ١٩ ـ باب فيما أخبر به النبي عليه السلام أن أمته ستفترق، (رقم ٦٤)، (١ / ٣٢).

ـ من طريق هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو عمرو، حدثنا قتادة، عن أنس.

ـ وهشام: روى له الستة إلا مسلماً، ووثقه ابن معين وغيره، وقال العجلي: «صدوق»، وقال أبو حاتم: «لما كبر هشام تغيَّر، فكل ما دُفع إليه قرأه، وكل ما لُقِّن تلقَّن»، وقال ابن حجر: «صدوق».

«التهذيب» (١١ / ٥١)، «التقريب» (٢ / ٣٢).

ـ والوليد بن مسلم: هو القرشي، أبو العباس الدمشقي: ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية، وذكر أبو مسهر والدارقطني أن أكثر تدليسه عن الأوزاعي ـ وهو شيخه هنا ـ.

ـ وأبو عمرو: هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي: ثقة جليل.

«التقريب» (١ / ٤٩٣).

ـ وقتادة: هو ابن دِعامة السدوسي: ثقة، ثبت، لكنه مدلِّس، من الطبقة الثالثة.

انظر: «الميزان» (٣ / ٣٨٥)، «التقريب» (٢ / ١٢٣)، «تعريف أهل التقديس» (ص ١٠٢).

ـ فهذا الحديث ـ بهذا الإسناد ـ ضعيف؛ لأن الوليد بن مسلم يدلِّس تدليس =

= التسوية، وهو أن يسقط ضعيفاً بين ثقتين، وهو شر أنواع التدليس، فلا يقطع باتصال السند إلا إذا صرَّح هو ومَن فوقه من الرواة بالتحديث، وها هنا لم يصرِّح قتادة، مع أن قتادة نفسه مدلس.

ــ **ولكنه حسنٌ بشواهده:**

ــ ورواه الخطيب من طريق أخرى عن الوليد في «شرف أصحاب الحديث»: ٧ ـ قوله: «ستفترق أمتي»، (رقم ٤١)، (ص ٢٤).

ــ وذكره الجورقاني في «الأباطيل»: ٤ ـ كتاب الفتن، ١ ـ باب افتراق هٰذه الأمة، برقم (٢٨٤)، (١ / ٣٠٣) معلقاً إلى الوليد.

ــ والحديث جاء عن أنس من طرق أخرى كثيرة:

أ ـ فرواه اللالكائي في: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتباع الجماعة، برقم (١٤٨)، (١ / ١٠٠)، وهو من طريق الأوزاعي، أن يزيد الرقاشي حدَّثه، أنه سمع أنس بن مالك: (فذكر نحوه).

ــ وكذٰلك أخرجه قوَّام السنة الأصبهاني في كتاب «الحجة في بيان المحجَّة»: فصل في ذكر الفرقة الناجية، القسم الأول، (رقم ١٨)، (ص ٢٦).

ــ ويزيد: هو ابن أبان الرقاشي، وهو ضعيف.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٣٠٩)، «التقريب» (٢ / ٣٦١).

ب ـ ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣ / ١٢٠) من طريق وكيع، حدثنا عبدالعزيز ـ يعني: الماجشون ـ، عن صدقة بن يسار، عن العميري، عن أنس، بنحوه.

ــ ورواته ثقات، عدا العميري.

قال الشيخ الألباني: «والعميري هٰذا لم أعرفه، وغالب الظن أنه محرَّف من (النميري)، واسمه زياد بن عبدالله، فقد روى عن أنس، وعنه صدقة بن يسار، وهو الذي روى هٰذا الحديث عنه، فالنميري ضعيف، وبقية رجاله ثقات».

«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٢٠٤) (١ / ٣ / ١٦).

وانظر في ترجمة النميري هٰذا: «التهذيب» (٣ / ٣٧٨)، «الكامل» (٣ / ١٠٤٤). =

. . . .

= فإن كان هو؛ فالإسناد ـ أيضاً ـ ضعيف.

جـ ـ ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بنحوه: (٣ / ١٤٥).

ـ وحسن: هو ابن موسى الأشيب، ثقة.

انظر: «التهذيب» (٢ / ٣٢٣)، «التقريب» (١ / ١٧١).

ـ وابن لهيعة: سبق الكلام فيه في الرسالة الأولى، وأن رواية العبادلة عنه مقبولة ـ حسب ـ.

ـ وخالد بن يزيد: هو الجمحي، وهو ثقة.

انظر: «التهذيب» (٢ / ١٣٩)، «التقريب» (١ / ٢٢٠).

ـ وسعيد بن أبي هلال: وثَّقه ابن سعد، والعجلي، والدارقطني، وغيرهم، وضعفه ابن حزم بغير حجة، وذكر الساجي عن الإمام أحمد أنه اختَلَط، وقال ابن حجر: «صدوق»، وقال الذهبي: «ثقة، معروف، حديثه في الكتب الستة».

انظر: «التهذيب» (٤ / ٩٤)، «التقريب» (١ / ٣٠٧)، «الميزان» (٢ / ١٦٢).

ولكنَّ روايته عن أنس مرسلة؛ كما في «التهذيب»، وروايته هنا عن أنس.

ـ فهٰذا مرسل ضعيف؛ لحال ابن لهيعة.

د ـ ورواه أسلم بن سهل الواسطي في «تاريخ واسط»: تسمية القرن الرابع من أهل واسط، (ص ١٩٦): من طريق وهب بن بقية، قال: أخبرني عبدالله بن سفيان الواسطي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن أنس. . . وقال: «تفترق هٰذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة. . .»، وفيه: «ما كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

ـ ومن طريقه أخرجه العقيلي في «الضعفاء»، في: ترجمة عبدالله بن سفيان الخزاعي، (رقم الترجمة ٨١٥)، (٢ / ٢٦٢).

ـ والطبراني في «معجمه الصغير»: فيمن اسمه عيسى، (١ / ٢٥٦).

ـ والجورقاني في «الأباطيل»: ٤ ـ كتاب الفتن، ١ ـ باب افتراق هٰذه الأمة، برقم (٢٨٣)، وقال: «هٰذا حديث عزيز حسن مشهور، ورواته كلهم ثقات أثبات، كأنهم بدور =

= وأقمار»!

ـ وأسلم بن سهل، وإن لينه الدارقطني؛ فقد وثقه غيره، وقال خميس الحوزي: «ثقة ثبت، إمام جامع، يصلح للصحيح، وكان لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان»، وقال الذهبي: «هو الحافظ الصدوق».

انظر: «سؤالات السلفي للحوزي»، (ترجمة رقم ٩٨)، (ص ١١١)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢ / ٦٦٤)، «لسان الميزان» (١ / ٣٨٨).

ـ ووهب بن بقية: ثقة.

انظر: «التهذيب» (١١ / ١٥٩)، «التقريب» (٢ / ٣٣٧).

ـ وعبد الله بن سفيان الواسطي: قال العقيلي: «لا يُتابع على حديثه»، ثم ذكر حديث الافتراق، ثم قال: «ليس له من حديث يحيى بن سعيد أصل، وإنما يُعرف هٰذا الحديث من حديث الإفريقي».

«الضعفاء الكبير» (ترجمة ٨١٥)، (٢ / ٢٦٢)، ونقله كله الذهبي في «الميزان» (٢ / ٤٣٠).

ـ ويحيى بن سعيد الأنصاري: ثقة، ثبت.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٣٢١)، «التقريب» (ص ٥٩١) تحقيق محمد عوامة، وقد سقطت عبارة التوثيق من الطبعة المصرية.

ـ فالإسناد ضعيف لحال عبد الله بن سفيان الواسطي.

هـ ـ ورواه الآجُرِّي في «الشريعة»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (ص ١٦): عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس، وذكر حديثاً طويلاً فيه اختلاف اليهود ثم النصارى، ثم قال: «وتعلو أمتي على الفريقين جميعاً بملَّة واحدة».

ـ ورواه أيضاً ابن مردويه؛ كما في «تفسير ابن كثير»: سورة المائدة، (٢ / ٧٦ ـ ٧٧)، وقال ابن كثير: «هٰذا حديث غريب جدّاً من هٰذا الوجه بهٰذا السياق...».

ـ ورواه أبو يعلى؛ كما في «المطالب العالية»: كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، (ل: ٢٠٢ ـ المسندة).

=

= ـ وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (رقم ٢٤٨)، (١ / ٢٢٤).

ـ وأبو معشر: هو نجيح بن عبد الرحمٰن السندي: ضعيف، مختلط.

وانظر: «التهذيب» (١٠ / ٤١٩)، «التقريب» (٢ / ٢٩٨).

ـ ويعقوب بن زيد بن طلحة: ثقة.

«التهذيب» (١١ / ٣٨٥).

ـ وزيد بن أسلم: ثقة، فقيه، عالم، وكان يرسل.

«التهذيب» (٣ / ٣٩٥)، «التقريب» (١ / ٢٧٢).

ـ فهٰذا الإسناد ضعيف لضعف أبي معشر.

و ـ ورواه الآجُرِّي ـ أيضاً ـ: من طريق شبابة بن سوار، قال: أخبرنا سليمان بن طريف، عن أنس، بمعناه، (ص ١٧).

ـ وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم، (رقم ٢٤٩)، (١ / ٢٢٥).

ـ وشبابة بن سوار: ثقة، حافظ.

«التقريب» (١ / ٣٤٥).

ـ أما سليمان بن طريف ـ أو طريف بن سليمان ـ؛ فهو مشهورٌ بكنيته: أبي عاتكة، ولذٰلك قال الشيخ الألباني في «سلسلته الصحيحة» (١ / ٣ / ١٦): «لم أجد له ترجمة»، وهو مترجم في «التهذيب» وغيره: قال البخاري: «منكر الحديث»، وقال أبو حاتم: «ضعيف الحديث ذاهب الحديث»، وقال ابن حبان: «منكر الحديث جدّاً»، وقال الدارقطني: «ضعيف».

«التاريخ الكبير» (٤ / ٣٥٧)، «الجرح والتعديل» (٤ / ٤٩٤)، «المجروحين» (١ / ٣٨٢)، «التهذيب» (١٢ / ١٤١).

ز ـ ورواه ـ أيضاً ـ من طريق سويد بن سعيد، قال: حدثنا مبارك بن سحيم، عن عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس، وفيه: «وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها =

= في النار إلا السواد الأعظم».

ـ ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (رقم ٢٥٠)، (١ / ٢٢٦).

ـ والجورقاني في الأباطيل: ٤ ـ كتاب الفتن، ١ ـ باب افتراق هٰذه الأمة، برقم (٢٨٥)، (١ / ٣٠٣).

ـ وسويد: مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب.

انظر: «الكامل» (٣ / ١٢٦٣)، «التهذيب» (٤ / ٢٧٢).

ـ ومبارك بن سُحَيم مولى عبدالعزيز بن صهيب: متروك.

انظر: «التهذيب» (١٠ / ٢٧)، «التقريب» (٢ / ٢٢٧).

ـ فهٰذا إسناد ضعيف جدًّا لحال مبارك.

ح ـ ورواه ابن عدي في: ترجمة خلف بن ياسين الزيات، (٣ / ٩٣٤): من طريق خلف، حدثنا الأبرد بن الأشرس، عن يحيى بن سعيد، عن أنس، وفي متنه اضطراب، حيث قال: «تفترق أمتي على إحدى وسبعين فرقة؛ كلها في النار؛ إلا واحدة». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «الزنادقة وهم أهل القدر».

ـ وبنحوه رواه الجورقاني في «الأباطيل»: ٤ ـ كتاب الفتن، ١ ـ باب افتراق هٰذه الأمة، برقم (٢٧٧ ـ ٢٨٠)، (١ / ٩٦).

ـ والحديث بهٰذا الإسناد موضوع؛ فإن خلفاً عدَّه العقيلي في المجهولين، وقال ابن عدي: «لم أر لخلف غير هٰذا الحديث. . . ورواياته عن مجهولين».

«الضعفاء» للعقيلي (٢ / ٢٣)، «الكامل» (٣ / ٤).

ـ والأبرد بن الأشرس: قال ابن خزيمة: «كذاب وضَّاع».

«المغني» (١ / ٣٢).

ـ وقال ابن حجر بعد سياقه الحديث كما سقته: «هٰذا موضوع، وهو ـ كما ترى ـ متناقض».

«لسان الميزان» (٢ / ٤٠٥).

=

● وعن أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ، قال:

«افترقت بنو إسرائيلَ على إحدى وسبعين فرقةً ـ أو قالَ: اثنتينِ وسبعينَ فرقةً ـ، وتزيدُ هٰذه الأمَّةُ فرقةً واحدةً؛ كلها في النار؛ إلا السواد الأعظم».

فقال له رجلٌ: يا أبا أُمامة! مِن رأيك أو سمعتَه من رسول الله ـ ﷺ ـ؟

قال: إنِّي إذاً لجريءٌ، بل سمعتُه من رسولِ الله ـ ﷺ ـ غير مرةٍ، ولا

ـ وقال الجورقاني: «هٰذا حديث لا يُرجع منه إلى صحة، وليس لهٰذا الحديث أصل من حديث يحيى بن سعيد، ولا من حديث سعد بن سعيد...».

ط ـ ورواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: ٧ ـ قوله ـ ﷺ ـ: «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة» (رقم ٤٠)، (ص ٢٤): من طريق الحجاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم الأصبهاني، قال: حدثنا بشر بن الحسن، قال: حدثنا الزبير بن عدي، عن أنس.

ـ والحجاج بن يوسف بن قتيبة هو: أبو محمد الأزرق: له ترجمة في «تاريخ أصبهان» (١ / ٣٠١).

ـ وبشر بن الحسين: قال البخاري: «فيه نظر»، وقال الدارقطني: «متروك»، وقال أبو حاتم الرازي حين سئل عن أحاديثه عن الزبير عن أنس؛ قال: «هي أحاديث موضوعة»، وقال ابن حبان: «يروي عن الزبير بن عدي نسخة موضوعة، ما لكثير حديث منها أصل... روى عنه حجاج بن يوسف بن قتيبة تلك النسخة»، وقال الدارقطني: «يروي عن الزبير بواطيل».

«الجرح والتعديل» (٢ / ٣٥٥)، كتاب «المجروحين» (١ / ١٩٠)، «الميزان» (١ / ٣١٥)، «التهذيب» (٣ / ٣١٧).

فقد حكم الأئمة على هٰذه النسخة ـ ومنها هٰذا الحديث ـ بأنها باطلة موضوعة.

ـ فإذا استبعدنا الطرق الأربع الأخيرة؛ بقي لدينا ست طرق كلها ضعيفة ضعفاً منجبراً، وهي تؤكد ثبوت الحديث عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

مرتينِ، ولا ثلاثٍ[1].

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة»: **١٩** - باب فيما أخبر به النبي - عليه السلام - أن أمته ستفترق، (رقم ٦٨) (١ / ٣٤).

- ومحمد بن نصر المروزي في «السنة»: (ص ١٦ و١٧).

- والطبراني في «الكبير»: برقم (٨٠٣٥ و٨٠٥١ و٨٠٥٤)، (٨ / ٣٢١ و٣٢٧ و٣٢٨).

- واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روى عن النبي - ﷺ - في الحث على اتباع الجماعة، (رقم ١٥١ و١٥٢)، (١ / ١٠٢ - ١٠٤).

- وابن أبي زمنين في «أصول السنة»: باب النهي عن مجالسة أهل الأهواء، (ل: ٣٦ - ٣٧).

- والحارث بن أبي أسامة؛ كما في «المطالب العالية»: كتاب الإيمان والتوحيد، باب افتراق الأمة (ل: ٢٠٢ - المسندة).

- وأبو نُعيم الأصبهاني في «ذكر أخبار أصبهان»، في: ترجمة حزور الأصبهاني أبي غالب، (١ / ٢٨٦).

- ورواه البيهقي في «السنن»: كتاب قتال أهل البغي، باب الخلاف في قتال أهل البغي، (٨ / ١٨٨).

- ورواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»: باب ما جاء في ظهور البدع والأهواء، (ل: ٢٤ / ب).

- ومدار أسانيدهم جميعاً على أبي غالب، عن أبي أمامة.

- فرواه ابن أبي عاصم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا قطن بن عبدالله، عن أبي غالب.

- وأبو بكر بن أبي شيبة: هو الإمام عبدالله بن محمد بن إبراهيم: ثقة، حافظ. «التهذيب» (٦ / ٢)، «التقريب» (١ / ٤٤٥).

- أما قطن بن عبد الله، أبو مُرّي - بضم الميم، وتشديد الراء -؛ فذكره البخاري، ثم ابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وكذلك مسلم، والدولابي في «الكنى»، =

= وقد روى عنه اثنان، فهو مستور.

«التاريخ الكبير» (٧ / ١٨٩)، «الجرح والتعديل» (٧ / ١٣٧)، «الكنى» لمسلم (٢ / ٨٣٣) - ووقع فيه مطبوعاً ومخطوطاً: «قطري» -، «الكنى» للدولابي، (١ / ١١٢).

ــ أما أبو غالب؛ فهو حزور؛ كما سماه مسلم، ويحيى بن معين، وابن عدي، والطبراني، والدولابي، وابن عبدالبر، وغيرهم: قال يحيى بن معين: «ثقة»، وفي رواية: «صالح الحديث»، وقال الدارقطني: «ثقة»، ووثقه موسى بن هارون، وضعَّفه أبو حاتم، والنسائي، وابن حبان، وقال ابن عدي: «... ولم أر في حديثه حديثاً منكراً جدّاً، وأرجو أنه لا بأس به»، وقال ابن حجر: «صدوق يخطىء»، وقال الذهبي: «صالح الحديث».

«تاريخ الدارمي عن يحيى بن معين» (ص ٢٣٦)، «الجرح والتعديل» (٣ / ٣١٦)، «الكنى» للدولابي (٢ / ٧٩)، «الكنى» لمسلم (٢ / ٦٦٥)، «الاستغناء» لابن عبدالبر (٢ / ٨٧١)، «الكامل» (٢ / ٨٦٠)، «التهذيب» (١٢ / ١٩٧)، «التقريب» (٢ / ٤٦٠)، «الكاشف» (٣ / ٣٢٢).

ــ فالحديث بهذا الإسناد ضعيف؛ لجهالة قطن بن عبدالله.

ــ لكنه لم ينفرد به، بل تابعه عدد من الرواة؛ منهم:

ــ حماد بن زيد عند: البيهقي، وابن أبي زمنين، والطبراني، والداني.

وحماد: ثقة، ثبت، فقيه.

انظر: «التهذيب» (٣ / ٩)، «التقريب» (١ / ١٩٧).

ــ وقريش بن حبان عند الطبراني.

ــ وسلم بن زرير عند: الطبراني، واللالكائي.

ــ وداود بن السليك عندهما.

ــ وداود بن أبي الفرات عند المروزي.

ــ فالحديث ـ بهذا ـ إسناده حسن.

ــ وقد قال فيه الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات».

«المجمع» (٦ / ٢٣٤). =

● وعن سعد بن أبي وقَّاص ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«افترقتْ بنو إسرائيلَ على إحدى وسبعين ملَّةً، ولن تذهبَ الليالي والأيامُ حتى تفتَرِقَ أُمَّتي على مثلِها»[1].

= وقال في موضع آخر: «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» بنحوه، وفيه أبو غالب، وثَّقه ابن معين وغيره، وبقية رجال «الأوسط» ثقات، وكذلك أحد إسنادي (الكبير)».

«المجمع» (٧ / ٢٥٨).

(١) رواه الآجري في «الشريعة»: باب ذكر افتراق الأمم، (ص ١٧).

ـ والمروزي في «السنة» (ص ١٧).

ـ والبزار؛ كما في «كشف الأستار»: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (رقم ٢٨٤)، (٤ / ٩٧)، وقال: «لا نعلمه يروى عن سعد إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى (عبدالله ابن عبيدة* عن عائشة عن أبيها إلا هذا».

ـ وابن بطة في «الإبـانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، (رقم ٢٤٢ و٢٤٥ ـ ٢٤٦)، (١ / ٢١٨ و٢٢١ ـ ٢٢٢).

ـ كلهم من طريق أحمد بن عبدالله بن يونس، عن أبي بكر بن عياش، عن موسى بن عبيدة، عن عائشة بنت سعد.

ـ وأحمد بن عبد الله بن يونس: ثقة، حافظ.

«التقريب» (١ / ١٩).

ـ وأبو بكر بن عياش: هو ابن سالم الأسدي الكوفي المقرىء: ثقة، عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه.

انظر: «تهذيب الكمال» (٣ / ١٥٨٦)، «التقريب» (٢ / ٣٩٩). =

* كذا، والذي في السند المطبوع: موسى بن عبيدة، وقد عدَّه المحقق الشيخ الأعظمي خطأ، ونبه عليه، وفي تخطئته نظرٌ؛ لما ذكرتُه في إسناد هذا الحديث.

● وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«. . . يا ابن مسعود! هل علمتَ أنَّ بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقةً لم ينجُ منها إلا ثلاثُ فرق: فرقةٌ أقامت في الملوك والجبابرةِ، فدعت إلى دين عيسى، فأُخِذَتْ، فقُتِلَت بالمناشير، وحُرِّقت بالنيران، فصبرت حتى لحقت بالله. ثم قامت طائفةٌ أخرى لم تكن لهم قوة، ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال، فتعبَّدت وترهَّبت، وهم الذين ذكرهم الله فقال:

= ـ وموسى بن عبيدة: هو الربذي، ضعيف.

«التقريب» (٢ / ٢٨٦).

ـ وعائشة بنت سعد: ذكرها ابن حبان في «الثقات»، وقال العجلي: «تابعية، ثقة، مدنية».

«الثقات» لابن حبان (٥ / ٢٨٨)، «ثقات» العجلي (ص ٥٢١)، وانظر: «تهذيب التهذيب» (١٢ / ٣٦).

ـ فالإسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي.

ـ وفي إسناد المروزي وإحدى طرق ابن بطة دخل بين موسى وعائشة: عبدالله بن عبيدة، وهو الربذي، أخو موسى بن عبيدة.

وهذا الصنيع يفسر قول البزار السابق، ويضيف إلى الحديث علة أخرى؛ فإن عبدالله هذا وثَّقه يعقوب بن شيبة، والدارقطني، وقال النسائي: «ليس به بأس»، وقال أحمد عنه وعن أخيه: «لا يشتغل بهما»، وقال ابن معين: «حديثهما ضعيف»، وقال عن عبدالله: «ليس بشيء»، وقال ابن عدي: «تبين على حديثه الضعف»، وقال ابن حجر: «ثقة»، وقال الذهبي: «صدوق، فيه شيء».

«التهذيب» (٥ / ٣٠٩)، «الكاشف» (٢ / ٩٥)، «التقريب» (١ / ٤٣١).

مع دلالته على اضطراب موسى أو غيره في روايته للحديث، فمرة يرويه عن عبدالله ومرة عن عائشة.

﴿ورَهْبـانِيَّةً ابْتَدَعُوها مَا كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ. . . وكَثيرٌ مِنْهُم فَاسِقونَ﴾[1]. وفِرقةٌ منهم آمنت، فهُم الذين آمنوا وصدَّقوني، وهم الذين رعَوْها حقَّ رعايتِها، وكثيرٌ منهُم فاسِقون، وهم الذين لم يؤمِنوا بي، ولم يصدِّقوني، ولم يرعَوْها حقَّ رعايَتِها، وهم الذين فسَّقَهُم الله»[2].

---

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»: برقم (١٠٣٥٧)، (١٠ / ٢١١).

ـ وابن أبي حاتم في «تفسيره»؛ كما ساقه ابن كثير في «التفسير»: تفسير سورة الحديد، (٤ / ٣١٥).

ـ وابن أبي عاصم في «السنة»: ١٩ ـ باب فيما أخبر به النبي ـ عليه السلام ـ أن أمته ستفترق، (رقم ٧١)، (١ / ٣٥).

ـ كلهم من طريق هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن القاسم بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه، عن جده.

ـ وهشام: صدوق.

ـ والوليد: ثقة يدلس تدليس التسوية، فيلزم للحكم باتصال السند أن يصرِّح هو وجميع مَن فوقه بالتحديث.

ـ وبكير بن معروف: هو الأسدي: قال أحمد وأبو حاتم والنسائي وابن عدي: «لا بأس به»، ووثقه ابن حبان وغيره، وتكلَّم فيه ابن المبارك، وأحمد في رواية، وقال ابن حجر: «صدوق، فيه لين».

«التهذيب» (١ / ٤٩٥)، «التقريب» (١ / ١٠٨)، «الميزان» (١ / ٣٥١).

ـ ومقاتل بن حيان: ثقة.

انظر: «التهذيب» (١٠ / ٢٧٧)، «التقريب» (٢ / ٢٧٢).

ـ والقاسم بن عبد الرحمٰن: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٨ / ٣٢١)، «التقريب» (٢ / ١١٨).

ـ وأبوه عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود: ثقة.

=

= انظر: «التهذيب» (٦ / ١٥)، «التقريب» (١ / ٤٤٨).

ـ فالإسناد ضعيف؛ لما سبق من تدليس الوليد.

لكنه جاء من طريق أخرى:

ـ عند الطبراني في «الكبير»: برقم (١٠٥٣١)، (١٠ / ٢٧١).

وفي «الصغير»: من اسمه عبدالله، (١ / ٢٢٣).

ـ والمروزي في «السنة»: (١)، (ص ١٦).

ـ وابن أبي عاصم في: ١٩ - باب فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام، (رقم ٧٠)، (١ / ٣٥).

ـ والطبري في «التفسير»: تفسير سورة الحديد، (٢٧ / ٢٣٩).

ـ وأبي يعلى؛ كما ذكره ابن كثير في: تفسير سورة الحديد، (٤ / ٣١٦).

ـ والحاكم في: كتاب التفسير، تفسير سورة الحديد، (٢ / ٤٨٠)، وقال: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه»، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «ليس بصحيح؛ فإنه الصعق وإن كان موثقاً؛ فإن شيخه منكر الحديث. قاله البخاري».

ـ كلهم من طريق الصعق بن حزن، حدثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غَفَلَة.

ـ والصعق: صدوق، يهم؛ كما في «التقريب» (١ / ٣٦٧)، وسبق قول الذهبي فيه.

ـ أما عقيل؛ فقال البخاري: «منكر الحديث»، وقال ابن حبان: «منكر الحديث، يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات، فبطل الاحتجاج بما روى، وإن وافق فيه الثقات».

«التاريخ الكبير» (٧ / ٥٣)، «كتاب المجروحين» (٢ / ١٩٢).

ـ وبهٰذا يتبيَّن أن قول ابن كثير في «التفسير» (٤ / ٣١٦) عقب سياقه للطريق الثانية: «فقوي الحديث من هٰذا الوجه» فيه نظر؛ فإن رواية عقيل وأضرابه لا يكتسب الحديث بها قوة. =

● وعن أبي الدرداء وأبي أُمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهم ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«. . . ذروا المِراء؛ فإن بني إسرائيل افتَرقوا على إحدى وسبعين فرقةً، والنَّصارى على ثنتينِ وسبعين فرقةً؛ كلُّهم في الضَّلالة إلا السواد الأعظم».

قالوا: يا رسول الله! ومَن السواد الأعظم؟

قال: «مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي، مَن لم يمارِ في دين الله، ومَن لم يكفِّر أحداً من أهل التوحيد بذنب غفر له»[1].

● وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد عن أبيه عن جده؛ قال: كنا قُعوداً حول رسول الله ـ ﷺ ـ في مسجده، فقال:

«لَتَسْلُكُنَّ سَنَن مَن قبلكم حَذْوَ النَّعل بالنَّعل، ولتأخُذُنَّ مثل أخذهم، إن شبراً فشبر، وإن ذراعاً فذراع، وإن باعاً فباع، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ دَخَلْتُم فيه.

= ـ وقد قال السيوطي في «الدر»: «أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول». . . وابن المنذر. . . وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن عساكر من طرق عن ابن مسعود (فذكره)» (٨ / ٦٤).

(١) رواه الطبراني في «الكبير»: برقم (٧٦٥٩)، (٨ / ١٧٨).

ـ وابن حبان في «المجروحين»: في ترجمة كثير بن مروان الشامي (٢ / ٢٢٥).

ـ والحديث ـ بهٰذا الإسناد ـ باطل؛ لأنه من طريق كثير بن مروان الشامي، وهو ضعيف جدّاً ـ كما سبق في الرسالة الأولى ـ عن عبدالله بن يزيد الدمشقي.، وهو أشد ضعفاً منه، بل قد قال فيه الإمام أحمد: «أحاديثه موضوعة»، وسئل أبو حاتم عنه وعن حديث رواه، فقال: «لا أعرفه، وهٰذا حديث باطل».

وانظر طرف الحديث المتعلِّق بغربة الإسلام في الرسالة الأولى من هٰذه السلسلة.

ألا إن بني إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقةً؛ كلها ضالةٌ؛ إلا فرقةً واحدةً: الإسلام وجماعتُهم.

وإنهـا افتـرقتْ على عيسى ابنِ مريمَ على إحـدى وسبعينَ فرقةً؛ كلها ضالة؛ إلا فرقةً واحدةً: الإسلام وجماعتُهم.

ثم إنَّهم يكونون[1] على اثنتينِ وسبعين فرقةً؛ كلها ضالَّةٌ؛ إلا فرقةً واحدةً: الإسلام وجماعتُهم»[2].

● وعن علي بن أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنه دعا رأس الجالوت[3] وأسقُف النَّصارى[4]، فقالَ: إنِّي سائِلُكم عن أمر ـ وأنا أعلم به منكما ـ؛ فلا تكتماني.

---

(١) كذا في «المستدرك»، ولعلها: «ثم إنكم تكونون».

(٢) رواه الحـاكم في «مستـدركه» في آخر كتاب العلم، (١ / ١٢٩)، وقال قبل روايته: «وقد رُوِيَ هٰذا الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن عوف المزني بإسنادين، تفرد بأحدهما عبدالرحمٰن بن زياد الإفريقي، والآخر كثير بن عبدالله المزني، ولا تقوم بهما الحجة.

ــ وهٰذا الإسناد ضعيف جدّاً؛ لحال كثير بن عبدالله، وقد سبق بيان حاله في تخريج حديث الغربة في الرسالة الأولى.

(٣) **الجالوت**: اسم أعجمي؛ كما في «القاموس» (١ / ١٥١).

ولم أقف على تعريف برأس الجالوت، لكن من الواضح في سياق الرواية أنه من كبار زعماء اليهود في بلاد الإسلام.

(٤) **الأسقف**: بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء أو تخفيها، رئيس النصارى، وقيل: هو فوق القسيس، ودون المطران.

«القاموس» (٣ / ١٥٧).

ولعله المعبَّر عنه في الحديث الآتي بالجاثليق.

يا رأس الجالوت! أنشدتُك الله الذي أنزل التوراةَ على موسى، وأطعمكم المنَّ والسلوى، وضرب لكم في البحر طريقاً، وأخرج لكم من الحجر اثنتي عشرة عيناً، لكل سِبْطٍ من بني إسرائيل عينٌ؛ إلا ما أخبرتَني: على كَم افترقت بنو إسرائيل بعد موسى؟ فقال له: ولا فرقة واحدة! فقال له عليٌّ ـ ثلاث مرار ـ: كذبتَ، واللهِ الذي لا إله إلا هو؛ لقد افترقت على إحدى وسبعين فرقةً؛ كلها في النار إلا فرقة.

ثم دعا الأسقف، فقال: أنشدك الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، وجَعَلَ على رَحْلِهِ البركة، وأراكم العِبرة، فأبرأ الأكمه، وأحيى الموتى، وصنع لكم من الطين طيوراً، وأنبأكم بما تأكلون وما تدَّخِرون في بيوتِكُم، فقال: دون هٰذا أصدقك يا أمير المؤمنين. فقال: على كم افترقتِ النَّصارى بعد عيسى من فرقة؟ فقال: لا والله ولا فرقة. فقال ـ ثلاث مرار ـ: كذبتَ، واللهِ الذي لا إلٰه إلا هو؛ لقد افترقت على ثنتينِ وسبعينَ فرقةً؛ كلها في النار إلَّا فرقةً.

فأما أنت ـ يا يهوديُّ ـ؛ فإن الله يقول: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلونَ**﴾[1]، فهي التي تنجو.

وأما أنت ـ يا نصرانيُّ ـ؛ فإن الله يقول: ﴿**مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثيرٌ مِنْهُم سَاءَ ما يَعْمَلونَ**﴾[2]، فهي التي تنجو.

وأما نحن؛ فيقول: ﴿**ومِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾[3]،

---

(١) الأعراف: ١٥٩.

(٢) المائدة: ٦٦.

(٣) الأعراف: ١٨١.

وهي التي تنجو من هٰذه الأمة[1].

(١) رواه الإمام المروزي في كتاب «السنة»: (ص ١٨ ـ ١٩): من طريق يونس بن عبد الأعلى، أنبأ ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء البكري، قال: سمعت علي بن أبي طالب: (فذكره).

ـ ويونس بن عبد الأعلى: ثقة، ثبت.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٤٤٠)، «التقريب» (٢ / ٣٨٥).

ـ وابن وهب: هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي: ثقة، حافظ، عابد.

ـ وأبو صخر: هو حميد بن زياد المدني، أبو صخر الخراط، صاحب العباء: قال أحمد وابن معين: «ليس به بأس»، وضعفه النسائي، وابن معين في رواية، وذكر ابن عدي بعض مناكيره، ثم قال: «وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيماً»، وقال ابن حجر: «صدوق يهم».

«تهذيب الكمال» (٧ / ٣٦٦ ـ المطبوع)، «التقريب» (١ / ٢٠٢).

ـ وأبو معاوية البجلي اختلفوا فيه: من هو؟ قال ابن حجر في «التقريب»: «هو عمارٌ الدُّهني، وإلا فمجهول الحال»، والذي يظهر أنه هو، روى عمار عن سعيد بن جبير، وروى عنه أبو صخر حميد بن زياد، ووثقه أحمد، ويحيى بن معين، وأبو حاتم، وقد قيل: إنه لم يسمع من سعيد.

انظر: «الجرح والتعديل» (٦ / ٣٩٠)، «تهذيب التهذيب» (٧ / ٤٠٦)، «التقريب» (٢ / ٤٧٤)، وانظر: «التاريخ الكبير» (٧ / ٢٨)، «الكنى» لمسلم (٢ / ٧٥٨)، «الاستغناء» (٢ / ٦٨٣).

ـ وسعيد بن جبير: ثقة، ثبت.

«تهذيب التهذيب» (٤ / ١١)، «التقريب» (١ / ٢٩٢).

ـ وأبو الصهباء البكري: هو صهيب مولى ابن عباس: وثَّقه أبو زرعة، وابن حبان، والعجلي، وضعفه النسائي.

انظر: «الجرح والتعديل» (٤ / ٤٤٤)، «تهذيب التهذيب» (٤ / ٤٣٩)، «الاستغناء» (٢ / ٧٨١)، (٣ / ١٣٦٢)، «ثقات العجلي» (ص ٢٣٠). =

= ـ فالإسناد ضعيف؛ لحال أبي صخر، واحتمال الانقطاع بين عمار وسعيد.

ـ وقد رواه ابن وهب في «جامعه»؛ كما ذكر الشاطبي في «الاعتصام» (٢ / ٢٤٢).

ـ وقد روى ابن وضَّاح في «البدع والنهي عنها» عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تكون هٰذه الأمة على بضع وسبعين ملَّة، كلها في الهاوية، وواحدة في الناجية» (ص ٨٥).

ـ رواه عن أبي مروان عبد الملك بن حبيب البزار، أخبرنا إبراهيم بن محمد الفزاري، عن العلاء بن المسيب، عن معاوية العبسي، عن زاذان، عن علي.

ـ ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينها، (رقم ٢٥٣)، (١ / ٢٢٨).

ـ وعبد الملك بن حبيب: هو أحد الأئمة، كثير الوهم، اشتدَّ ابن حزم عليه، وجهَّله بعضهم، قال الذهبي: «الرجل أجَلُّ من ذٰلك، لكنه يغلط».

والذي يظهر أن الرجل كانت له عناية بالفقه والأدب ومجالسة الكبراء، ولم يكن مشتغلاً بالحديث، أما اتهامه بالكذب فمطَّرح مردود.

انظر: «ميزان الاعتدال» (٢ / ٦٥٢)، «تهذيب التهذيب» (٦ / ٣٨٩)، وانظر ترجمة مطولة له في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٤ / ١٢٢ ـ ١٤٢).

ـ أما إبراهيم بن محمد الفزاري؛ فهو ثقة إمام حافظ، يكنى أبا إسحاق.

انظر: «تهذيب التهذيب» (١ / ١٥١)، «التقريب» (١ / ٤١).

ـ والعلاء بن المسيب: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٨ / ١٩٢)، «التقريب» (٢ / ٩٤).

ـ أما معاوية العبسي أو القيسي؛ كما في «الإبانة الكبرى» لابن بطة، فإنني لم أجده في كتب التراجم المطبوعة التي وقفتُ عليها.

ـ وزاذان: ثقة.

«تهذيب التهذيب» (٣ / ٣٠٢)، «الكاشف» (١ / ٢٤٦).

ـ وروى المروزي في «السنة» (ص ١٩) عن إسحاق بن إبراهيم، أنبأ عطاء بن =

= مسلم الحلبي، قال: سمعتُ العلاء بن المسيب، يحدث عن شريك البرجمي، قال: حدثني زاذان أبو عمر، قال: قال علي: يا أبا عمر: أتدري كم افترقت اليهود؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة، وهي الناجية. والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية.

يا أبا عمر! أتدري على كم تفترق هٰذه الأمة؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة، وهي الناجية...

ـ وإسحاق بن إبراهيم: هو ابن راهويه، الإمام، الثقة، الحافظ، المجتهد.

انظر: «التهذيب» (١ / ٢١٦)، «التقريب» (١ / ٥٤).

ـ وعطاء بن مسلم الحلبي هو الخفَّاف، رجل صالح في أحاديثه بعض النكارة، وقال ابن حجر: «صدوق، يخطىء كثيراً».

«تهذيب التهذيب» (٧ / ١١)، «التقريب» (٢ / ٢٢).

ـ وشريك البرجمي ذكره البخاري ثم ابن أبي حاتم دون جرح ولا تعديل، روى عنه العلاء بن المسيب، فهو على هٰذا مجهول.

انظر: «التاريخ الكبير» (٤ / ٢٤٠)، «الجرح والتعديل» (٤ / ٣٦٥).

ـ والعلاء بن المسيب وزاذان: سبقا قبل قليل.

ـ فالإسناد ضعيف لحال شريك، وعطاءٌ ـ وإن كان يخطىء كثيراً ـ إلا أنه قد توبع في الطريق السابقة.

ـ فهٰذه ثلاث طرق عن علي ـ رضي الله عنه ـ ولكنها ضعيفة لا تثبت.

ـ وقد جاء في رواية حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ في الافتراق قول يعقوب بن زيد ـ أحد رجال السند ـ: وكان علي بن أبي طالب إذا حدث بهٰذا الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ تلا منه قرآناً: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾، ثم ذكر أمة عيسى، فقال: ﴿ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتابِ آمَنُوا واتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ ولأدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعيمِ﴾ [المائدة: ٦٥].

ثم ذكر أمَّتنا، فقال: ﴿ومِمَّن خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾. =

● وعن عبـد الله بن قيسٍ ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: اجتمعَ عند عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ جاثليتو[1] النصارى ورأس الجالوت:

فقال الرأس: تُجادِلون على كم افترقتِ اليهود؟ قال: على إحدى وسبعين فرقةً.

فقال عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ: لتفترِقَنَّ هٰذه الأمَّةُ على مثل ذٰلك، وأضلُّها فرقةً وشَرُّها: الدَّاعية إلينا ـ أهل البيتِ ـ، آية ذٰلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما[2] ـ.

= وسبق تخريج الحديث.

ــ ويعقـوب بن زيد، وإن كان ثقـة ـ كمـا سبق ـ؛ إلا أنـه لم تذكـر له رواية عن الصحابة، فحديثه عن علي مرسل.

(١) كذا، ولعلها: الجاثليق ـ بفتح المثلَّثة، وآخره قاف، وهو رئيس النصارى في بلاد الإسلام.

«القاموس» (٣ / ٢٢٤).

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»: باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفتـرق الأمـة؟ (رقم ٢٥٤)، (١ / ١٢٢٩)، قال: حدثنـا أبو علي إسماعيل بن العباس الوراق، قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا سوادة بن سلمة أن عبدالله بن قيس قال: (فذكره).

ــ وأبو علي إسماعيل بن العباس الورَّاق: روى عنه الدارقطني ووثقه، وقال الذهبي: «المحدث الإمام الحجة»، وذكره يوسف بن عمر القوَّاس في جملة شيوخه الثقات.

انظر: «تاريخ بغداد» (٦ / ٣٠٠)، «المنتظم» لابن الجوزي (٦ / ٢٧٨)، «سير أعلام النبلاء» (١٥ / ٧٤).

ــ والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، ثقة.

«تهذيب التهذيب» (٢ / ٣١٨)، «التقريب» (١ / ١٧٠). =

● وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«تفرَّقَتِ اليهود على واحدة وسبعين فرقةً؛ كلها في النار، وتفرَّقت النصارى على ثنتينِ وسبعين فرقةً؛ كلها في النار، وإن أُمَّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقةً؛ كلها في النار؛ إلا واحدة».

فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! أخبِرْنا مَن هُم؟

قال: «السواد الأعظم»(١).

OOOOO

= ـ وشبابة هو ابن سوار الفزاري: ثقة، مرجىء.

انظر: «تهذيب التهذيب» (٢ / ٣١٨)، «التقريب» (١ / ١٧٠).

ـ أما سوادة بن سلمة؛ فلم أقف له على أثر بعد البحث.

ـ وعبد الله بن قيس: هو أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

ـ فرجال الإسناد ثقات، عدا سوادة هذا، وهو يشبه حديث علي ـ رضي الله عنه ـ وقصته مع رأس الجالوت وأسقف النصارى.

ـ ورواه في «الشرح والإبانة» تعليقاً بلفظ: «تفترق هذه الأمة على نيِّف وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحل حبنا، وتخالف أمرنا»، (رقم ٢٢٩) (ص ١٦٩).

(١) رواه أسلم بن سهل الواسطي في «تاريخ واسط»، في ترجمة محمد بن الهيثم السمسار، (ص ٢٣٥)، قال: حدثنا محمد بن الهيثم، قال: حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس، عن جدته، عن جابر.

ـ ومحمد بن الهيثم السمسار: ثقة حافظ.

«تهذيب التهذيب» (٩ / ٤٩٨)، «الكاشف» (٣ / ٩٢)، «التقريب» (٢ / ٢١٥).

ـ وشجاع بن الوليد: أبو بدر الكوفي: قال أحمد: «كان شيخاً صالحاً صدوقاً»، وقال أبو زُرعة: «لا بأس به، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم»، وقال الذهبي: «الحافظ الصالح». =

هٰذه هي الأحـاديث التي أمكن الوقوف عليها في خبر الاختلاف والفرقة الناجية، وهي خمسة عشر حديثاً.

وهٰذه الأحاديث عن هٰذا الجمع من الصحابة تَجْعَلُ من المُتَيَقَّنِ ـ عند مَن اطَّلع عليها وعلى طرقها ـ صدورَ هٰذا الخبر عن النبي ـ ﷺ ـ.

وفيه بيانُ حتميَّةِ افتراق الأمَّة، واختلافها هٰذا الاختلاف الواسع العريض؛ كما افترقت واختلفت الأمم الكتابية قبلها، بل أشدُّ من ذٰلك. وهٰذا تخويفٌ وتحذيرٌ لها من ذٰلك.

وأن هٰذه الفرق كلها مذمومة متوعَّدة بالنار؛ إلا فرقة واحدة، وهي الفرقة الناجية الغريبة بين هٰذه الأهواء المختلفة. وهٰذا تبشيرٌ وتبصيرٌ.

وفيه بيان أن الحق لا يزال الله يقيِّض له مَن يحمله، ويصبر عليه.

وفيه حثٌّ للمسلم على معرفة سبيل الناجين، وسلوكها.

○ كم عددِ الفِرق في هٰذه الأمة؟

وحول عدد هٰذه الفرق يلحظ المتأمل للأحاديث السابقة ما يلي:

١ ـ بعضها أطلقت (البضع) دون تحديد عدد، وذٰلك في حديث عوف

= «الضعفاء الكبير» (٢ / ١٨٤)، «تاريخ بغداد» (٩ / ٢٤٧)، «تهذيب التهذيب» (٤ / ٣١٣)، «الكاشف» (٢ / ٥)، وانظر: «التقريب» (١ / ٣٤٧).

ــ وعمرو بن قيس: لم أقف عليه، وكذا جدته، وقد ذكروا ممَّن يسمى بهٰذا الاسم: عمرو بن قيس بن يسير بن عمرو الكوفي سمع أباه.

وانظر: «التاريخ الكبير» (٦ / ٣٦٤)، «الجرح والتعديل» (٦ / ٢٥٤).

ــ وقد ذكر الحافظ ابن حجر رواية جابر، ثم قال: «وفي إسناده راوٍ لم يُسَمَّ». «الكافي الشاف» (ص ٦٣)، (حديث رقم ١٧).

بن مالك من طريق نُعيم بن حمَّاد، وهو حديث منكر، ولو صح لفظ (البضع)؛ لأمكن حمله على العدد المحدَّد في الأحاديث الأخرى، ومثله لفظ (نَيِّف) في رواية ابن بطة في «الشرح والإبانة».

٢ ـ وبعضها حدَّدت العدد بـ (إحدى وسبعين)؛ كما في حديث سعد، وهو ضعيف، وحديث أبي موسى، وهو كذٰلك.

٣ ـ وبعضها حدَّدت العدد بـ (ثنتينِ وسبعين)؛ كما في بعض طرق الحديث عن أنس[1]، وحديث عمرو بن عوف، وهو ضعيف جداً.

٤ ـ ومعظمها حدَّدت العدد بـ (ثلاث وسبعين)؛ كما في حديث أبي هريرة، ومعاوية، وعوف بن مالك، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وبعض الطرق عن أنس[2]، وعلي بن أبي طالب، وجابر.

وهٰذه الروايات المحدَّدة بثلاث وسبعين أرجح: من حيث الصحة، ومن حيث الكثرة.

أما رواية (إحدى وسبعين)؛ فتردُّ بضعف الحديث، مع مخالفة روايات أخرى أصح منها وأكثر، فهي مردودة حتى لو فُرِضت صحَّتُها، فكيف وهي ضعيفة؟!

وأما رواية (الثنتين والسبعين)؛ فهي ـ وإن كانت أمثل من سابقتها ـ إلا أنه يُقالُ فيها ما يقال فيها، وعلى التسليم بصحَّتها أو حسنها يمكن أن يُقال: إنه

---

(١) عند ابن ماجه وابن أبي عاصم، وإسنادها ضعيف كما سبق، وعند أحمد بسند ضعيف أيضاً، وعنده من طريق أخرى ضعيفة.

(٢) عند أسلم بن سهل في «تاريخ واسط»، والعقيلي في «الضعفاء»، والطبراني في «الصغير»، وعند الآجري في «الشريعة» من طرق.

اقتصر في هٰذا العدد على الفرق الهالكة، والناجية هي مكملة الثلاث والسبعين.

وإن أشكل على هٰذا بعض الروايات التي فصَّلَت، فذَكَرَتْ هلاك إحدى وسبعين فرقة، ونجاة فرقةٍ واحدة[1]، وهي روايات ضعيفة لا تقاوِم تلك.

والخلاصة: أن ترجيح رواية (ثلاث وسبعين فرقة) أمر ظاهرٌ غيرُ مُشْكِل.

○ ما هي الفرق الهالكة؟

أما تحديد هٰذه الفرق؛ فقد اشتغل العلماء بذٰلك منذ القديم، ومن أقدم مَن تكلَّم في ذٰلك يوسُف بن أسباط[2]، وعبدالله بن المبارك[3]، حيث قالا:

«أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدريَّة، والمرجئة»[4].

---

(١) كما في «المسند» (٣ / ١٤٥)، وهي مرسلة ضعيفة كما سبق.

(٢) **يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني**: كان من عبَّاد أهل الشام وقرائهم، وكان لا يأكل إلا الحلال، قال العجلي: «صاحب سنة وخير»، ووثقه ابن معين، وابن حبان، توفي سنة خمس وتسعين ومائة.

انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩ / ١٦٩)، «تهذيب التهذيب» (١١ / ٤٠٧)، «حلية الأولياء» (٨ / ٢٣٧).

(٣) **عبد الله بن المبارك**: الإمام، شيخ الإسلام في زمانه، أبوعبدالرحمٰن الحنظلي المروزي، ولد سنة ثمان عشرة ومائة، ومات سنة إحدى وثمانين ومائة، ومن سادات المسلمين وحفاظهم وشجعانهم وأجوادهم، له أخبار عجيبة.

انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٣٧٨)، «تهذيب التهذيب» (٥ / ٣٨٢)، «الحلية» (٨ / ١٦٢).

(٤) كلمة ابن أسباط رواها ابن أبي عاصم في «السنة»: ١٧٧ - باب في الإرجاء والمرجئة، (رقم ٩٥٣)، (ص ٤٤٩).

فقيل لابن المبارك: والجهمية؟

فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد ـ ﷺ[1] ـ.

---

(١) «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣ / ٣٥٠)، «الاعتصام» (٢ / ٢٢٠)، وانظر: «الحوادث والبدع» للطرطوشي (ص ٣١).

والروافض: هم الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، وادَّعَوْا النَّصَّ على إمامة علي، وكفَّروا الصحابة إلا أفراداً معدودين، وادَّعوا العصمة للأئمة، وهم فرق شتَّى، أوصلها بعضهم إلى ثلاث وسبعين، وحمل بعض الرافضة الحديث عليها، باعتبار أن غيرهم ليسوا من أمة الدعوة، وأوصلها بعضهم إلى ثلاث مئة!

انظر: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، (ص ١٦ ـ وما بعدها)، «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» لأبي الحسين الملطي (ص ١٨ ـ وما بعدها)، «خطط المقريزي» (٢ / ٣٥١).

والخوارج: هم الذين يكفِّرون أهل المعاصي كفراً أكبر، بعضهم يكفِّر أهل الكبائر، وكان أول ظهورهم في عهد علي بن أبي طالب عام (٣٧هـ)، حيث خلعوا بيعته إذ قبل التحكيم وقاتلوه، وهم فرقٌ شتَّى.

انظر: «المقالات» (ص ٨٦ ـ وما بعدها)، «التنبيه والرد» (ص ٤٧ ـ وما بعدها)، «تاريخ الطبري» (٥ / ٦٤).

والقدريَّة: هم الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه، وأن الله لم يقدر شيئاً، وأول من قال بها معبدٌ الجُهَني، وقيل: غيلان الدمشقي، وقيل: سوسن النصراني.

وقد ظهرت هذه البدعة بعد منتصف القرن الأول، ووجد من القدرية من ينكر علم الله بالأشياء قبل وقوعها، ولكنهم انقرضوا كما يقول النووي ـ رحمه الله ـ.

انظر: «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١ / ٢٣ ـ مقدمة المحقق) و(٣ / ٥٣٤ ـ وما بعدها)، «شرح صحيح مسلم» (١ / ١٥٣ ـ ١٥٤).

والمرجئة: اشتهر إطلاق هذا الاسم على الذين أخرجوا العمل من مسمَّى الإيمان، وكان ظهورهم في أواخر القرن الأول، وقيل: إن أول من قال به هو غيلان الدمشقي، وهم =

وعد بعضهم أصولَهم ستَّةً، فأضاف إليها الجهميَّة والجبريَّة[1].

وأضاف إليها آخرون: المعتزلة، والمشبِّهة، والنجَّارية[2].

= اثنتا عشرة فرقة.

انظر: مقدمة «شرح أصول الاعتقاد» (١ / ٢٥)، «التنبيه والرد» (ص ١٤٥ ـ وما بعدها).

(١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي، (ص ١٩)، وانظر: «الفتاوى» (٣ / ٣٥١).

والجهمية: أتباع جهم بن صفوان أبي محرز السمرقندي الترمذي المقتول سنة (١٢٨هـ)، وقد أخذ عن الجعد بن درهم بدعة نفي الصفات، وأضاف إليها القول بالجبر، والقول بأن الإيمان المعرفة فحسب، والقول بفناء الجنة والنار، وهم ثمان فرق.

انظر: «مقدمة شرح أصول الاعتقاد» (١ / ٣٠ ـ ٣١)، «المقالات» (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، «التنبيه والرد» (ص ٩٦ ـ وما بعدها)، وانظر: «المقالات» (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، «الملل والنحل» للشهرستاني (١ / ٨٥ ـ ٨٦)، «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» للدكتور علي سامي النشار (١ / ٣٤٣ ـ وما بعدها).

(٢) «الاعتصام» (٢ / ٢٠٦).

والمعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء البصري المولود عام (٨٠هـ)، والمتوفى عام (١٣١هـ)، وكان تتلمذ على الحسن البصري، ثم أحدث بدعة المنزلة بين المنزلتين، واعتزله وأصحابه.

والمعتزلة يقولون بالأصول الخمسة: المنزلة بين المنزلتين، والعدل، والتوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنفاذ الوعيد.

انظر: «المقالات» (ص ١٥٥ ـ وما بعدها)، «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٨٨ ـ وما بعدها)، «نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام» (١ / ٣٧٣ ـ وما بعدها).

والمشبِّهة: هم الذين يبالغون في إثبات الصفات حتى يشبِّهون الله بخلقه، وهم من الشيعة الغالية، وممَّن اشتهر بذلك: داود الجواربي، وهشام بن الحكم الرافضي، وبعض أهل البدع ينبز أهل السنة بالتشبيه، وهم منه براء. =

وبناء على هٰذه الأصول اشتغل عامَّة المصنِّفين في الفرق بتعداد الثلاث والسبعين، وتفريعها على الأصول التي يراها؛ كما فعل الإمام المَلْطي في كتاب «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»[1]، والشهرستاني في «الملل والنحل»[2]، والبغدادي في «الفرق بين الفِرَق»[3]، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس»[4]، والسكسكي الحنبلي في كتاب «البرهان»[5]، وغيرهم.

ويُتَّجَه على هٰذه الطريقة عدة اعتراضات:

الأول: أن أصحابها لا ينفكُّون عن التكلُّف في عد الفرق من أجل موافقة العدد الوارد، وقد يجعلون من الفرقة الواحدة فرقاً عديدة؛ بحسب اختلافها في بعض الجزئيات، مع أن الأصول العامَّة لهٰذه الفرق واحدة وإن اختلفت فيما بينها في بعض التفصيلات، وقد يقتصرون في تعداد بعض الفرق على بعض

= انظر: «المقالات» (ص ٢٢١ و٤٩١ و٥١٨ و٥٢١ و٥٦٤)، «الملل والنحل» (١ / ١٠٣ ـ وما بعدها)، «البرهان في عقائد أهل الأديان» لعباس بن منصور السكسكي، (ص ٢٠).

والنَّجَّارية: هي إحدى فرق المرجئة، وتنسب إلى الحسين بن محمد النجار، وهم يعتقدون أن الإيمان هو المعرفة والخضوع، وينفون الصفات.

انظر: «المقالات» (ص ١٣٥ ـ ١٣٦)، «البرهان» (ص ٢٠).

(١) انظر: (ص ١٢ ـ ١٣).

(٢) انظر: (١ / ١٥).

(٣) انظر (ص ٤).

(٤) انظر: (ص ١٩).

(٥) انظر: (ص ٧ ـ ٨).

وانظر كتاب «دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين»، للدكتور أحمد محمد أحمد جلبي، (ص ٤).

فئـاتها ولا يطردون منهجهم فيها، ولو توسَّع بعضهم في عدِّ فئات فرقة واحدة ـ كالصوفية، أو الإسماعيلية ـ؛ لأربت على السبعين[1].

وإنَّ ممَّا تستبعده العقول، وتخالفه السنن الجارية: أن تكون الأمة ست فرق، وكل فرقة اثنتا عشرة طائفة، كما تستبعد أن تكون الأمة أربع فرق، وكل فرقة ثمان عشرة طائفة. . . وهلم جرّاً.

ولم يكلِّفنـا الله ـ سبحـانـه ـ أن نبحث في تحـديد هٰذه الفرق الضالَّة بأعدادها وأعيانها، اللهم إلا أن يكون ذٰلك ميسوراً واضحاً، لا تكلف فيه، ولا اضطراب، فيكون تعدادها ـ حينئذ ـ إظهاراً لآية بيِّنةٍ لا لبس فيها، ودليلاً على صدق ما أخبر ـ ﷺ ـ في هٰذا الحديث دلالة تدفع شكَّ المتشكِّكين في نبوَّته.

الثاني: أن الرسول ـ ﷺ ـ لم يحدِّد فترة زمنيَّة لظهور هٰذه الفرق، وقد يكـون من الجائز أن تظلَّ الفرق تظهر في تاريخ المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يعلم ما في غيب الله إلا هو ـ سبحانه ـ.

وهـا نحن نجد عدداً كبيراً من الفرق يظهر بين المسلمين بعدما انتهى بعض العلماء من تعداد الفرق، وأوصلها إلى ثنتين وسبعين، ومن تلك الفرق: القاديانية، والبهائية، والقومية، وغيرها[2].

---

(١) فقد عد شيوخ الرافضة فرق الرافضة ثلاثاً وسبعين فرقة، ونزل الحديث عليها، وذٰلك لأنه يعد سائر فرق الأمة ـ ومنهم أهل السنة ـ ليسوا من أمة الإجابة، وإنما هم من أمة الدعوة!!

انـظر: «مـروج الـذهب» للمسعـودي (٣ / ٢٢١)، «اعتقـادات فرق المسلمين والمشركين» للرازي (ص ٨٥)، «دائرة المعارف الإسلامية» (١٤ / ٦٧).

(٢) **والقاديانية**: هم أتباع ميرزا غلام أحمد القادياني، وهي نحلة حركها الاستعمار =

ولا يُعارِض ذٰلك أن تكون هٰذه الملل الحادثة مللاً كافرة؛ لأن كثيراً ممَّن عدُّوا الفرق القديمة وأوصلوها إلى ثلاث وسبعين عدُّوا فرقاً يصدُقُ عليها ما يصدُقُ على هٰذه الفرق الجديدة؛ كسائر الطوائف الباطنية: من السبئيَّة،

= الإنجليزي في صفوف المسلمين بالهند لترويضهم على التسليم بحكم المستعمر، وإخماد روح الجهاد في نفوسهم، وقد ادَّعى زعيمهم النبوة، وأنه المسيح الموعود، وأوَّل العبادات تأويلاً باطنيّاً، وكفَّر كل من لم يؤمن بمذهبه الفاسد.

وقد ألَّف العلماء كتباً عديدة في بيان حقيقة مذهبهم، والرد عليه.

انظر: «القاديانية» لإحسان إلٰهي ظهير، «ثلاث رسائل عن القاديانية» للندوي والمودودي ومحمد الخضر حسين.

والبهائية هم أتباع ميرزا حسين علي المازندراني، نشأت نحلتهم في إيران في ظل العقيدة الرافضية، والطريقة الصوفية، وكانت ـ أيضاً ـ وفية للاستعمار الروسي، وعلى علاقة صريحة بمحافله ومؤسساته، وكذٰلك الاستعمال الإنجليزي.

وتقوم على توحيد الأديان، والدعوة إلى ما يسمى بالسلام العالمي، وترك الحروب، والمساواة بين الجنسين.

وقد ادَّعى زعيمهم المهدية، ثم المسيحية (أي: أنه المسيح)، ثم الألوهية، وقال: إن شريعته ناسخة لجميع الشرائع السابقة.

وقد توفي البهاء حسين علي المازندراني سنة (١٣٠٩هـ).

انظر: «البهائية» لإحسان إلٰهي ظهير.

والقوميون: هم دعاة النعرات الإقليمية من العرب وغيرهم، ممَّن ينادون بالرابطة الوطنية، أو العرقية، ويعدونها أساساً للوحدة، ويهدرون العقيدة الدينية، فالمسلم ـ عندهم ـ واليهودي والنصراني والعلماني تجمعهم رابطة العروبة، إن كانوا عرباً، ولا علاقة للمسلم العربي بالمسلم غير العربي، وكان من أبرز دعاتها وشياطينها ساطع الحصري.

انظر: «فكرة القومية العربية في ضوء الإسلام» للشيخ صالح بن عبدالله العبود، «الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام» لمنير محمد نجيب.

والقرامطة، والتناسخية[1]، وغيرها.

وسيأتي مزيد بسط لهٰذه المسألة بعد قليل.

الثالث: أن المتأمِّل في حديث الافتراق يلحظ الفارق العظيم بين فقه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وبين فقه مَن بعدهم.

---

(١) انظر: «التنبيه والرد» للملطي (ص ١٨ ـ ٢١).

وقد عرف **السبئية** بأنهم أصحاب عبدالله بن سبأ، الذين يؤلِّهون عليّاً، ويقولون: أنت أنت! الخالق البارىء المصور.

ومنهم فرقة لا يؤلِّهونه، ولكن يزعمون أنه في السحاب، حي لم يمت.

ومنهم فرقة يرون أنه قد مات ولكن يبعث قبل القيامة، فيقيم القسط، ويقاتل الدجَّال.

وجميعهم يقولون بالبداء، وأن الله قد يبدو له الأمر، وهٰذا يعني وصفهم له بالجهل عياذاً بالله...

أما **القرامطة** فعرَّفهم بأنهم يقولون: إن الله نورٌ علويٌّ تولَّد منه نور الأنبياء والأئمة، ولذٰلك فهم يعلمون الغيب، ويقدرون على كل شيء، ولا يعجزهم شيء.

وأنهم لا يوجبون شيئاً من العبادات، وينكرون الجنة والنار، والبعث والنشور... ومنهم من يقول بتناسخ الأرواح.

أما **التناسخية**؛ فهم ـ كما يقول الملطي ـ فرقة من هٰؤلاء الحلولية، يزعمون أن أرواحهم متولِّدة من الله، وأن الإنسان الخيِّر إذا مات صار روحه إلى حيوان ناعم، ثم يرجع إلى بدن إنسان بعد مدة، وأن الإنسان الشرير إذا مات؛ صار روحه إلى بدن حمار دَبِر!! أو كلب جَرِب!! يعذَّب فيه بمقدار أيام عصيانه، ثم يرد إلى بدن الإنسان.

ـ ولأصحاب الفرق وأرباب كتب المقالات أقوال وتفصيلات أخرى في هٰذه الطوائف، وإنما أردتُ التمثيل بمنهج إمام من متقدِّمي الأئمة المصنِّفين في أهل الفرق، وكيف عدَّهم من الطوائف الثلاث والسبعين مع ما هم عليه من الكفر.

فالصحابة حين سمعوا هٰذا الخبر المؤلم عن تفرُّق الأمة واختلافها؛ بادروا بالسؤال عن الفرقة الناجية وخصائصها، وكان السائل عن ذٰلك عمر بن الخطاب؛ كما في حديث جابر أو غيره، فكانت عنايتهم بمعرفة الفرقة الناجية، وصفاتها؛ للتشبُّث بها، ومُباعَدة ما عداها؛ لأن معرفة الناجية تعني أن ما سواها هالكة.

أما مَن بعدهم ـ وخاصة ممَّن صنَّف في الفرق من المتأخرين ـ؛ فكثيرٌ منهم شُغِلُوا بالفرق الهالكة الضالَّة؛ يُعَدِّدونها، ويدوِّنون مقالاتها، أكثر مما شُغِلوا بتعيين الفرقة الناجية، وبيان خصائصها، والتمسُّك بها.

وليس يجوز للمسلمين أن يجهلوا سُبل المجرمين، وقد أمرهم الله باستبانتها، وكان حُذيفة يسأل النبي ـ ﷺ ـ عن الشر؛ مخافة أن يدركه[1]، لكن هٰذا إنما شُرِع لأنه وسيلة للحذر من تلك المسالك، والرد على أصحابها، وسبب للزوم الجادَّة المستقيمة، فلا يصلح أن يطغى على الأصل الذي هو معرفة الكتاب، والسنة، ومنهج الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان، وليس من المقبول أن نشتغل بالوسيلة عن الغاية.

وأهم ما ينبغي معرفته عن طرائق أهل الضلالة: العلم بالأصول التي ينطلقون منها، والمناهج التي يسلكونها، ومعرفة أسباب زيغها وانحرافها، والرد عليها، وبيان فسادها، أما التعمُّق في أقاويلها، وتفصيلاتها، والفروق الدقيقة بينها؛ فلم يكلِّفْنا الله به، ولقد جرَّ على المسلمين أضراراً عديدة؛ منها: أنه اضطرَّهم إلى القول في فرعيات مسائل، وفي جزئيات لم يأت بها نصٌّ، ولم يتكلَّم فيها الرسول ـ ﷺ ـ ولا أصحابُه، ولو أنهم أتَوْا على أصول تلك المذاهب

---

(١) سيأتي تخريج الحديث بعد قليل.

والفـرق، وردُّوها، وأبطلوها؛ لكان ذلك إبطالاً لسائر أقاويلهم، إذ إن سقوط الأصل يستلزم سقوط الفرع.

وهـذا هو المنهـج الـذي عليه كثير من المتقدِّمين ممَّن عاصروا البدع وعـاشـوا زمن قوَّتها ونشاطها؛ كالإمام أحمد[1]، والآجُرِّي[2]، واللالكائي[3]، وابن بطة[4]، وغيرهم.

---

(١) الإمـام **أحمـد بن محمـد بن حنبـل** بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغـدادي: أبو عبدالله، الإمام حقّاً، وشيخ الإسلام صدقاً، ولد سنة (١٦٤هـ)، وطلب العلم صغيراً، فحفظ وحدَّث وبرع في الفقه والحديث والزهد والصبر، ومواقفه في حفظ السنة معروفة، مات رحمه الله سنة إحدى وأربعين ومئتين، وله أخبار طويلة.

انـظر: «سير أعلام النبلاء» (١١ / ١٧٧ ـ ٣٥٨)، «حلية الأولياء» (٩ / ١٦١ ـ ٢٣٣)، «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، وغيرها.

(٢) **الآجُرِّي**: هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي البغدادي، كان إماماً عامـلاً صاحب سنـة واتِّبـاع، له مصنَّفات في الشريعة، وأخلاق العلماء، وأخلاق حملة القرآن، وغيرها، توفي سنة (٣٦٠هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» (٢ / ٢٤٣)، «طبقات الحفاظ» (٣ / ١٣٩)، «وفيات الأعيان» (٤ / ٢٩٢).

(٣) **الـلالكـائي**: هو هبـة الله أبـو القاسم بن الحسن بن منصور الرازي الطبري الـلالكائي، من مشاهير أئمة أهل السنة، صنف كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، وكتاب «السنن»، وغيرها، وتوفي رحمه الله سنة (٤١٨هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» (١٤ / ٧٠ ـ ٧١)، «سير أعلام النبلاء» (١٧ / ٤١٩)، «تذكرة الحفاظ» (٣ / ١٠٨٣).

(٤) **ابن بطة**: هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ولد سنة (٣٠٤هـ) في عكبرا، وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بخمسة فراسخ، وطلب، ورحـل، وحـدَّث، وألَّف، ومن أشهـر مؤلَّفـاتـه: «الإبـانـة الكبـرى»، و«الإبانة =

○ هل هٰذه الفرق كافرة:

وهٰذا سؤالٌ يطولُ حوله الجدل ما بين مكفِّرٍ يرى أن حكم الرسول ـ ﷺ ـ عليهم بالهلاك يعني أنها كافرة مخلَّدة في النار، وقد يحتجُّ بما ورد في شأن الخوارج؛ مما يدلُّ بظاهره على عموم تكفيرهم وخروجهم من الدين. وما بين مضلِّلٍ لهم ومفسِّقٍ دون أن يصل به الأمر إلى تكفيرهم وإخراجهم من الملة والحكم بخلودهم في النار[1].

والحق أن الحديث لا دِلالة فيه على التكفير؛ لأن الوعيد بالنار لا يقتضي الخلود فيها، وقد توعَّد النبي ـ ﷺ ـ بالنار على كثير من الذنوب والمعاصي التي لا يختلف أهل الحقِّ على عدم التكفير بمجرَّدها؛ كإباق العبد من مواليه، وإتيان المرأة في دُبُرها، وقتال المسلم، والرغبة عن الآباء وترك الانتساب إليهم... وغيرها كثير.

كما أن عدَّه لهم من الأمة يعني أنهم مسلمون ـ في الجملة ـ حيث سمَّاهم من هٰذه الأمَّة، والأصل أن المسلم باق على إسلامه، لا يخرج منه إلا بيقين.

ولهٰذا كان القول الصحيح أن جملة أهل الفرق من المسلمين؛ كما قال

= الصغرى»، المعروف بـ «الشرح والإبانة»، توفي سنة (٣٨٧هـ).

انظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢ / ١٤٤ ـ ١٥٣)، «المنتظم» (٧ / ١٩٣ ـ ١٩٧)، «المنهج الأحمد» للعليمي (٢ / ٨١ ـ ٨٦).

(١) انظر في تفصيل هٰذه المسألة: «الاعتصام» (٢ / ٢٤٦ ـ وما بعدها)، «فتح الباري» (١٢ / ٢٩٤ و٢٩٩ ـ ٣٠٣)، «فتاوى شيخ الإسلام» (٣ / ٣٥٠ ـ ٣٥٤ و٧ / ٢١٧ ـ ٢١٨)، «شرح النووي على مسلم» (٧ / ١٥٨ ـ ١٧٤)، «الحوادث والبدع» للطرطوشي (ص ٣٥ ـ وغيرها).

شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله:

«. . . وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة، مَن كان منهم منافقاً؛ فهو كافرٌ في الباطن، ومن لم يكن منافقاً، بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن؛ لم يكن كافراً في الباطن، وإن أخطأ في التأويل؛ كائناً ما كان خطؤه، وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق، ولا يكون فيه النِّفاق الذي يكون صاحبه في الدَّرك الأسفل من النار.

ومَن قال: إن الثنتين وسبعين فرقـةً كلُّ واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة؛ فقـد خالف الكتـاب والسنـة وإجمـاع الصحـابـة رضـوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كَفَّر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقةً، وإنما يكفِّرُ بعضُهم بعضاً ببعض المقالات»[2] ا. هـ.

والقول بأن جملة أهل الفرق من المسلمين هو الذي تؤيِّدُه النصوص؛

---

(١) **شيخ الإسلام**: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، المولـود سنـة (٦٦١هـ) بحـران، قدم دمشق مع أهله، وتلقى العلم عن الأكابر، وسمع «المسنـد» والكتب الستـة و«معجم الطبراني الكبير» وغيرها، وحفظ القرآن، وكان آية في الحفظ والـذكـاء وسيلان الـذهن، وانتهت إليه الإمـامـة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

له مواقف مشهورة مع التتر والنصيريين وسائر المبتدعة.

ولـه مصنَّفـات عظيمـة حافلة؛ منهـا: «درء تعـارض العقـل والنقل»، و«الجواب الصحيح»، و«الاستقامة»، وغيرها.

توفي رحمه الله في سجن القلعة سنة (٧٢٨هـ).

انظر: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن عبدالهادي.

(٢) «الفتاوى» (٧ / ٢١٧).

كمـا أنه هو الذي يطمئنُّ إليه عقل المؤمن وقلبُه، فالمسلم مجبولٌ على حبِّ الخير للنـاس، والحـرص على نجاتهم، وليس من اليسير عليه أن يسارِعَ في نبزِهِم بالكفر، والحكم عليهم بالخلود المؤبَّد في نار السعير؛ إلا حين يكون الأمر واضحاً لا شك فيه.

أما ما يقع فيه بعض الغلاة والمتشدِّدين من تكفير الناس بأدنى سبب، مع زعمهم بأنَّهم لا يكفِّرون أحداً، ولكنَّ الشرع هو الذي كفَّرَهُم؛ فهو انحرافٌ خطيرٌ سبَّبَتْهُ الظروف النفسيَّة، والعـوامـل الاجتمـاعية لطائفـةٍ من أصحاب الشخصيَّات الحادَّة المتعنِّتة.

ومـع عدم القـول بتكفير جملة أصحـاب الفـرق؛ فإن من أقـوالهم ما يكون كفراً؛ كإلحادهم في أسماء الله وصفاته، وإنكارهم لبعض ما يقطع أهل العلم بثبوتِه وتواتُره، ووقوعِهم في ألوانٍ من الشرك، وليس يلزم من كون الفعل كفراً أن يكون فاعله كافراً، بل كثيراً ما يمتنع إطلاق الكفر على مَن فَعَلَه؛ لعدم تحقُّق الشروط، أو عدم انتفاء الموانع.

وقد تجتمع بعض الفرق على الكفر الصريح الواضح الذي لا شك فيه؛ كاجتماع الأحزاب القوميَّة والوطنيَّة على أساس الرابطة القوميَّة، وإنكارها للأخوَّة الإيمانية، ومنحها حق التشريع والسلطة للبشر من دون الله، وإهانتها للإسلام وأهله، وكـاجتمـاعِ بعض أصحـاب الطرق الصُّوفية على زعمائهم المدَّعين لأنفسهم رتبة أعلى من رتبة النبوَّة، بل والمدَّعين حلول الإلٰهية فيهم، والناسخين للتكاليف عن أتباعهم ومريديهم، والزاعمين الأخذ عن الله بلا واسطة.

وهٰـذه الـراية وتلك تجمـع المنافقين نفاقاً اعتقاديّاً، ممَّن يُحادُّونَ الله ورسوله، وممَّن لا يستحي من التَّصريح بالرِّدَّة والخروج عن الدين ـ وعامة القادة المتبوعين منهم كذٰلك ـ، كما تجمع الرُّعاع والدَّهماء ممَّن يلتفُّون حولها رغبة

أو رهبةً ـ خاصَّةً حين تملك القوة والسلطان، أو تكون على علاقة بمَن يملك القوَّة والسلطان ـ ممَّن لا يَعُونَ من الأمر شيئاً، ولا يفهَمُون من أصول الفرق التي ينتسبـون إليهـا شيئـاً، وليس لديهم استعـدادٌ ـ أصلاً ـ لسماع شيءٍ من تلك الأصول، أو مناقشتِها، أو قَبولِها، فهم مشغولون بهمومهم اليوميَّة عن ذٰلك، ولكنَّهم ـ في الجملة ـ مصلُّون، مقيمون للشعائر الظاهرة.

ومثـل هٰذه التجمُّعات هي تجمُّعات كفريَّة من حيث المبدأ الذي تقوم عليه، والراية التي تقف تحتَها، والقيادات الواعية التي تسيِّرها، لكن لا يلزم من ذٰلك كفر كافَّة أفرادها، بل ربما وُجدت أغلبية مسلمة مغفَّلة تحت زعامة أقليَّة علمانية كافرة داخل حزب أو حركة أو طائفة أو نحلة أو بلد، ولو سَبَرْتَ أحوال كثير من هٰؤلاء الأتبـاع المغفَّلين؛ لوجـدتَ حرجـاً عظيماً في وصفهم جميعاً بالكفر، ولوجدت لهم تأويلات ـ إن كان لا يمكن أن تنطلي على العالم أو طالب العلم أو العاقل الحصيف، فمن الممكن أن يغترَّ بها أمثالُهم من غوغاء الناس الـذين لا يتبصَّـرون في أمـورهم، إضـافـة إلى رقَّة دينهم، وضعف يقينهم، وإيثارهم العاجل على الآجل ـ، والتَّكفير لا بدَّ أن يكون بأمر واضح غير ملتبس.

ومن الأمثلة على ذٰلك: الاتجاهات القوميَّة في العالم الإسلامي؛ فإنَّك إذا استبعدت غير المسلمين أصلاً من دُعاة القوميَّة، واستبعدتَ مَن عُلِم نفاقهم الاعتقادي علماً أكيداً من أفكار ومبادىء أعلنوها وصرَّحوا بها؛ وجدت بعض مَن يحملون أفكاراً قوميَّة، ويردِّدون بعض المصطلحات الشائعة في تلك الأوساط، ويُحْسَبـون ـ عنـد عامَّـة النـاس ـ من أصحـاب الاتجاهات القوميَّة؛ وجدتَهم ملتزمين بالشعائر، غير قائلين بقول لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.

ومن العدل الذي أمرنا الله به العدل حتى مع الأعداء، ومع الفاسقين، والظالمين، فلا يمنع وقوع هٰؤلاء في الفسق والظلم والهوى أن يحسبوا ضمن

الثنتين والسبعين فرقةً، وألَّا يُخْرَجوا من الإسلام إلا بيقين.

قال ابن بطَّال(١) ـ فيما نقله الحافظ ابن حجر ـ:.

«... وإذا وقع الشكُّ في ذلك؛ لم يُقطع عليهم بالخروج من الإسلام؛ لأن من ثَبَتَ له عقدُ الإسلام بيقين؛ لم يخرج منه إلا بيقين»(٢).

فالخلاصة أن الكلام في إسلام هذه الفرق أو كفرها يتحدَّد في جانبين.

الجانب الأوَّل: على المستوى الفردي:

ففي الفرق كلِّها منافقون نفاقاً اعتقاديّاً، بل وحتى ضمن الفرقة الناجية يوجد مثل هؤلاء، بل كان المنافقون موجودين ضمن المجتمع الذي بناه محمَّدٌ ـ ﷺ ـ، ولكنهم في الفرق الهالكة أكثر، وهم فيها أمكن، وقد يكونون رؤوساً ومدبرين، بل لعل كثيراً منهم من منشئي هذه الفرق ومؤسِّسيها.

أمـا جمهور أفراد تلك الفرق؛ فالأصل أنهم مسلمون ما داموا ينطقون الشهادتين، ويقيمون الشعائر، حتى وإن قالوا ببعض الآراء والأقوال التي تستلزم

---

(١) **ابن بطَّال**: هو الإمام أبو الحسن علي بن خلف المغربي المالكي، أصله من قرطبة، روى عن الإمام أبي عمر الطلمنكي، وعُني بالحديث عناية تامَّة، وألَّف شرح البخاري، وتوفي سنة (٤٤٤هـ)، وقيل سنة (٤٤٩هـ).

انظر: «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون المالكي، (ص ٢٠٣)، «الصلة» لأبي القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال (٢ / ٤١٤) (رقم ٨٩١).

(٢) «فتح الباري» (١٢ / ٣٠١).

والكلام أصلاً جاء في سياق الحديث عن الخوارج، والمقصود من نقله تقرير القاعدة...

الكفر، أو تتضمَّنُه، ما دام أن لهم تأويلاً في ذٰلك، ولو كان هٰذا التأويل ضعيفاً متهالكاً.

الجانب الثاني: على المستوى الاجتماعي:

وهو النظر إليهم باعتبارهم فرقةً من الفرق، أو طائفة من الطوائف.

فهٰذه الفرق الثنتان والسبعون هي ـ على العموم ـ فرق أهل القبلة، ولكن هٰذا لا يمنع من وجود فرقة أو أكثر تشتطُّ في الانحراف، حتى تخرج بهيئتها الاجتماعية إلى الكفر، وتبقى داخلة في الثنتين والسبعين؛ مدَّعية أنها من ضمن المسلمين، بل ربما ادَّعت أنها ـ وحدها ـ أمَّةُ المسلمين.

وبناء عليه؛ فإنه يمكن أن يُقال: إن التِّجَّانيَّة[1] ـ مثلاً ـ، أو مَن يسمُّون أنفسهم بـ (الخرافيين)[2]، أو غيرهم من الطوائف الغالية في البدعة: هم من

---

(١) **التِّجَّانية**: طريقة صوفية تنسب إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التِّجَّاني ـ بكسر التاء المثناة وبالجيم المشدَّدة ـ المولود سنة (١١٥٠هـ) في الجزائر.

وهم يقولون بوحدة الوجود، ويدَّعون في شيوخهم علم الغيب، ويفضِّلون بعض أدعيتهم وأذكارهم على القرآن الكريم، ويزعمون أن الوحي لم ينقطع، ويطلبون حوائجهم من النبي ـ ﷺ ـ، ومن أحمد التجَّاني، ويقولون: إن الجنة مضمونة للتِّجَّاني وأتباعه.

انظر: «التجانية: دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة» للشيخ علي بن محمد آل دخيل الله، وكتاب «الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية» للدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

(٢) شاع استعمال هٰذا المصطلح وإطلاقه على المنسوبين إلى البدع الاعتقادية والعملية الغليظة ممَّن يقدِّسون الأولياء، والسادة، ويعظِّمونهم، ويحجُّون إلى القبور، ويطوفون حولها، وقد يصلُّون إليها، ويسكبون عندها العبرات! ويضفون على النبي ـ ﷺ ـ =

ضمن الطوائف الثنتين والسبعين.

ويزيد الأمر وضوحاً أن نقوم بتفكيك هٰذه الهيئة الاجتماعية، وتحليلها إلى عناصرها المكوِّنة لها:

فهي تتكون من:

أ ـ عقائد ومناهج وأصول تلتزم بها.
ب ـ ومن زعاماتٍ وقيادات تتمثَّل في الشيوخ والزعماء والسادة.
جـ ـ ومن أتباعٍ ومريدين.

أ ـ فالحكم على العقائد والمناهج بذاتها بما تستحقه أمر لا إشكال فيه؛ ضلالاً كانت أو كفراً أو بدعة، فيقال: هٰذا العمل كفر... وهٰذه العقيدة ضلالٌ... وهٰذا القول قولٌ محدَثٌ مختَرَعٌ، لا أصل له من الشريعة... أو يحكم عليه بأي حكم آخر مبنيٍّ على المعرفة بحقيقة المذهب، والدِّراية بحكم الله ورسوله فيه.

ومثل ذٰلك أن يقال: إن مَن عمل هٰذا أو اعتقده أو قاله؛ فهو كافرٌ، أو ضالٌّ، أو فاسق.

ب ـ أما الزَّعامات والرؤوس؛ فالغالب أنها على بصرٍ ودرايةٍ كبيرةٍ بمذهبها ومقالتها، وقد تكون متستِّرةً وراءها، وإلا فهي تخفي ما هو أعظم وأخطر؛ فإننا نعلم أن اليهود والمجوس وسائر أعداء الإسلام لما فشلوا في الحرب المعلَنة؛ بدؤوا الحرب على الإسلام بالتقيَّة والحيلة، وتترَّسوا ببعض الطوائف التي

= بعض صفات الألوهية؛ كعلم الغيب ـ بما في ذٰلك المغيَّبات الخمس التي لا يعلمها إلا الله ـ إضافة إلى عنايتهم بإحياء البدع العملية؛ كالموالد وغيرها.

افتعلوها في جسم الأمة الإسلامية؛ لتخدم أغراضهم وتحقِّق مآربهم.

ولـذا تجـد لكثيرٍ من زعماء المذاهب الضالَّة تأصيلاً لمذهبهم، وكتابةً ودراسةً وتنظيراً يتلقَّاه الأتباع بالقبول والتسليم.

وإذا تمكَّن بعضهم؛ وجدت له من الجراءة والتصريح ما ينبىء عما وراء الأكمة، ويكشف عن نوع نفاقٍ اعتقاديٍّ في قلب صاحبه، والأمثلة المعاصرة من زعماء القوميَّة والرافضة وغيرها معروفة.

جـ ـ أما الأتباع؛ فغالبهم من الدهماء الرعاع غير المستبصرين، أو من أصحاب المنافع والمطامع، وهم لا يملكون فهماً ثاقباً ولا بصراً نافذاً، ولذٰلك رضـوا لأنفسهم أن يكـونوا تَبَعاً لغيرهم، وهـم ـ ولا شك ـ محاسَبون مكلَّفون مؤاخَذون بتَبِعات أعمالهم، معدودون في زمرة أهل الزيغ والضلال:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنا وكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبيلا . رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذابِ والْعَنْهُمْ لَعْناً كَبيراً﴾(١).

﴿وإذ يَتَحاجُّونَ في النَّارِ فَيقولُ الضُّعَفاءُ للَّذينَ اسْتَكْبَروا إنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنونَ عَنَّا نَصيباً مِنَ النَّارِ . قَالَ الَّذينَ اسْتَكْبَروا إنَّا كُلٌّ فيها إنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ﴾(٢).

﴿إِذْ تَبَـرَّأَ الَّـذينَ اتُّبِعُـوا مِنَ الَّـذينَ اتَّبَعُـوا وَرأَوُا العَذابَ وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبـابُ . وقَالَ الَّذينَ اتَّبَعوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبرَّؤوا مِنَّا كَذٰلكَ يُريهِمُ اللهُ أَعْمالَهُم حَسَراتٍ عَلَيْهِم ومَا هُمْ بِخارِجينَ مِنَ النَّارِ﴾(٣).

(١) الأحزاب: ٦٧ و٦٨.

(٢) غافر: ٤٧ و٤٨.

(٣) البقرة: ١٦٦ و١٦٧.

فهٰذه حالُهم ـ إجمالاً ـ في الدُّنيا وفي الآخرة، لكن الحكم على أعيانهم بأشخاصهم وأسمائهم بالكفر ـ خاصة ـ أمرٌ عسير، يتطلَّب قدراً عظيماً من الرَّوِيَّةِ والأناة والتثبُّت؛ لما يترتَّبُ عليه من الآثار العظيمة في الدَّارين؛ من حِلِّ دم الكافر، وماله، ونزع ولايته الخاصة والعامة، وبطلان عقوده، وفي الآخرة من خلوده في النار، وتحريم الجنة عليه، وتحريم الدعاء له بالرحمة... إلى غير ذٰلك من الآثار والنتائج الخطيرة التي تستوجب التثبُّت والتبيُّن... ولأن يخطىءَ الإنسان فيها بالعفو خيرٌ من أن يُخطىء بالعقوبة، والسلامة أن يوفَّق العبد للصواب، والله تعالى أعلم.

وإذا كان الأمر كذٰلك؛ فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق، فهٰذا كافر، ويكثر مثل هٰذا في الرافضة والجهميَّة؛ فإنَّ رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة، وأول مَن ابتدع الرفض كان منافقاً، وكذٰلك التجهُّم؛ فإن أصله زندقة ونفاق...

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمانٌ ـ باطناً وظاهراً ـ، لكن فيه جهلٌ وظلمٌ، حتى أخطأ ما أخطأه من السُّنَّة، فهٰذا ليس بكافر، ولا منافق.

○ تحديد الفِرقة الناجية وأحوالها:

بعدما تبيَّن أنَّ أصل الإسلام ثابتٌ لمعظم الفرق الثِّنتَيْنِ والسَّبعين؛ بقي تحديد الفِرقة الناجية من بينها، والتي تطابقت دعواها مع حقيقتها، وما هي الأحوال التي تمرُّ بها؟

ثم الإشارة إلى بعض معاني غربة هٰذه الفرقة في وسط هٰؤلاء المنحرفين الهالكين؛ سواء مَن عُدُّوا منهم كفاراً مرتدِّين، ومن عُدُّوا داخلين في مسمَّى الإسلام جملة.

وهناك شعورٌ يختلج في ذهن كثيرٍ من الناس حين يقرؤون مثل هٰذا

العنوان؛ يقولون: وماذا عسى أن يأتي الباحث بجديد في هٰذا الموضوع؛ إنه لا يعدو أن يردِّد كلاماً سمعناه من قبل في ترجيح وتفضيل طائفة معيَّنة وتضليل مَن عداها؟!

كما يتبرَّم كثيرٌ من الناس من طَرْق مثل هٰذه المسألة؛ قائلين: إنَّ كل فرقةٍ وطائفةٍ تَدَّعي لنفسها النجاة، وترمي غيرها بالكفر والفسوق والعصيان!

فالشيعة ـ مثلاً ـ يدَّعون لأنفسهم أنهم أهل الحق، ويضلِّلون أهل السنة.

والفرق المختلفة ـ داخل نطاق أهل السنة ـ تدَّعي كلٌّ منها لنفسها أنها على الحق، وما عداها في ضلال.

وكلٌّ يدَّعي وصلاً بليلى!

والحق أنه ليس من الضروري اللازم أن يكون الحقُّ كلاماً جديداً يسمعُه المرء لأول مرة، بل قد يكون سمعَ الحقَّ مراراً، ولكنَّ نفسه لم تَقْبَلْه، ولم تستجبْ له.

ويجب أن نُدْرِك أن الفرقة الناجية إنما هي واحدةٌ فقط من بين ثلاث وسبعين فرقةً، وأن هٰذه الفرقة تدَّعي لنفسها النَّجاة كما يدَّعي أولٰئك، وليس من المنتظر أن ينزل مَلَك من السماء يشهد لها بما معها من الحق؛ كما أنه ليس من المنتظر أن تملك هٰذه الفرقة ـ على الدوام ـ الأدلَّة الضرورية القطعيَّة التي تُفيد العلم اليقيني بأنها هي الناجية.

وهي فرقة ـ من البشر ـ يكون فيها في بعض الأزمان الأئمة المشهورون الأفذاذ الذين يشرحون أصولها ومناهجها، ويقيمون الأدلَّة على صوابها، ويدافعون عنها، ويَخْلُفَهُم في أزمان أُخَرَ مَن لا يملكون القدرة نفسها التي كان يملكها أولٰئك، ولا يستطيعون أداء المهمَّة التي أدَّوْها نفسها، وذٰلك في أوقات

استحكام الغُربة واشتدادها.

وقد يوجد في مناوئيها في ذلك الوقت ـ أو في غيره ـ أكابر ينشرون مذاهبهم بالجهد العلمي أو العملي، ويردُّون على مخالفيهم، ويقارعونهم باللسان أو بالسنان، أو بهما معاً.

كما أنه يوجد في هذه الفرقة ـ مهما بلغت من الفضل، والعلم، والدين ـ أخطاء، وزلاَّت، وسقطات، وهفوات، ويوجد في داخلها نزاعات، واختلافات، ومشاحنات، ومشاجرات؛ سنة الله في عباده، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[1].

ويكفي أن ننظر إلى تاريخ هذه الفرقة؛ لنُدْرِك أن هذا أمرٌ طَبَعِيٌّ، فِطريٌّ، لا ينفك عن البشر[2].

إذاً؛ فتمييز هذه الفرقة الناجية من بين الفرق الهالكة هو من نوع تمييز الإسلام عن سائر الأديان، ومعرفة أحقِّيَّتِه من بينها لا يتمُّ إلا بجهد الإنسان وتفكيره ونظره.

---

(١) الأحزاب: ٦٢.

(٢) وقد يتخلى بعض الناس عن طَرْقِ مسائل الخصومة التي بُعث الأنبياء ببيان الحق فيها، ويركِّزون على مسائل الاتفاق العملية؛ من العبادات، والأذكار، والرقائق، ونحوها، فتضعف لديهم أسباب النزاع، ويتوهَّمون أن هذا من كمال الاتِّباع والاقتداء والصلاح، وينسون أن أصحاب محمد ـ ﷺ ـ كان يحدُثُ بينهم الشجار والخصام، وقد ترتفع الأصوات في المسجد، وقد يهجر أحدهم الآخر، وكان يوجد بينهم ـ على الدوام ـ قضاة لفضِّ الخصومات والمنازعات.

ولا يمكن أن يزعم زاعمٌ أنه بلغ من الهداية والصلاح ما لم يبلغه أصحاب محمد ـ ﷺ ـ، فإن ادَّعى ذلك؛ كان من الضَّالين.

ومَن خلصت نيَّتُه في طلب الحق، وتجرَّد من الهوى والعصبيَّة، واجتهد وُسْعَه، ولم يألُ، وسلك في هٰذا الاجتهاد السبيل الصحيح المشروع؛ فإنه يُوفَّق إلى معرفة الحق واتِّباعه، ولو حصل له نوعُ خطإ ـ بسبب قصور فهمه، أو غفلته ـ؛ فهو إن شاء الله من الخطإ المغفور.

○ الفرقة الناجية هي الجماعة، والسواد الأعظم، وما كان عليه الصحابة:

وحين ننظر في أحاديث الافتراق؛ نجد أنه قد ورد فيها وصف الفرقة الناجية بعدد من الصفات:

١ ـ أنها الجماعة؛ كما في حديث معاوية، وعوف بن مالك، وأنس.

٢ ـ ما أنا عليه وأصحابي؛ كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وإحدى طرق حديث أنس.

٣ ـ أنها السواد الأعظم؛ كما في حديث جابر، وحديث أبي أُمامة.

فهٰذه الصفات الثلاث ثابتة مرفوعة إلى النبي ـ ﷺ ـ: أما (السواد الأعظم) و(الجماعة)؛ فلصحَّة أحاديثها، وأما صفة (مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي)؛ فلأنها وردت من طريقين ضعفُهما قابلٌ للانجبار، بل حسَّن الترمذيُّ إحدى الطريقين[1].

---

(١) كما في الترمذي المطبوع مع «تحفة الأحوذي» (٣ / ٣٦٨)، والترمذي المطبوع بمراجعة عبدالرحمٰن محمد عثمان (٧ / ٤٠٠)، ونقله العراقي في «تخريج الإحياء» (٣ / ٢٣٠)، حيث حسَّن الترمذي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، من طريق عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وقد رجَّحت ـ فيما سبق ـ أنه حسَّنه لشواهده، والله أعلم.

ــ أما الطريق الأخرى التي جاء فيها ذكر هٰذه الصفة؛ فهي من حديث أنس، عند: أسلم بن سهل الواسطي، والعقيلي، والطبراني، والجورقي.

٤ ـ ووصفها عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ بأنها المستحقة لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلونَ﴾ في حديث أبي الصهباء عنه، وفيه ضعف، وفي رواية يعقوب بن زيد المرسلة.

٥ ـ وورد وصف نقيضها ـ وهي الفرق الهالكة ـ بتجاري الأهواء بهم كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلا دخله؛ كما في حديث معاوية، وهو يقتضي ـ بمفهوم المخالفة ـ سلامة الفرقة الناجية من الهوى.

ويوضِّح هٰذه الدلالة أنه إذا كان اتِّباع الهوى هو سبب هلاك مَن هلك، فعصيان الهوى واتِّباع الحق هو سبب نجاة مَن نجا.

ويوضِّحها ـ أيضاً ـ أن أبا أُمامة ـ رضي الله عنه ـ استشهد بحديث الافتراق حين جيء بخمسين من رؤوس الأزارقة، فنُصِبَتْ على درج مسجد دمشق[1].

٦ ـ كما ورد وصف نقيضها بأن في قلوبهم زيغاً، وأنهم يتَّبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ كما في حديث أبي أُمامة أيضاً[2]، وقد استشهد بآية آل عمران: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فأمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغاءَ تَأْويلِهِ﴾[3].

---

(١) كما في البيهقي (٨ / ١٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٨ / ٣٢١ ـ ٣٢٩)، واللالكائي (١ / ١٠٢)، والداني في «السنن» (ل ٢٤ ـ ب)، وغيرها.

(٢) عند البيهقي (٨ / ١٨٨)، والمروزي (ص ١٦)، والطبراني (٨ / ٣٢٠ ـ ٣٢٩)، والحارث؛ كما في «المطالب» (ل ٢٠٢)، وسيأتي حديث عائشة في المعنى.

(٣) آل عمران: ٧.

وهٰذا يقتضي سلامة قلوب أهل الفرقة الناجية من الزَّيغ، وسلامتهم من اتِّباع المتشابه من الكتاب.

والجماعة تُطْلَق على الاجتماع على الشيء، وتُطْلَق ـ أيضاً ـ على القوم المجتمعِين ـ كما يقال: الصحابة؛ لمن صحب النبي ﷺ ـ، فهي اسمٌ ومصدرٌ.

وفي معنى الجماعة الواردة في هٰذا الحديث وغيره أقوال:

أ ـ فقيل: هم الصحابة[1]. وهٰذا يوافق قوله في الحديث الآخر: «ما أنا عليه وأصحابي».

ب ـ وقيل: هم أهل العلم[2]؛ كما قال الترمذي: «وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث».

قال: «وسمعتُ الجارود بن معاذ يقول: سمعتُ علي بن الحسن يقول: سألتُ عبدالله بن المبارك: مَن الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر. قيل له: قد مات أبو بكر وعمر. قال: فلان وفلان. وقيل له: قد مات فلانٌ وفلانٌ. فقال: ... أبو حمزة السُّكَّري جماعة».

قال أبو عيسى: «وأبو حمزة هو محمد بن ميمون، وكان شيخاً صالحاً، وإنما قال هٰذا في حياته عندنا»[3].

---

(١) «الاعتصام» (٢ / ٢٦٢).

(٢) «الاعتصام» (٢ / ٢٦١)، «فتح الباري» (١٣ / ٣٧).

(٣) «سنن الترمذي» (٤ / ٤٦٧).

ـ ورواه البغوي تعليقاً في «شرح السنة»: كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء، (١ / ٢١٦).

وهٰذا القول هو قول الإمام البخاري[1].

جـ ـ وقيل: الجماعة هي ما وافق الحق[2]. فكأنها ـ حينئذ ـ ترجع إلى معنى مَن تحقَّق به، فهو الجماعة، حتى ولو كانوا أفراداً قليلين.

د ـ وقيل: هم السواد الأعظم المجتمعون على إمام يحكم بالكتاب والسنَّة، ويجانب الهوى والبدعة، وينصر الحق وأهله[3].

○○○○○

وهٰذه الأقوال تجتمع في حال من الأحوال؛ بحيث تصبح الجماعة المبايعة لإمام، متَّفقة عليه، ملتزمة بالإسلام التزاماً صحيحاً؛ اعتقاداً، وقولاً، وعملاً؛ كما كان حال الصحابة مع نبيِّهم ـ ﷺ ـ.

وهنا يجتمع معنى (الجماعة) مع معنى (ما أنا عليه وأصحابي)، فقد كان هو وأصحابه ـ ﷺ ـ هم (الجماعة) بالمعنى الشامل الكامل من الناحية النظريَّة، ومن الناحية العمليَّة.

وهم كانوا (السواد الأعظم) و(أهل العلم والفقه والحديث)، وهم كانوا (الحق) القائم في صورة بشرية تدبُّ على الأرض.

ولهٰذا لما سُئِلَت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ـ ﷺ ـ؟ قالت: «كان خلقه القرآن»[4].

---

(١) «صحيح البخاري» (٨ / ١٥٦).

(٢) انظر: «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١ / ١٠٨ ـ ١٠٩)، «الحوادث والبدع» لأبي شامة (ص ١٢).

(٣) انظر: «الاعتصام» (٢ / ٢٦٠ و٢٦٤)، «فتح الباري» (١٣ / ٣٧).

(٤) رواه مسلم في . . . . .

ولهٰذا كله استحقُّوا رضوانَ الله، وثناءه عليهم، وتزكيته لهم، واستحقُّوا أن يكـونـوا (الأنمـوذج) الـواقعي الذي تُعرف ـ بالقياس عليه ـ الفرقة الناجية الموافقة له، والفرق الهالكة المخالفة له.

○○○○○

وقد حقَّق هٰذا الجيل في تلك الفترة صفتي (التكامل) و(الكمال)، فقد كان واقعهم متكامل الجوانب، مستجمع الشروط:

فهنـاك الإمـام العادل، الحاكم بشريعة الله، المقيم لحدوده، المعلن للجهاد ـ وهو الرسول ﷺ ـ، ثم الخلفاء الراشدون.

وكانت الرعيَّة مجتمعة على هٰذا الإمام، غير مختلفة عليه.

وكانوا يمثِّلون سواد الأمة الإسلامية؛ من حيث إنهم الكثرة المجتمعة على الحق، بل لم يكن ثمَّت غيرهم من المسلمين مَن ينازعهم لبيعة إمام آخر ـ إلا ما حدث في أواخر عهد الخلفاء الراشدين ـ.

كما كانوا يمثِّلون السواد من جهة التزامهم بالمنهج الصحيح المتَلَقَّى عن النبي ـ ﷺ ـ في الاعتقاد، والعمل، والحكم، والسلوك، ولم يكن ثمَّت من أهل البدع من يظهر بدعته، ويعلنها، ويجمع الناس عليها؛ إلا ما كان في أواخر عهد الخلفاء، ولم يتلطَّخ أحد من الصحابة ببدعة.

وكـانوا يمثِّلون (طائفة العلماء والفقهاء)، فهم أهل التعليم، والتوجيه، والقضايا، والفتيا.

وبذٰلك (تكاملت) فيهم الجوانب التي بتكاملها توجد الفرقة الناجية في أكمل صورها.

أما من حيث (الكمال)؛ فقد حقَّقت هٰذه الفئة القدر الأكبر من الصفات الفردية والجماعية بقدر ما يطيق البشر.

وتنزَّهت ـ إلى أبعد حدٍّ ممكن ـ عن صفات الضعف البشري، وانعتقت من قيود الأرض والطين، وعبودية الأهواء والشهوات والمطامع.

فحقَّقت ـ بهٰذا وهٰذا ـ أكمل صورة يمكن أن يحقِّقها البشر، واستطاعت أن تحفظ للإسلام قوَّته ومكانته، بل وأن تزيد من توسُّعه وانتشاره، فلم يكونوا غرباء في وقتهم؛ لأنهم هم الأمة الحاكمة المسيطرة، ولم تكن الفرقة الناجية غريبة، بل كانت السواد الأعظم ـ واقعاً ومنهجاً ـ وكانت البدع ضعيفة، وأهلها مستخفون، والصولة والجولة كانت للسنة وأهلها[1].

ooooo

وإذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حقَّقوا هٰذه الصورة العظيمة التي كان فيها الحق هو المهيمن الحاكم، وبه يدين المؤمنون جميعاً؛ فإن الأجيال التي جاءت وتجيء بعدهم، وتسعى إلى اقتفاء آثارهم، وملازمة طريق النجاة، قد تحقِّق صورة (شبيهة) بتلك الصورة المثالية، فيوجد السلطان والقرآن والاتِّباع في جماعة شرعية واحدة، يحكمها إمام شرعيٌّ، يحكم بالكتاب والسنة.

وقد تحقق (أجزاءاً) أو (جزءاً) من تلك الصورة ـ فحسب ـ:

أ ـ فقد يوجد سلطان مسلم منحرف، يحمل الناس على انحرافه، ويوجد بإزائه قومٌ من (أهل العلم والفقه والدين)؛ ينابذون هٰذا الانحراف، وينكرونه؛

---

(١) سيأتي في أواخر هٰذا المبحث الحديث عن أهل الحديث، وأهل السنة والجماعة، باعتبارهما مسمَّيين للفرقة الناجية.

كما حدث أيام الإمام أحمد مع المأمون[1].

ب ـ وقد توجد (جماعة العلماء والفقهاء)، ولكن لا يوجد الإمام المسلم الحاكم بشرع الله؛ كما يقع في أيام الاضطرابات والفتن، التي تخلو الأرض فيها من حاكمٍ مسلم، سواء التفَّ حول العلماء سواد الناس وجمهورهم، أو باعدوهم واتبعوا أمر دعاة الفتن والضلالة.

جـ ـ وقد لا يوجد هٰذا ولا ذاك، فلا يوجد الإمام المسلم ـ حتى ولو كان مبتدعاً أو عاصياً ـ، ولا يوجد العلماء والفقهاء المعروفون بالسنة والاتباع.

○○○○○

والحديث ـ حديث الافتراق والفرقة الناجية ـ وغيره يلزم المسلم أن يحقِّق من الصورة المثالية الكاملة ـ صورة الجماعة، والسواد الأعظم، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ـ بقدر ما يستطيع، ويتعامل مع واقعه الذي يعيشه بحسبه.

فإن وجد الجماعة والإمام؛ لزمهم، وإن وجد الإمام المخالف للسنة وما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه؛ لزم طاعته في طاعة الله، وخالفه في انحرافه وبدعته، وإن وجد جماعة أهل الفقه والعلم والحديث؛ لزمهم واتَّبعهم، وإن لم يجد هٰذا ولا هٰذا؛ دعا إلى الحق، وإقامة الجماعة والسلطان، فإن لم يطق

---

(١) **المأمون**: هو عبد الله بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي، أبو جعفر، ولد سنة (١٧٠هـ)، وتولى الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين سنة (١٩٨هـ)، واستمر فيها عشرين سنة وأشهر، وكان فيه تشيُّع واعتزال وجهل بالسنة، وفي عهده اشتهرت مسألة القول بخلق القرآن، وفتن عليها العلماء، ومع هٰذا كله كان فيه شهامة وقوة ومصابرة للأعداء من الروم وغيرهم، توفي سنة (٢١٨هـ) بطرسوس.

انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠ / ٣١١).

ذٰلك؛ اعتزل الفرق الضالة المنحرفة الهالكة، ولو أن يعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت وهو على ذٰلك؛ كما في حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال:

كان الناس يسألون رسول الله ـ ﷺ ـ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

فقلتُ: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهٰذا الخير، فهل بعد هٰذا الخير من شرٍّ؟

قال: «نعم».

قلت: وهل بعد هٰذا الشر من خيرٍ؟

قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ»[1].

قلتُ: وما دَخَنُه؟

قال: «قومٌ يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتُنْكِر».

قلتُ: فهل بعد ذٰلك الخير من شر؟

قال: «نعم؛ دعاةٌ إلى أبواب جَهَنَّم، مَن أجابهم إليها قَذَفوه فيها».

قلتُ: يا رسول الله! صِفْهم لنا.

قال: «هُم من جِلْدتنا، ويتكلَّمون بألسنَتِنا».

قلتُ: فما تأمُرُني إن أدركني ذٰلك؟

قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم».

---

(١) الدَّخن: هو الكدورة وعدم الصفاء.

«النهاية» (٢ / ١٠٩).

قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟

قال: «فاعتزل تلك الفرق كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

---

(١) رواه البخاري في: ٦١ ـ كتاب المناقب، ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام، (٤ / ١٧٨).

وفي: ٩٢ ـ كتاب الفتن، ١١ ـ باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، (٨ / ٩٣).

ــ ومسلم في: ٢٣ ـ كتاب الإمارة، ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، (رقم ٥١ ـ ٥٢)، (٣ / ١٤٧٥ ـ ١٤٧٦).

ــ وابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ١٣ ـ باب العزلة، حديث (رقم ٣٩٧٩) (٢ / ١٣١٧) مقتصراً على قوله: «يكون دعاة على أبواب جهنم. . . » الحديث.

ــ وحديث (رقم ٣٩٨١) (٢ / ١٣١٧) بلفظ: «تكون فتن على أبوابها دعاة إلى النار، فأن تموت وأنت عاضٌّ على جذل شجرة غير لك من أن تتبع أحداً منهم».

ــ وأبو عوانة في «الصحيح المسند»: كتاب الأمراء، باب الخبر الموجب الاعتصام بالإمام والجماعة في الفتنة، (٤ / ٤٧٤ و٤٧٥).

ــ ورواه بلفظ آخر، وإسناد مختلف، وفي أوله قصة: أبو داود في: ٢٩ ـ كتاب الفتن والملاحم، ١ ـ باب ذكر الفتن ودلائلها، (رقم ٤٢٤٤ ـ ٤٢٤٧)، (٤ / ٤٤٤ ـ ٤٤٨).

ــ والنسائي في «الكبرى» في: ٤٧ ـ فضائل القرآن، ٢٧ ـ الأمر بتعليم القرآن واتِّباع ما فيه (ل: ١٠٥ / أ).

وفي: ٢٨ ـ الأمر بتعليم القرآن والعمل به (ل: ١٠٥ / أ).

وهو في «الفضائل» المطبوع، في البابين المذكورين، برقم (٥٧ و٥٨)، (ص ٨٤ ـ ٨٥).

ــ وأحمد في «المسند» (٥ / ٣٨٦ و٤٠٣)، وفي (٤٠٦) مختصراً.

ــ وعبد الرزاق في: باب لزوم الجماعة، (رقم ٢٠٧١١)، (١١ / ٣٤١).

ــ وابن أبي شيبة في: كتاب الفتن، (٢٤٤٩)، من كره الخروج في الفتنة وتعوَّذ منها، =

فالـرسول ـ ﷺ ـ يأمر حذيفة بلزوم جماعة المسلمين، ولزوم إمامهم، وهٰذا يشمل ما إذا كان العلماء والفقهاء هم أهل الحكم والسلطان، وكذٰلك إذا كان السلطان في غيرهم من المسلمين الذين يحكمون بشرع الله.

وهو يدلُّ على أن المرء لو لم يجد إلا أحد الأمرين من الجماعة أو الإمام؛ وجب عليه لزومه، ولذٰلك قال حذيفة: «فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ»؛ يعني: فُقِدَ الأمران معاً.

فهٰذه ثلاثة أحوال: أن توجد الجماعة والإمام، أو توجد الجماعة فحسب، أو يوجد الإمام فحسب، والحال الرابع ألا يوجد جماعة ولا إمام، وهي الحال التي تُشْرَع فيها العزلة[1].

إذاً؛ فالفرقة الناجية في أكمل صورها هي ما كان عليه الصحابة، وهي الجماعة، وهي السواد الأعظم، فإذا قلَّ الخير في الأمة وضعف؛ تفرَّقَ في طوائف عديدة منها؛ كالعلماء المتبعين للسنة، والأمراء الملتزمين بشرع الله في حكوماتهم، ولو كان فيهم هوى وبدعة.

ومن أجل تمييز الحق من الباطل، وبيان من يستحقُّ أن يوصَفَ بأنه من الفرقة الناجية ممَّن لا يستحقُّ ذٰلك ـ في زماننا وفي كل زمان ـ لا بدَّ من عرض بعض الخصائص التي تميِّز الفرقة الناجية ثم الحديث عن بعض المسمَّيات

= (رقم ١٨٩٦٠ ـ ١٨٩٦١)، (١٥ / ٩٠٨)، و(رقم ١٨٩٨٠) (١٥ / ١٧) مختصراً.

ـ والحاكم في «المستدرك»، كتاب الفتن والملاحم (٤ / ٤٣٢)، وقال: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(١) سيأتي الحديث عن العزلة ـ مفصلاً ـ في الكتاب الرابع من هٰذه السلسلة ـ بإذن الله ـ.

المرتبطة بها.

○ خصائص الفرقة الناجية:

حين يصف الرسول ـ ﷺ ـ الفرقة الناجية بأنهم: (من كان على ما كان عليه وأصحابه)؛ فإنه بذلك يشدُّهم إلى (المثل الأعلى)، الذي تحقَّقت فيه، وبرزت من خلاله خصائص الفرقة الناجية، وهي:

١ ـ الاستجابة الكاملة للوحي، وعدم التقديم بين يديه:

إن العلم والفقه الصحيح الكامل في العقائد والشرائع والآداب وغيرها لا يكون إلا عن طريق الوحي المنزل ـ قرآناً وسنة ـ، وذلك بالعلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومعرفة ما يجب له، وما يُنَزَّهُ عنه ـ سبحانه ـ، والعلم بالملائكة، والكتاب، والنبيِّين، والعلم بالآخرة، والجنة، والنار، والعلم بالشرائع المجملة والمفصَّلة، والأحكام المتعلِّقة بالمكلَّفين، والعلمْ بالمسلك الصحيح الذي ينبغي سلوكه في سائر الأحوال: في الغضب والرضا، والقصد والغنى، في الأمن والخوف، في الخير والشر، في الهدنة والفتنة.

والتزام الدليل الشرعي ـ بحيث لا يكون للمسلم أمام الدليل أو النص تردُّد، ولا شك، ولا اختيار ـ هو منهج الذين أنعم الله عليهم بالإيمان الصحيح:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ ولاَ مُؤْمِنَـةٍ إذا قَضَى اللهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم﴾[1].

فالمؤمن الحق لا يكـون له مع النصِّ ميل، ولا هوى، بل يسلم قياده للدَّليل، حتى يصدق عليه أن هواه تَبَع لما جاء به النبي ـ ﷺ[2] ـ.

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله =

وقـد ذمَّ الله تعالى قوماً، وكفَّرهم، وأحبط عملهم؛ لكراهتهم ما أنزل الله، وتبرُّمهم به، فقال:

﴿والَّذينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وأَضَلَّ أَعْمالَهُم . ذٰلكَ بأَنَّهُم كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فأَحْبَطَ أَعْمالَهُم﴾[1].

ومن كان شأنه مع (النص) كذٰلك؛ التزاماً، ووقوفاً عنده، وعدم تقديمٍ بين يديه؛ فهو ممَّن ينتفع بالوحي أعظم انتفاع، فيهتدي به، ويَهْدي إليه.

= ـ ﷺ ـ: «لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعاً لما جئت به».

ــ ذكـره الإمـام النووي في «الأربعين»، وقال: «حديث حسن، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح».

ويعني بكتاب «الحجة: على تاركي سلوك طريق المحجة»، للشيخ أبي الفتح نصر ابن إبراهيم المقدسي الشافعي ـ رحمه الله ـ وهو في عقائد أهل السنة.

ــ ونسبه ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم»، لأبي نُعيم في الأربعين، وعنه الطبراني، ثم لأبي بكر بن عاصم.

ــ وقال ابن رجب: «تصحيح هٰذا الحديث بعيد جدّاً من وجوه:

منها: أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي.

ومنها: أنه قد اختلف على نعيم في إسناده: فروي عنه عن الثقفي عن هشام، وروي عنه عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره، وروي عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره.

ومنها: أن في إسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري: قال الغلابي في «تاريخه»: «يزعمون أنه لم يسمع من عبدالله بن عمرو، وإنما يقول: قال عبدالله بن عمرو، فعلى هٰذا تكون روايته عن عبدالله بن عمرو منقطعة...».

انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٨١ ـ ٢٨٢).

(١) سورة القتال: ٨ ـ ٩.

ولذٰلك ذكر الله ـ في كتابه ـ الكفار الذين حقَّت عليهم كلمة العذاب من الجنِّ والإنس، وأن لهم قلوباً لا يفقهون بها، وأعْيُناً لا يُبْصِرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها، وقال في حقِّهم:

﴿أُولٰئِكَ كالأنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الغَافِلونَ﴾[1].

إذْ هُم لا ينتفعون بالنصوص ـ وإن سمعوها ـ، كما لا ينتفعون بالآيات الكونيَّة المشهودة، ولا يعقلون هٰذه ولا تلك.

وعقَّب على ذٰلك بذكر الملحدين في أسمائه ـ سواء بتسمية الأصنام بأسمائه تعالى، أو بتحريف أسمائه عن معانيها الحقيقية، أو بتسميته بما لم يسمِّ به نفسه، أو بغير ذٰلك من ألوان الإلحاد[2] ـ، وتوعَّدَهم بقوله:

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلونَ﴾[3].

وبين هٰؤلاء وأولٰئك وجه شبه؛ من حيث عدم انتفاعهم بالنصوص؛ لأن الهوى، والتحريف، والتأويل، والإلحاد، سبق إلى نفوسهم، ووقر في قلوبهم، فلم يصادِف النصُّ مكاناً فارغاً في القلب، ولم يستقرَّ فيه.

وعقَّب على هٰذين الصنفين المذمومين بذكر الصنف المحمود ـ وإن كان قليلاً ـ، وهم أصحاب محمد ـ ﷺ ـ، ومَن كان على مثل ما كانوا عليه، فقال:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلونَ﴾[4].

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩ / ١٣٣ ـ ١٣٤)، «تفسير البغوي» (٢ / ٢١٨).

(٣) الأعراف: ١٨٠.

وسيأتي حديث عائشة وغيره في ذٰلك.

(٤) الأعراف: ١٨١.

فهُم المُهْتَـدون بالـوحي الإلٰهي، الهـادون إليه، الحـاكمـون به بين الناس[1]؛ كما سبق في حديث علي ـ رضي الله عنه ـ للجاثليق.

وفي موضـع آخر ذكر الكتاب المنزل، وأن منه آيات محكمات هن أمُّ الكتاب، وأُخَر متشابهات، فأشار بهٰذا إلى أن المحكم هو (الأم) و(الأصل) الذي يجب ردُّ المتشابه إليه؛ لوضوح دلالته، وظهورها، وعدم الاختلاف في معناه؛ بخلاف المتشابه.

وبيَّن أن هٰذا مسلك الراسخين في العلم، وأن مسلك الذين في قلوبهم زيغٌ وهوى أنهم يتَّبعون المتشابه ليحملوه على أهوائهم؛ يبتغون بذٰلك تأويله، وصرفه عن معناه الحقيقي المقصود إلى معانٍ من عند أنفسهم، فيفتتنون هم بذٰلك، ويخادِعون أنفسهم، فيتوهَّمونه حقّاً، ويفتنون غيرهم من الأتباع الذين لا يميِّزون بين الحق والباطل؛ لغفلتهم، وتعصُّبهم لرؤسائهم، وحسن ظنِّهم بمشايخهم.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتشابِهاتٌ فأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغاءَ تَأْويلِهِ ومَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلَّا اللهُ والرَّاسِخونَ في العِلْمِ يَقولونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ومَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولو الألبابِ**﴾[2].

عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت: تلا رسول الله ـ ﷺ ـ هٰذه الآية... قالت: قال:

«**فإذا رأيتَ الَّذينَ يتَّبعون ما تشابَه منه؛ فأولٰئك الذين سمَّى الله؛**

---

(1) انظر: «تفسير الطبري» (9 / 135).

(2) آل عمران: 7.

فاحذروهم»[1].

(١) رواه البخاري في: **٦٥** ـ كتاب التفسير، **٣** ـ سورة آل عمران، **١** ـ ﴿**مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ**﴾، (٥ / ١٦٦).

ـ ومسلم في: **٤٧** ـ كتاب العلم، **١** ـ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، (رقم ١)، (٤ / ٢٠٥٣).

ـ وأبو داود في: **٣٤** ـ كتاب السنة، **٢** ـ باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن، (رقم ٤٥٩٨)، (٥ / ٦).

ـ والترمذي في: **٤٨** ـ كتاب تفسير القرآن، **٤** ـ باب ومن سورة آل عمران، (رقم ٢٩٩٣ و٢٩٩٤)، (٥ / ٢٢٢)، وقال: «هٰذا حديث حسن صحيح».

ـ والـدارمي في: المقدمة، **١٩** ـ باب مَن هاب الفتيا وكره التنطُّع والبدع، (رقم ١٤٧)، (١ / ٥١).

ـ وأحمد في «المسند»: (٦ / ١٢٤ و١٣٢).

ـ والآجُرِّي في «الشريعة»: باب ذكر السنن والآثار، (ص ٢٦)، بلفظ: «إذا رأيتُم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله . . .».

ـ وأبو داود الطيالسي في: مسند عائشة، (ص ٢٠٣)، وفيه: «قالها ثلاثاً».

ـ والطبري في «التفسير»: سورة آل عمران، (٣ / ١٧٨ ـ ١٨٠).

ـ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في النهي عن مناظرة أهل البدع، (رقم ١٨٧)، (١ / ١١٨).

ـ وأبو نعيم في «الحلية»: ترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر، ورقمها (١٧٢)، (٢ / ١٨٥)، وفيه: «إذا رأيتم الذين يسألون عمَّا تشابه فيه . . .».

ـ والبغوي في «التفسير»: سورة آل عمران، (١ / ٢٧٩).

ـ والبيهقي في «دلائل النبوة»: باب ما جاء في إخباره باتباع مَن كان في قلبه زيغٌ متشابهات الكتاب، (٦ / ٥٤٥ و٥٤٦).

ـ وذكره ابن كثير في «تفسيره»، ونسبه لابن أبي حاتم وابن المنذر في «تفسيريهما» (١ / ٣٤٥). =

ولما ذكر الرسول ـ ﷺ ـ الخوارج؛ قال في شأنهم ـ فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ـ:

«يحْقِرُ أحدُكُم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، يقرؤون القرآن، لا يجاوزُ تَراقِيَهم، يمرُقون من الدِّين كما يمرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّة[١]؛ يَنْظُرُ إلى نَصْلِه[٢] فلا يوجد فيه شيء، ثم يَنْظُرُ إلى رِصافه[٣] فلا يوجد فيه شيء، ثم يَنْظُرُ إلى نَضِيِّه ـ وهو قِدْحُه[٤] ـ فلا يوجد فيه شيء، ثم يَنْظُرُ إلى قُذَذِه[٥] فلا

= ـ ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» أيضاً لعبدالرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن حبان (٢ / ١٤٨).

(١) **الرَّمِيَّة**: بكسر الميم وتشديد الياء: فعيلة بمعنى مفعولة، وهي الصيد المرمي، شبه مروقَهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد، فيدخل فيه، ويخرج منه، ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق بالسهم من جسد الصيد شيء، لا فرث ولا دم!

انظر: «فتح الباري» (٦ / ٦١٨).

(٢) **النصل**: هو حديدة السهم.

«الفتح» (٦ / ٦١٨).

(٣) **الرصاف**: بكسر الراء، ثم صاد مهملة، ثم فاء موحدة ـ أي: عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل، والرصاف جمعٌ، مفرده: رصفة؛ بحركات.

(٤) **النَّضِيّ**: بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وبعدها ياء مشدَّدة، فسَّره في الحديث بالقِدْح ـ بكسر القاف وسكون الدال ـ؛ أي: عود السهم قبل أن يراش وينصل، وقيل: هو ما بين الريش والنصل.

ـ قال ابن فارس: «سمي بذلك لأنه بُرِيَ حتى عاد نِضْواً؛ أي: هزيلاً، وعليه؛ فالنضي: فعيل بمعنى مفعول».

انظر: «الفتح» (٦ / ٦١٨ ـ ٦١٩).

(٥) **القذذ**: بضم القاف، بعدها ذال معجمة مفتوحة، جمع: قذة، وهي ريش السهم. «فتح» (٦ / ٦١٩).

يوجد فيه شيء، قد سبق الفرثَ والدَّم»[١و٢].

---

(١) أي: أن السهم لسرعته خرج من الصيد، وسبق الفرث الذي في كرشه، والدم الذي في عروقه، فلم يظهر لهما فيه أثر.

انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٦ / ١٤٣).

(٢) الحديث رواه البخاري في: ٦١ ـ كتاب المناقب، ٣٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام، (٤ / ١٧٩).

وفي: ٦٠ ـ كتاب الأنبياء، ٦ ـ باب قوله تعالى: ﴿وإلى عَادٍ أخاهُمْ هُوداً﴾، (٤ / ١٠٨).

وفي: ٦٤ ـ كتاب المغازي، ٦١ ـ بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ إلى اليمن، (٥ / ١١٠).

وفي ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن، ٣٦ ـ باب من راءى بقراءة القرآن، (٦ / ١١٥).

وفي: ٨٨ ـ كتاب استتابة المرتدين، ٧ ـ باب من ترك قتال الخوارج للتألف، (٨ / ٥٢).

وفي: ٩٧ ـ كتاب التوحيد، ٢٣ ـ باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ إليهِ...﴾، (٨ / ١٧٧).

ـ ومسلم في ١٢ ـ كتاب الزكاة، ٤٧ ـ باب ذكر الخوراج وصفاتهم، (رقم ١٤٣ - ١٤٩)، (٢ / ٧٤٠ ـ ٧٤٦).

ـ وأبو داود في: ٣٤ ـ كتاب السنة، ٣١ ـ باب في قتال الخوراج، (رقم ٤٧٦٤)، (٥ / ١٢١).

ـ والنسائي في: ٢٢ ـ كتاب الزكاة، ٧٩ ـ المؤلفة قلوبهم، (٥ / ٨٧).

وفي: ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم، ٢٦ ـ من شهر سيفه ثم وضعه في الناس، (٧ / ١١٨).

ـ وابن ماجه: المقدمة، ١٢ ـ باب ذكر الخوارج، (رقم ١٦٩)، (١ / ٦٠).

ـ ومالك في «الموطأ»: ١٥ ـ كتاب القرآن، ٤ ـ باب ما جاء في القرآن، (رقم ١٠)، (١ / ٢٠٤). =

شبَّه - ﷺ - خروج الخوارج من الدين بعد دخولهم فيه، وأنه لم يبق لهم منه شيءٌ بالسهم الذي يصيب الطير، فينفذ فيه بسرعة، ثم يخرج منه قبل أن يعلق فيه شيء يُذكَر من الفرث والدَّم[1].

ووصفهم - ﷺ - بقراءة القرآن، ومع ذلك فهو لا يجاوِزُ تراقِيَهم.

وقد فهم العلماء من ذلك أحد معنيين:

الأول: أن قلوبَهم لا تفقهه ولا تدرِكُ معانيه[2]؛ لأنها أُشرِبَت (الهوى)، فصارت تحمل القرآن على معانٍ ليست صحيحة، وتستدل به لآرائها المنحرفة، وتأخذ بمتشابهه، وتترك محكمه.

فتتمسك - مثلاً - بقوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فأُولٰئكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدونَ**﴾[3].

وقوله: ﴿**ومَنْ يَعْصِ اللهَ ورَسولَهُ فإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خَالِدينَ فيها أَبداً**﴾[4].

وقوله: ﴿**فأَنْذَرْتُكُم ناراً تَلَظَّى . لا يَصْلاها إِلَّا الأشْقَى . الَّذي كَذَّبَ وتَولَّى**﴾[5].

وتغفل عن قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلكَ لِمَنْ**

= - وأحمد في «المسند» (٣ / ٥ و١٥ و٣٣ و٥٢ و٦٠ و٦٤ و٦٨ و٧٣).
- وأبو داود الطيالسي في «مسنده»: الأفراد عن أبي سعيد، (ص ٢٩٦).

(١) انظر: «عمدة القاري» (١٦ / ١٤٣)، «فتح الباري» (٦ / ٦١٨ - ٦١٩).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٦١٨).

(٣) البقرة: ٨١.

(٤) الجن: ٢٣.

(٥) الليل: ١٤ - ١٦.

يَشاءُ﴾[1].

وقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَريماً﴾[2].

وقوله: ﴿وإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنينَ اقْتَتَلوا فأَصْلِحوا بينَهُما. . .﴾[3].

فأثبت لهم الإيمان مع وقوعهم في الاقتتال.

. . . إلى غير ذٰلك من الآيات[4].

وإذ قد وقَرَ في قلوبهم من الصنف الأول من الآيات معنى يوافِقُ الهوى الذي أُشْرِبوه؛ لم ينتفعوا بالصنف الثاني، بل حصروا همَّهُم في أوجه تأويلِه ودفعه.

وهٰكذا شأن أصحاب البدع كافَّة.

المعنى الثاني: أن المراد بقوله: «لا يجاوز تراقيهم»؛ أي: لا يُثابون عليه، ولا يرتفع إلى الله؛ لأنه عملٌ غير صالح[5].

وكلا المعنيين صحيحٌ، والثاني فرعٌ عن الأول، ونتيجةٌ له.

وحين تتأمَّل الوصف النبويَّ البديع بشأن الخوارج مع الدِّين الذي يزعمون

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) انظر: «الإيمان» لأبي عُبيد، (ص ٨٤ ـ ١٠٢)، وغيره من كتب عقائد أهل السنة.

(٥) انظر: «فتح الباري» (٦ / ٦١٨).

أنهم ـ وحدَهم ـ الممسكون به، العاضُّون عليه، وأن غيرَهم ـ حتى الصحابة ـ قد خرجوا منه؛ تَجِدْ دِلالة عظيمة على فقدان انتفاعهم بالنصوص، حيث يدخلون ـ مثلاً ـ في قراءة القرآن ويخرجون منها؛ ما ازدادوا إلا شدَّة في بدعتهم، وغلوّاً فيها، لم يَعْلَق في قلوبهم من معاني القرآن شيء.

وهٰذا فيه دليلٌ على أنَّ أعظم مسألة تواجه قارىء النص أو الوحي هي طبيعة موقفه من النص، ومدى استجابته له.

وبناء على هٰذه المسألة الخطيرة وما يترتَّب عليها، يتحدَّد موقع الإنسان، وهل هو من الفرقة الناجية؟ أم من الفرق الهالكة؟

ولقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعظم من غيرهم انتفاعاً بالدليل والوحي، وتسليماً له؛ لأسباب عديدة؛ منها:

١ ـ نزاهة قلوبهم، وخلوها من كل ميلٍ أو هوى غير ما جاءت به النصوص، واستعدادها التامِّ لقبول ما جاء عن الله ورسوله، والإذعان والانقياد له انقياداً مطلقاً؛ دون حرج، ولا تردُّد، ولا إحجام.

٢ ـ معاصرتهم لوقت التشريع ونزول الوحي، ومصاحبتهم للرسول ـ ﷺ ـ في جميع أحواله: في الليل والنهار، والحضر والسفر، والسلم والحرب، ولذٰلك كانوا أعلم الناس بملابسات الأحوال التي نزلت النصوص فيها.

والعلم بملابسات الواقعة أو النص من أعظم أسباب فقهه وفهمه وإدراك مغزاه.

٣ ـ وكانت النصوص ـ قرآناً وسنَّةً ـ تأتي في كثير من الأحيان لأسباب تتعلق بهم ـ بصورة فرديَّة، أو جماعية ـ، فتخاطبهم خطاباً مباشراً، وتؤثِّر فيهم أعظم التأثير؛ لأنها تعالجُ أحداثاً واقعية، وتعقِّب عليها في حينها، حيث تكون

النفوس مشحونة بأسباب التأثُّر، متهيِّئة لتلقِّي الأمر والاستجابة له.

٤ ـ وقد أعفاهُم قربُ عهدهم بالنبي ـ ﷺ ـ من الجهد الذي احتاج إليه مَن بعدَهم في تمييز النُّصوص وتصحيحها، فلم يحتاجوا ـ في غالب أحوالهم ـ إلى سلسلة الإسناد، ولا معرفة الرجال والعلل وغيرها، ولم يختلط عليهم الصحيح بغيره، ومن ثَمَّ لم يقع عندهم التردُّد في ثبوت النص الذي وقع عند كثير ممَّن جاء بعدهم ـ خاصة من أصحاب النفوس المريضة، أو من الجهلة الذين لم يدرسوا السُّنة ويفقهوها رواية ودراية ـ، فكانوا إذا سمعوا أحداً يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ؛ ابْتَدَرَتْهُ أبصارُهم؛ كما يقول ابن عباس ـ رضي الله عنه[1] ـ.

وحتى حين كَثُرَ الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ، ودَخَلَ فيه الوضع؛ كان عند الباقين من الصحابة من الصحيح الثابت ما يُغنيهم، وكان بعضُهم يأخذ عن بعض، حيث تتوفر الثقة، ولذلك قال ابن عباس في الأثر السابق:

«فلما ركب الناس الصَّعْبَ والذَّلولَ؛ لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف»[2].

وكذلك كانوا يأخذون عن ثقات التابعين؛ كما قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ:

«هذا مالك بن يخامر ـ وبه النسمة ـ يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم بالشام»[3].

---

(١) مقدمة «صحيح مسلم» (١ / ١٣).

(٢) مقدمة «صحيح مسلم» (١ / ١٣).

(٣) هذه رواية أبي عوانة (٥ / ١٠٦)، وسيأتي الحديث، ورواياته في الفصل الثاني، من هذا الكتاب.

يعني: الطائفة المنصورة.

٢ ـ التأثُّر الوجداني العميق بالوحي والإيمان:

إن هٰذا العلم الصحيح الموثق بالدليل الثابت، كان (علماً نافعاً)، وليس حقائق ذهنيَّة مجرَّدة يتعامل معها العقل فحسب؛ دون أن يكون لها علاقة بالقلب والجوارح.

كذٰلك كان الأمر لدى أصحاب محمد ـ ﷺ ـ، وكذٰلك يكون لدى (الفرقة الناجية) التي هي على ما كانوا عليه.

فقد أورثهم العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله: محبَّتَه، والتألُّه إليه، والشوق إلى لقائِه والتمتعِ بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن.

وأورثهم تعظيمَه، والخوفَ منه، والحذرَ من بأسه وعقابِه وبطشِه ونقمتِه.

وأورثهم رجاءَ ما عندَه، والطمعَ في رضوانه وجنتِه، وحسنَ الظنِّ به.

فاكتملت لديهم ـ بذٰلك ـ آثارُ العلم بالله والإيمان به، وهي: الحب، والخوف، والرجاء.

وأورثهم العلمُ بالجنة والنار: الرغبةَ في النعيم الأبدي السرمدي، والخوفَ من مقاساة العذاب الرهيب، فقلوبهم تتراوح بين نعيم ترجوه وتخشى فوته، وعذاب تحذره وتخشى وقوعه.

فتعلَّقت قلوبهم بالآخرة ـ فكرةً وخوفاً ورجاء ـ، حتى كأنها ترى البعث والقيامة والميزان والصراط والجنة والنار رأي عينٍ، حتى إذا عالج أحدُهم أمراً من أمور دُنياه التي لا بدَّ له منها؛ أنَّبَتْهُ نفسُه، وعاتَبَهُ ضميرُه!

فعن حنظلة بن الربيع الأسيدي ـ رضي الله عنه ـ، قال: لقيَني أبو بكرٍ،

فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلتُ: نافقَ حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقولُ؟ قال: قلتُ: نكون عند رسول الله ـ ﷺ ـ يذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأيَ عينٍ، فإذا خَرَجْنا من عند رسول الله ـ ﷺ ـ؛ عافَسْنا[1] الأزواج والأولاد والضَّيعات[2]، فنسينا كثيراً! قال أبو بكر: فوالله إنا لَنَلْقى مثل هٰذا. فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دَخَلْنا على رسول الله ـ ﷺ ـ:

قُلتُ: نافق حنظلةُ يا رسول الله!

فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «وما ذاك؟».

قلتُ: يا رسول الله! نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنَّة، حتى كأنَّا رأيَ عينٍ، فإذا خرجنا من عندك؛ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات؛ نسينا كثيراً.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «والذي نفسي بيده؛ إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر؛ لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم، وفي طرقكم، ولكن ـ يا حنظلة! ـ ساعة وساعة»؛ ثلاث مرات[3].

---

(١) **عافسنا** ـ بالفاء والسين المهملة ـ؛ أي: عالجناه، ومارسناه، واشتغلنا به.
انظر: «شرح النووي» (١٧ / ٦٦).

(٢) **الضيعات**: جمع ضيعة، وهي معاش الإنسان؛ من مال، أو حرفة، أو صناعة، أو غيرها.

انظر: «شرح النووي» (١٧ / ٦٦).

(٣) الحديث رواه مسلم في: **٤٩** ـ كتاب التوبة، **٣** ـ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذٰلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، (رقم ١٢ ـ ١٣)، (٤ / ٢١٠٦ ـ ٢١٠٧).

ـ والترمذي في: **٣٨** ـ كتاب صفة القيامة، **٢٠** ـ باب، (رقم ٢٤٥٢)، (٤ / ٦٣٤)؛ مقتصراً منه على قول النبي ـ ﷺ ـ دون قوله: «ساعة وساعة»، وقال: «هٰذا حديث =

فأشار ـ ﷺ ـ إلى طلب الترقِّي، والحرص على يقظة القلب، وخفظه من الغفلة المهلكة، كما أشار إلى أن الحال التي كان ينشدها حنظلة ـ رضي الله عنه ـ أقرب إلى شأن الملائكة منها إلى شأن البشر، وليس مطلوباً من المسلم تحقيقُها في نفسه ـ بصورة دائمة مستمرَّة ـ.

وأورثهم علمُهم بالقدر، وأنه أمرٌ قد فُرِغ منه: التوكُّل على الله، وعدم التوكُّل على الأسباب، وعدم الفرح بما أُوتوا، ولا الأسى على ما مُنِعوا، والإجمال في الطَّلب، إذ لن يفوت المرءَ ما قُدِّر له، ولن يأتيه ما لم يقدَّر، كما

= حسن غريب من هٰذا الوجه».

ــ وابن ماجه في: ٣٧ ـ كتاب الزهد، ٢٨ ـ باب المداومة على العمل، (رقم ٤٢٣٩)، (٢ / ١٤١٦) بتمامه.

ــ وأحمد في «المسند» (٤ / ١٧٨ و٣٤٦).

وله شواهد:

أ ـ منها حديث أنس بنحوه عند الإمام أحمد (٣ / ١٧٤).

ب ـ ومنها حديث أبي هريرة عند الترمذي: ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة، ٢ ـ باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، (رقم ٢٥٢٦)، (٤ / ٦٧٢)، وفيه: «. . . ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يذنبوا فيغفر لهم، وفي آخره زيادة».

ــ قال أبو عيسى: «هٰذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل، وقد رُوِيَ هٰذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدله، عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ».

وذٰلك أنه (أي: الترمذي) رواه من طريق زياد الطائي عن أبي هريرة.

ــ وزياد هٰذا قال فيه الذهبي: «لا يُعْرف. . . ليَّن الترمذي حديثه» «الميزان» (٢ / ٩٦).

ــ أما رواية أبي المدله؛ فهي في «المسند» (٢ / ٣٠٤)، وفيه قوله: «لو لم تذنبوا. . .»، والزيادة بعدها.

غرس في قلوبهم الشجاعة والإقدام، حتى كان عليٌّ - رضي الله عنه - يخوض الحرب ويقول:

أيُّ يَوْمَيَّ مِنَ المَوْتِ أَفَرّ
يَوْمَ لا يُقَدَّرُ أَوْ يَوْمَ قُدِرْ
يَوْمَ لا يُقَدَّرُ لا أَرْهَبُهُ
ومِنَ المَقْدُورِ لَا يُنْجِي الحَذَرْ[1]

وأورثهم علمُهم بالموت وإيمانُهم به: العزوفَ عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، والدوام على العمل الصالح، إذ لا يدري المرء متى يموت؟ والموت منه قريب.

وهٰذه المعاني الوجدانية هي المقصود الأعظم من تحصيل العلم، وإذا فُقِدَت؛ فلا ينفع مع فقدها علمٌ، بل هو ضررٌ في العاجل والآجل.

ولذٰلك يقول أبو الدَّرداء - رضي الله عنه -: كنا مع رسول الله - ﷺ -، فشَخَصَ ببصره إلى السماء، ثم قال:

«هٰذا أوانُ يُخْتَلَسُ العلمُ من الناس حتى لا يقدِروا منهُ على شيءٍ».

فقال زياد بن لبيدٍ الأنصاريُّ: كيف يُخْتَلَسُ منا وقد قرأْنا القرآن؟ فوالله لَنقرَأَنَّهُ ولَنُقْرِئَنَّهُ نساءَنا وأبناءَنا.

---

(١) البيتان وردا في «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١ / ٩٦، ٦ / ١٢٤ و١٣٧).
والبيت الأول - فحسب - ورد في: «أسماء المغتالين في الجاهلية والإسلام» لمحمد بن حبيب البغدادي، ضمن نوادر المخطوطات، جمع عبدالسلام هارون، (٦ / ١٦١)، و«اللسان»، (مادة: قدر) (٥ / ٧٥)، وغيرهما.

فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّك يا زياد! إن كنتُ لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة! هٰذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تُغني عنهم؟».

قال جُبيرٌ[1]: فلقيتُ عُبادة بن الصامت؛ قلتُ: ألا تسمعُ إلى ما يقول أخوك أبو الدَّرداء؟ فأخبرتُه بالذي قال أبو الدَّرداء؛ قال: صدق أبو الدَّرداء، إن شئتَ لأحدِّثَنَّك بأوَّل علمٍ يُرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً[2].

---

(١) هو جبير بن نفير الحضرمي، تابعي جليل، وأحد رواه الحديث، وستأتي ترجمته.

(٢) رواه الترمذي في: ٤٢ ـ كتاب العلم، ٥ ـ باب ما جاء في ذهاب العلم، (رقم ٢٦٥٣)، (٥ / ٣١) بهٰذا اللفظ، وقال: «هٰذا حديث حسنٌ غريبٌ، ومعاوية بن أبي صالح: ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحداً تكلَّم فيه غير يحيى بن سعيد القطان، وقد روى عن معاوية بن صالح نحو هٰذا، وروى بعضهم هٰذا الحديث عن عبدالرحمٰن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ».

ـ والدارمي في: المقدمة، ٢٩ ـ باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله، (رقم ٢٩٤)، (١ / ٧٥).

ـ والطحاوي في «مشكل الآثار»، في: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ في رفع العلم عن الناس، وقبضه منهم، (١ / ١٢٤).

ـ وأشار إليه أبو نُعيم في «الحلية» في: ترجمة جبير بن نفير، رقمها (٣٠٥)، (٥ / ١٣٨).

ـ والحاكم في «مستدركه»: كتاب العلم، (١ / ٩٩)، وقال: «هٰذا إسناد صحيح من حديث البصريين»، ووافقه الذهبي.

ـ كلهم من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عبدالرحمٰن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن أبي الدرداء ـ إلا أنه سقط من إسناد الطحاوي معاوية بن صالح.

ـ وعبد الله بن صالح هو: كاتب الليث، صدوق كثير الغلط. =

= ــ أما معاوية بن صالح؛ فهو: ابن حدير الحضرمي، وثقه أحمد، وابن معين ـ في رواية ـ، وعبدالرحمٰن بن مهدي، وأبو زرعة، والعجلي، والنسائي، وغيرهم، وضعَّفه القطان ـ كما سبق في كلام الترمذي ـ، وقال الذهبي: «صدوق إمام».

انظر: «التهذيب» (١٠ / ٢٠٩)، «الكاشف» (٣ / ١٣٩).

ــ وعبد الرحمٰن بن جبير بن نفير الحضرمي: وثقه أبو زرعة، والنسائي، وابن حبان، وقال أبو حاتم: «صالح الحديث»، وقال ابن سعد: «كان ثقة، وبعض الناس يستنكر حديثه»، وقال الذهبي وابن حجر: «ثقة».

«التهذيب» (٦ / ١٥٤)، «الكاشف» (٢ / ١٤٢)، «التقريب» (١ / ٤٧٥).

ــ أما أبوه؛ فمخضرمٌ ثقة.

انظر: «التهذيب» (٢ / ٦٤)، «التقريب» (١ / ١٢٦).

ــ فالحديث بهٰذا الإسناد فيه ضعف؛ لحال عبدالله بن صالح.

ولكن له **شواهد كثيرة**؛ منها:

أولاً: حديث زياد بن لبيد:

ــ رواه ابن ماجه في: ١٦ ـ كتاب الفتن، ١٤ ـ باب ذهاب القرآن والعلم، برقم (٤٠٤٨)، (٢ / ١٣٤٤).

ــ والإمام أحمد (٤ / ٢١٨ و٢١٩).

ــ والطحاوي في بيان مشكل ما روي عن رسول الله في رفع العلم عن الناس، (١ / ١٢٤).

ــ والحاكم في: كتاب العلم، (١ / ١٠٠)، وقال: «قد ثبت الحديث بلا ريب فيه، برواية زياد **بن لبيد**، بمثل هٰذا الإسناد الواضح».

ــ والبخاري في «التاريخ الكبير»: في ترجمة زياد، ورقمها (١١٦٣)، (٣ / ٣٤٤).

ــ كلهم من طريق وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد.

ــ ووكيع: هو ابن الجراح بن مليح الرؤاسي: ثقة، حافظ، عابد.

«التقريب» (٢ / ٣٣١)، وانظر: «التهذيب» (١١ / ١٢٣). =

. . . .

= ـ والأعمش: هو سليمـان بن مهران الأسدي: ثقة، حافظ، مدلس، وقد احتمل الأئمة تدليسه.

«التقريب» (١ / ٣٣١)، وانظر: «التهذيب» (٤ / ٢٢٢)، «تعريف أهل التقديس» (ص ٦٧).

لكن قال البخاري: «قال وكيع: عن الأعمش، عن سالم، عن زياد، وهو مرسل لا يصح».

«التاريخ الصغير» (١ / ٤١)، وانظر: «الكبير» (٣ / ٣٤٤).

ـ وهذا الحديث المرسل ـ على رأي البخاري ـ يرتقي بالذي قبله إلى درجة الحسن.

ـ وقـد رواه الحـاكم أيضـاً من طريق آخـر عن سالم عن زياد في: كتـاب معرفة الصحابة، ذكر زياد بن لبيد الأنصاري، (٣ / ٥٩٠)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ـ ورواه الحـافظ أبـو خيثمـة زهير بن حرب النسائي في كتاب العلم، من طريق الأعمش، برقم (٥٢)، (ص ١٢١).

ثانياً: وله شاهد من حديث عوف بن مالك.

ـ وفيه: «فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى، فحدثه هذا الحديث عن عوف بن مالك، فقال: صدق عوف. ثم قال: وهل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري. قال: ذهاب أوعيته. قال: وهل تدري أي العلم أول أن يرفع؟ قال: قلت: لا أدري. قال: الخشوع، حتى لا تكاد ترى خاشعاً...».

ـ رواه النسائي في «الكبرى»، في: ٢٧ ـ كتاب العلم، ٤١ ـ قوله جل ثناؤه: ﴿**وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (ل: ٧٧ / أ).

ـ وأحمد في «المسند» (٦ / ٢٦)، ولفظ الزيادة منه.

ـ والبزار؛ كما في «كشف الأستار»: كتاب العلم، باب ذهاب العلم وأهله، (رقم ٢٣٢)، (١ / ١٢٣)، وقال الهيثمي في «المجمع»: «وفيه ـ يعني: إسناد البزار ـ عبدالله بن =

= صالح كاتب الليث، قال عبدالملك بن شعيب: كان ثقة مأموناً، وضعَّفه الباقون».

«المجمع» (١ / ٢٠٠).

ـ ولم يذكر البزار لقاء جبير لشداد بن أوس.

ـ ونسبه الهيثمي للطبراني في «الكبير» ـ كاملاً ـ: «المجمع»، كتاب العلم، باب ذهاب العلم، (١ / ٢٠٠).

ـ ورواه أبو نعيم في «الحلية» في: ترجمة جبير بن نفير، ورقمها (٣٠٥)، (٥ / ١٣٨).

ثم في: ترجمة إبراهيم بن أبي عبلة، ورقمها (٣٢١)، (٥ / ٢٤٧).

ـ ورواه الطحاوي في «المشكل»، في: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ في رفع العلم، (١ / ١٢٢ ـ ١٢٤).

ـ وابن حبان في «صحيحه»؛ كما في «الموارد»: ٢ ـ كتاب العلم، ٢١ ـ باب رفع العلم، (رقم ١١٥)، (ص ٥٩).

ـ والحاكم في «مستدركه»: كتاب العلم، (١ / ٩٩)، وقال: «هٰذا صحيح، وقد احتج الشيخان بجميع رواته، والشاهد لذٰلك فيه شداد بن أوس، فقد سمع جبير بن نفير الحديث منهما جميعاً ومن ثالث من الصحابة هو أبو الدرداء»، ووافقه الذهبي.

ـ ورواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل»: باب في التغليظ على من ترك العمل بالعلم، برقم (٨٩) (ص ١٨٩).

ثالثاً: ومن حديث ابن عمر.

ـ رواه البزار؛ كما في «كشف الأستار»: كتاب العلم، باب ذهاب العلم وأهله، رقم (٢٣٥)، (١ / ١٢٥).

ـ وقال الهيثمي: «وفيه سعد بن سنان، وقد ضعَّفه البخاري ويحيى بن معين وجماعة؛ إلا أن أبا مسهر قال: حدثنا صدقة بن خالد، قال: حدثني أبو مهدي سعيد بن سنان مؤذن أهل حمص، وكان ثقة مرضيّاً».

«المجمع» (١ / ٢٠٠). =

ولقد كان للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من هٰذه المعاني الوجدانية أعظمَ نصيب؛ لأن إيمانهم كان أعمق وأكمل من إيمان غيرهم، ولقد تَلَقَّوْهُ غضّاً طريّاً من النبي ـ ﷺ ـ، لم يَخْلَقْ بغبرة الأهواء والغفلات.

= **رابعاً: ومن حديث وحشي بن حرب.**

ـ رواه الطبراني في «الكبير»: فيما أسند وحشي، (رقم ٣٦٥)، (٢٢ / ١٣٧).

ـ وقال الهيثمي في «المجمع»: «وإسناده حسن» (١ / ٢٠١).

خامساً: ومن حديث صفوان بن عسال:

ـ رواه الطبراني في «الكبير»: في ترجمة أبي سلمة بن عبدالرحمٰن عن صفوان، (رقم ٧٣٩٨)، (٨ / ٨٥).

ـ وقال الهيثمي في «المجمع»: «وفيه مسلمة بن علي الخشني، وهو ضعيف» (١ / ٢٠١).

سادساً: ومن حديث أبي أمامة.

ـ رواه أحمد في «المسند»: (٥ / ٢٦٦).

ـ ورواه الطبراني في «الكبير»: في ترجمة معان بن رفاعة السلمي، عن علي بن يزيد، من مسند أبي أمامة، (رقم ٧٨٦٧)، (٨ / ٢٥٦).

ـ وقال الهيثمي: «وإسناد الطبراني أصح؛ لأن في إسناد أحمد علي بن زيد، وهو ضعيف جدّاً، وهو عند الطبراني من طرق، في بعضها الحجاج بن أرطأة، وهو مدلس، صدوق، يكتب حديثه، وليس ممَّن يتعمد الكذب».

«المجمع» (١ / ٢٠٠).

ـ وعلي بن يزيد ـ وهو الألهاني ـ هو في إسناد الطبراني في هٰذا الموضع.

ـ ولكن رواه أيضاً: في ترجمة الوليد بن أبي مالك، عن أبي أمامة، برقم (٧٩٠٦)، (٨ / ٢٧٦)، وفي إسناده الحجاج بن أرطأة.

وانظر كلام الهيثمي السابق.

ـ فالحديث بهٰذه الطرق حسن.

على أن ارتباط هٰذه المعاني العظيمة بالعلم الصحيح المبني على النصِّ والوحي عصمهم ـ بإذن الله ـ من خطرين مهلِكَيْن وقعَتْ فيهما الفرق الهالكة بعدُ، وحمى الله أصحاب نبيِّه ومَن سار على منهجهِم من الفرقة الناجية منهما:

الأول: أن يتحوَّل الأمرُ إلى رهبانيَّة كرهبانيَّة النصارى المُبتدَعة، وعزلة عن الحياة، والجهاد بالدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعالجة شؤون الحياة الدنيا التي لا قوام للإنسان إلا بها.

فكان الصحابة فرساناً بالنهار، رُهباناً بالليل، لا يمنعهم علمُهم وإيمانُهم الحق وخشوعهم لله من القيام بشؤونهم الدنيوية؛ من بيع، وشراء، وحرثٍ، ونكاحٍ، وقيام على الأهل والأولاد وغيرهم فيما يحتاجونه، ولا يمنعهم من الجهاد، والدعوة، والقيام بتكاليف الحكومة الدينية التي أورثهم الله إياها ـ بجهدهم وجهادهم ـ.

وهٰكذا يكون شأن الفرقة الناجية على مدار الزَّمان، لا تنجرُّ إلى مضاهاة النصرانية في رهبانيتها واعتزالها؛ بخلاف الصوفية الهالكين، ومَن شابههم من الحائدين عن منهج النبوَّة الذي سار عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

الثاني: أن يتحوَّل إلى إعجاب بالنفس، يملأ جوانح المتعبِّد، فيترتَّب عليه ازدراءٌ واحتقارٌ لأعمال الآخرين، واستهانةٌ بمجهوداتهم في سبيل الدين، وحطٌّ من قدرهم، فيصبح المرء في الحقيقة متعبِّداً في محراب (الذات)، معظِّماً للنفس، وهٰذا مصدر لكل رذيلةٍ خلقيَّةٍ، وسبب لمحق كل عملٍ صالحٍ.

والذين يُصابون بهٰذه البليَّة المردية يشعرون بأنهم ـ وحدهم ـ الأوصياء على الدين، ويغلقون عقولهم وأعينهم عن رؤية فضائل الآخرين، فلا يرون إلا

العيوب والمساوىء، بل تصبح الفضائل عندهم عيوباً ومساوىء، ويصبح الأمر كما قيل:

إذا مَحاسِني اللائي أُدِلُّ بِها
كَانَتْ عُيوباً فقُلْ لي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟!

وهٰذا هو الداء الذي أُصيب به الخوارج ـ إحدى الفرق الهالكة ـ حتى أدَّى بهم إلى تكفير الناس كافة ـ حتى الصحابة الذين جاء الدين عن طريقهم إلى مَن بعدَهم ـ ومقاتلتهم[1].

وما كان ذٰلك ـ في الأصل ـ لنصٍّ التبست عليهم دِلالتُه، وإنما كان لشعورٍ منحرفٍ قرَّ في نفوسهم، وتعاظمٍ أصابهم من العجب بعبادتهم، والانتقاص لأعمال غيرهم من الناس.

○○○○○

وهٰكذا تتَّضح أهمية ربط الخصيصتين إحداهما بالأخرى، وتضافرهما في تكوين سمات الفرقة الناجية من هٰذه الأمة، وتمييزها عن الفرق الهالكة التي تأخذ حظّاً مما ذُكِّرَت به وتنسى حظوظاً أُخرى، فتُضَخِّم الجانب الذي أخذت تضخيماً مَرَضيّاً منحرفاً، وتهمل غيره حتى لا يرد لها في حساب.

٣ ـ صياغة الحياة العملية ـ الفردية والجماعية ـ على مقتضى الوحي:

إن تلك المعاني الراسخة في القلب، المستقرة فيه، لا بد أن تثمر ثمرتها الطبيعية في سلوك الإنسان، بحيث تتكيَّف سائر أعماله ومواقفه وخطراته

---

(١) سبق التعريف بالخوارج، وعقائدهم، والإحالة إلى المصادر التي تحدَّثت عنهم.

وخطواته مع هٰذا الشعور اليقظ في القلب.

فيتحقَّق للمؤمن؛ من العبادة، والسلوك، والاستقامة، ولزوم الجادَّة، ومن البـر، والإحسـان، والصلة، والجود، والإيثار، وحسن الخلق، ومن الجهاد، والدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن الصبر، والثبات، والجرأة في الحق، ومن الترفُّع عن سفاسف الأخلاق، ومساوئها، والتنزُّه عن الدنايا؛ يتحقق له من ذٰلك كله ما يكون ترجمة عملية ناطقة لهٰذا الشعور المُسْتَسِرّ في القلب.

وبين هٰذه الجوانب العملية وغيرها وبين حال القلب علاقةٌ لا يمكن أن تتخلَّف، وقد شرحها الرسول ـ ﷺ ـ بقوله في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه:

«. . . ألا وإن في الجسد مُضغةً، إذا صَلَحَت؛ صَلَح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١).

---

(١) طرف من حديث:

ـ رواه البخاري في: ٢ ـ كتاب الإيمان، ٣٩ ـ باب فضل من استبرأ لدينه، (١ / ١٩).

ـ ومسلم في: ٢٢ ـ كتاب المساقاة، ٢٠ ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (رقم ١٠٧)، (٣ / ١٢١٩).

ـ وابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ١٤ ـ باب الوقوف عند الشبهات، (رقم ٣٩٨٤)، (٢ / ١٣١٨).

ـ والدارمي في: ١٨ ـ ومن كتاب البيوع، ١ ـ باب في الحلال بيِّن والحرام بيِّن، برقم (٢٥٣٤)، (٢ / ١٦١).

ـ وأحمد في «المسند»: (٤ / ٢٧٠ و٢٧٤).

فمادة صلاح هٰذه المضغة هي (الوحي) الذي ينزل عليها نزول المطر على الأرض العطشى، فتَرْوى منه بعد ظمئها، وتثمر الصالح من الاعتقاد والشعور والقول والعمل.

وقد شرح الرسول - ﷺ - الترابط الشديد بين العلم النافع المُقتَبَس من الوحي، وما يترتَّب عليه من المعاني القلبيَّة الإيمانية، وما ينشأ عنهما من الأعمال الصالحة المقصورة على صاحبها، أو المتعدِّية إلى الآخرين، وبيَّن ذٰلك بمثل عظيم:

فعن أبي موسى - رضي الله عنه -، عن النبي - ﷺ -، قال:

«مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير؛ أصاب أرضاً، فكان منها نقيَّةٌ، قبلت الماء، فأنبتَتِ الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشَرِبوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان، لا تُمْسِك ماء، ولا تُنْبِتُ كلأ، فذٰلك مثل مَن فقه في دين الله، ونفعَهُ ما بعثَني الله به، فعَلِم وعلَّم، ومثل مَن لم يرفع بذٰلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلتُ به»[1].

---

(١) رواه البخاري في: ٣ - كتاب العلم، ٢٠ - باب فضل من علَّم وعلم، (١ / ٢٨).

- ومسلم في: ٤٣ - كتاب الفضائل، ٥ - باب بيان مثل ما بُعث به النبي - ﷺ - من الهدى والعلم، (رقم ١٥)، (٤ / ١٧٨٧).

- والنسائي في «الكبرى»: ٢٧ - كتاب العلم، ٤ - مثل مَن فقه في دين الله تعالى، (ل: ٧٥ / ب).

- وأحمد في «المسند»: (٤ / ٣٩٩).

- وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «الأمثال»: برقم (٣٢٦)، (ص ٢٢١).

=

قال القرطبيُّ(١):

«ضرب النبي - ﷺ - لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العامِّ الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميِّت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت.

ثم شبَّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلِّم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة: شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها.

ومنهم الجامع للعلم، المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقَّه فيما جمع، لكنه أدَّاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقرُّ فيها الماء، فينتفع الناس به.

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء، أو تُفْسِدُهُ على غيرِها»(٢).

وبتأمُّل وصف النوع الأول من الأرض بالنقاء، والمقارنة بينه وبين ما سبق تقريره من ضرورة تفريغ القلب من كل هوى أو ميل بإزاء النصِّ، وجعل النصِّ

= - وأبو يعلى في «مسنده»: مسند أبي موسى الأشعري، (ل: ٦٧٢).
- والبغوي في «شرح السنة»: كتاب العلم، باب التفقه في الدين، (١ / ٢٨٧).

(١) هو: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري، فقيه مالكي، ومحدث، يعرف بابن المزين، ولد بقرطبة عام (٥٧٨هـ)، وتوفي بالإسكندرية عام (٦٥٦هـ)، له كتاب: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، وهو غير القرطبي صاحب «التفسير».
انظر: «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٠٢)، «الأعلام» (١ / ١٨٦).

(٢) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١ / ١٧٧).

إمـامـاً، والقلب والعقـل تابعين له؛ يتبيَّن بوضوح وصف الفرقة الناجية بقبول الوحي، وتشرُّبه؛ كتشرب الأرض الماء، وسريان روح الإيمان والعلم الصحيح في قلوب أفرادها؛ كسريان الماء في الأرض الطيبة، حيث يمنحها الخصب، والحياة، والنماء.

وهٰـذا القـدر من المثـل يقـابـل احتفال الفرقة الناجية ـ الصحابة ومن بعـدهم ـ بالـوحي السمـاوي، وفرحهم به، وإقبالهم عليه: بالتعلم، والتأثر، والإيمان، حتى يفعل في قلوبهم الظمأى إليه فعل المطر النازل من السماء في الأرض الطيِّبة القابلة للإخصاب.

وهٰـــذا يتعلق بالخصيصتين: الأولى والثـانية، وهمـا: العلم الصحيح المبني على النص، والأعمال القلبيَّة المترتِّبة على هٰذا العلم.

ثم يشير المثـل إلى الأثـر الظاهر للعلم النافع، المتمثِّل في الأعمال الصـالحـة القـاصـرة والمتعـدِّية، حيث قال ـ ﷺ ـ: «فأنبتَتِ الكلأ والعشب الكثير»، فخروج الكلإ والعشب من هٰذه الأرض الطيبة بعدما مُطِرَت هو نتيجة طبعية، وكـذٰلـك صدور الأعمـال الصالحة من المؤمن ذي القلب النقي غير المتلوِّث بالأهواء والأخلاط ـ بعد سماعه الوحي، وعلمه به ـ هو نتيجة طبعيَّة أيضاً.

وفي المثل عناية ظاهرة جدّاً بأعمال التعليم، والجهاد، والدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها مما يتعدَّى نفعه للناس، إذ إن طيب هٰذه الأرض ونقاءها ظهر أثره في الكلإ والعشب الكثير الذي ينتفع به الناس والأنعام.

وكذٰلك صلاح قلب المؤمن، ونقاؤه، وتأثُّره العميق بالوحي، يظهر في جهاده بالقرآن، وتعليم الناس الوحي والذكر، والقيام بتكاليف الدعوة إلى الله.

وهٰـذا يؤكِّد أن من صفات الفرقة الناجية وخصائصها ألا تعيش لنفسها فحسب، وتدع الناس وشأنهم، بل تعمل بجدٍّ على تحقيق الخيرية التي وُصِفَت بهـا هٰذه الأمـة في قولـه تعـالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْـرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرونَ بالمَعْروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤمِنُونَ باللهِ**﴾(١).

إذ إن المهمة الربانية التي انْتُدِبَت لها هي مهمَّة على مستوى الإنسانيَّة كلِّها؛ بهداية البشريَّة إلى الحق السماوي المتمثِّل بالإسلام، وإقامة الحكومة الـدينيَّة التي ترعى هٰذه المهمَّـة، وتـدفـع عنهـا العـوادي، وتُزيل الظلم عن المستضعفين، حتى تكون هٰذه الفئة جديرة بقوله تعالى:

﴿**ومِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلونَ**﴾(٢).

فيكونون رسل هدايةٍ، ودعوةٍ، وإيمانٍ، وأئمة عدلٍ في الحكم والقضاء والسلطان.

وسيأتي في فصـل الطائفة المنصورة مزيد إيضاح لهٰذا المعنى، إذ إن الجهاد بالدعوة هو أليق بخصائص الطائفة المنصورة وأقرب، ولكنَّه يدخل في خصـائص الفـرقة الناجية؛ باعتبار أن الطائفة المنصورة هي (جزء) من الفرقة الناجية، وهي تقوم بفروض الكفايات التي قصَّر فيها غيرُها، ومن حولها الفرقة الناجية؛ تؤيِّدها وتؤازرُها.

أما العنصر الثاني في المثل ـ وهي الأرض الجدباء، التي أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا، وسقوا منها، وزرعوا ـ؛ فهٰذه الأرض غير قابلة

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الأعراف: ١١٨.

للحياة والنماء والخصب، وإنما نفعها حفظ الماء للناس، وهي تقابل من يحمل المعـرفة بالوحي والشرع، ولا يكون لديه من الإيمان واليقين والشعور القلبي المتيقِّظ ما يتناسب مع هٰذه المعرفة، ولا يقوم بالأعمال الصالحة التي تُنْتَظَر من مثله، وإنما هو حافظٌ لعلم الشريعة، مبلِّـغٌ هٰذا العلم إلى مَن هو أفقه منه به، وأكثر انتفاعاً وتقبُّلاً وإيماناً.

ولا بدَّ من تصوُّر وجود (قدر) مشترك من التأثُّر عند هٰذه الطائفة بالعلم الذي تحمل؛ لأن حامل علم الشريعة لا بد أن يكون ـ على أقل تقدير ـ مسلماً، بعيداً عن أن يُزَنَّ بوصمة شركٍ أو ارتدادٍ، وإنما المعنى ـ والله أعلم ـ أن همَّة هٰذه الفئة انصرفت إلى حفظ علم الشرع وإيصاله للناس أكثر من انصرافها إلى العمل، ولم تكن كالفئة الأولى التي تفاعلت مع النصوص تفاعلاً حيّاً مباشراً، وهي تدرك أنها المخاطَبة بها قبل غيرها.

أمـا العنصر الثالث في المثل ـ وهو الأرض القاع التي لا تمسك الماء فينتفع الناس به، ولا تُنْبِتُ الكلأ والعشب ـ؛ فهي تقابل من لم يحمل العلم والحكمة، ولم يعمل بهما، وله من الذم بقدر ما فقد من ذٰلك الخير.

فإن كان عَرِيَ عن الإيمان والدين بالكلِّيَّة؛ فهو الكافر الذي يستحق الذَّمَّ كلَّه، وهو الذي لم يرفع بالإسلام رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسل به النبي ـ ﷺ ـ.

وإن كان له نصيبٌ من الإسلام؛ دون تحقُّق بالإيمان، ولا اهتمام بحمل العلم وتبليغه؛ فهو محمودٌ على ما أدرك، مذمومٌ على ما فرَّط.

○○○○○

وبهٰذا تكتمل الصورة، ويتبيَّن ارتباط الخصائص الثلاث بعضها ببعض

ارتباطاً لا ينفكُّ: ارتباط العلم الحق ـ المبني على النص والوحي ـ بعمل القلب وعمل الجوارح، وتضافر هٰذه الأركان في تكوين (خصائص الفرقة الناجية).

ولا يعني هٰذا أن الفرقة الناجية ملائكة في جثمان إنس! كلا؛ بل لقد كان الصحابة ـ وهم أعظم صور الفرقة الناجية وأكملها ـ بشراً من البشر؛ يعتريهم ضعف البشر، ويحسون ـ أحياناً ـ بثقلة الطين، وجاذبية الأرض، ولكنهم كانوا أفضل البشر ـ بعد الأنبياء ـ، حتى وهم يخطئون، إذ سرعان ما ينتفض الإيمان في قلب أحدِهم، ويندفع اندفاع السيل إلى منحدره، فتنكسر أمام قوَّته سَوْرَةُ الشهوة، ويُصْلِح الفردُ ما ساء من حاله، ويستدرك أمرَه، ويعرِّض نفسه لأشد العقوبات الشرعية ـ إن كان قد قارف ما يوجبها ـ، وما قصة ماعز[1] والغامديَّة[2] ببعيدة عن الأذهان.

وكان من خبر ماعز ما صحَّ عن عدد من الصحابة، منهم أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ حيث قال:

أتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ رجلٌ من الناس وهو في المسجد، فناداه: يا رسول الله! إني زنيتُ ـ يريد نفسه ـ. فأعرض عنه النبي ـ ﷺ ـ، فتنحَّى لشِق وجهه الذي أعرض قِبَله، فقال: يا رسول الله! إني زنيتُ. فأعرض عنه، فجاء لشق وجه النبي ـ ﷺ ـ الذي أعرض عنه، فلما شهد على نفسه أربع شهادات؛ دعاه النبي ـ ﷺ ـ، فقال: «أبك جنون؟». قال: لا يا رسول الله! قال: «أحصنتَ؟». قال: نعم يا رسول الله! قال: «اذهبوا فارجموه»[3].

---

(١) **ماعز**: هو ابن مالك الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) وتسمى الجهنية؛ لأن غامد بطن من جُهينة. انظر: «شرح النووي على مسلم» (١١ / ٢٠١).

(٣) رواه البخاري في: ٨٦ ـ كتاب الحدود، **٢٩** ـ باب سؤال الإمام المقر: هل =

وكـان من خبـر الغـامـدية ما رواه جمـعٌ من الصحابة؛ منهم بُريدة بن الحصيب الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ، قال:

فجاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله! إني قد زنيتُ، فطهِّرني. وإنه ردَّها، فلما كان الغد؛ قالت: يا رسول الله! لم تردُّني؟ لعلَّك أن تردَّني كما رددتَ ماعـزاً! فوالله إني لحبلى! قال: «أمـا لا، فاذهبي حتى تلدي». فلما ولدت؛ أتته بالصبي في خرقة، قالت: هٰذا قد ولدته. قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه». فلما فطمته؛ أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هٰذا ـ يا

= أحصنت؟ (٨ / ٢٤).

وفي: ٦٨ ـ كتاب الطلاق، ١١ ـ باب الطلاق في الإغلاق، (٦ / ١٦٩).

ـ ومسلم في: ٢٩ ـ كتاب الحدود، ٥ ـ باب من اعترف على نفسه بالزنا، (رقم ١٦)، (٣ / ١٣١٨).

ـ والنسـائي في «الكبـرى»: ٤٠ ـ كتـاب الرجم، ٦ ـ ذكر استقصاء الإمام على المعترف عنده بالزنا، (ل: ٩٣ / أ).

(ل: ٩ / أ) ذكر الاختلاف على الزهري في حديث ماعز (٩٣ ـ أ).

(ل: ٩ / ب) ذكر اختلاف الزهري ويحيى بن سعيد على سعيد بن المسيب، في الحديث (ل: ٩٣ / ب).

ـ وأحمد في «المسند» (٢ / ٤٥٠ و٤٥٣).

ـ والبيهقي في «السنن»: كتاب الحدود، باب ما يستدل به على شرائط الإحصان، (٨ / ٢١٣).

وفي: باب المعترف بالزنا يرجع عن إقراره فيترك، (٨ / ٢٢٨).

وفي: باب من قال: لا يقام عليه الحد حتى يعترف أربع مرات، (٨ / ٢٢٥ ـ ٢٢٧).

وفي: باب من أجاز ألا يحضر الإمام المرجومين، (٨ / ٢١٩).

نبي الله! ـ قد فطمتُه، وقد أكل الطعام!

فدفـع الصبي إلى رجـل من المسلمين، ثم أمـر بهـا، فحُفـر لها إلى صدرهـا، وأمـر النـاس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها، فسمع النبي ـ ﷺ ـ سبَّه إياها، فقال:

«مهلاً يا خالد! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له، ثم أمر بها، فصُلِّي عليها، ودُفنت»(١).

---

(١) رواه مسلم في: **٢٩** ـ كتاب الحدود، **٥** ـ باب المرأة التي أمر النبي ـ ﷺ ـ برجمها، (رقم **٤٤٤٢**)، (**٤** / **٥٨٨**).

ـ والنسائي في «الكبرى» في: **٤٠** ـ كتاب الرجم، **١٢** ـ نوع آخر من الاعتراف (ل: **٩٣** / ب).

ـ والدارمي في: **١٣** ـ ومن كتاب الحدود، **١٧** ـ باب الحامل إذا اعترفت بالزنا، (رقم **٢٣٢٩**)، (**٢** / **١٠٠**).

ـ وأحمد في «المسند»: (**٥** / **٣٤٨**).

ـ والبيهقي في «السنن»: كتاب الحدود، باب ما يستدل به على شرائط الإحصان، (**٨** / **٢١٤**).

وفي: باب حفر المرجوم والمرجومة، (**٨** / **٢٢١**).

وفي: باب من قال لا يقام الحد حتى يعترف أربع مرات، (**٨** / **٢٢٦**).

وفي: باب الحبلى لا ترجم حتى تضع ويكفل ولدها (**٨** / **٢٢٩**).

ـ والدارقطني في: كتاب الحدود والديات وغيره، برقم (**٣٩**)، (**٣** / **٩١**).

(١) «شرف أصحاب الحديث»: (ص **٢٥**).

ـ وفي سنده انقطاع، حيث قال إبراهيم بن محمد بن الحسن: حُدِّثت عن أحمد...

ـ ولم أقف على تراجم رجال الإسناد؛ إلا إبراهيم بن محمد الحسن، حيث توجد =

○ الفرقة الناجية وأهل الحديث وأهل السنة والجماعة:

روى الخـطيب البغدادي بسنده عن الإمام أحمد أنه ذكر حديث النبي - ﷺ -: «تفترق الأمة على نيِّفٍ وسبعين فرقةً؛ كلها في النار؛ إلا فرقة»، فقال:

«إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أدري مَن هُم».

فهل يعني هٰذا - إن صحَّ عن الإمام أحمد - أنه يعدُّ (أهل الحديث) هم الفرقة الناجية؟

ومن هم أهل الحديث المقصودون بهٰذه الكلمة؟

أهل الحديث:

فأما أهل الحديث، أو أصحاب الحديث؛ فإن المقصود بهم كما قال الحاكم النيسابوري:

«القوم الذين سلكوا محجَّةَ الصالحين، واتَّبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين لسنن رسول الله - ﷺ وعلى آله أجمعين -... وآثروا قطع المفاوز والقفار على التنعُّم في الدِّمَن والأوطار، وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والأخبار... قد رفضوا الإلحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية، وتوابع ذٰلك من البدع، والأهواء، والمقاييس، والآراء، والزيغ...»[1].

ووصفهم الخطيب البغدادي بأنهم:

= ترجمة بهٰذا الاسم في «ذكر أخبار أصبهان» (١ / ١٨٩)، و«طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ (٣ / ٢٢٤).

(١) «معرفة علوم الحديث» للحاكم، (ص ٢ - ٣).

«. . . حفظة الدين وخزنتُه، وأوعيةُ العلم وحمَلَتُه. . . ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيعٍ نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارىء متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر. . .»[(١)].

ووصفهم الإمام ابن قتيبة بأنهم:

«التمسوا الحق من وجهته، وتتبَّعوه من مظانِّه، وتقرَّبوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله - ﷺ -، وطلبهم لآثاره وأخباره. . . ثم لم يزالوا في التنقير عن الأخبار، والبحث لها، حتى فهموا صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، وعرفوا مَن خالفها من الفقهاء إلى الرأي، فنبَّهوا على ذٰلك، حتى نَجَمَ الحقُّ بعد أن كان عافياً، وبَسَقَ بعد أن كان دارساً، واجتمع بعد أن كان متفرِّقاً، وانقاد للسُّنَن مَن كان عنها معرضاً، وتنبَّهَ عليها مَن كان عنها غافلاً، وحكم بقول رسول الله - ﷺ - بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان وإن كان فيه خلافٌ على رسول الله - ﷺ -. . . .»[(٢)].

وإذا تأمَّلتَ هٰذه الأقوال وغيرها مما يشبِهُها أو يقارِبُها[(٣)]؛ وَجَدْتَ أن لفظ (أهل الحديث) كان يطلق في مقابل:

---

(١) «شرف أصحاب الحديث» (ص ٩).

(٢) «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة، (ص ٧٣ - ٧٤).

(٣) انظر المصدرين السابقين، و«رد الإمام الدارمي على بشر المريسي» (ص ١٤٢ - وما بعدها)، و«معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص ٣ - ٤)، و«فضل علم السلف على علم الخلف» لابن رجب الحنبلي، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» للإمام الصابوني، (ص ٩٩ - ١٠٠)، ورسالة «مكانة أهل الحديث» للشيخ ربيع بن هادي المدخلي، (ص ١٠ - ١٤)، وغيرها.

١ ـ أهل الكلام الذين «يقولون على الله ما لا يعلمون، ويَفْتِنون الناس بما يأتون، ويُبّصِرون القذى في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع[١]، ويتَّهِمون غيرهم في النقل ولا يتَّهمون آراءهم في التأويل»[٢].

والذين اختلفوا «في التوحيد، وفي صفات الله تعالى، وفي قدرته، وفي نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، وعذاب البرزخ، وفي اللوح، وفي غير ذٰلك من الأمور التي لا يعلمها نبيٌّ إلا بوحي من الله تعالى»[٣].

وهٰؤلاء المتكلِّمون المعتمدون على عقولهم الملوَّثة بفلسفة اليونان الوثنيَّة لا يمكن لهم أن يدَّعوا أنهم كانوا على ما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه، ولا يمكن أن يدَّعي أحدٌ لهم ذٰلك، ولا يمكن أن يدَّعوا أنه يجب حمل الكافة من المسلمين؛ من علماء وعامة، وشيوخ وأحداث، على فهم قوانينهم العقليَّة، وأقيستهم المنطقيَّة، التي لا يتَّفق على معظمها منهم اثنان، حتى قال الإمام ابن قتيبة ناعياً عليهم:

«وقد كان يجب ـ مع ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد آلات النظر ـ ألا يختلفوا؛ كما لا يختلف الحُسَّاب والمُسَّاح والمهندسون؛ لأن آلتهم لا تدلُّ إلا على عدد واحد، وإلَّا على شكل واحد، وكما لا يختلف حذَّاق الأطبَّاء في الماء، وفي نبض العروق؛ لأن الأوائل قد وقفوهم من ذٰلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافاً؛ لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمرٍ واحد في

---

(١) **الجذع أو الجذل**: هو أصل الشجرة إذا قطع، وقد يطلق على العود.

انظر: «النهاية» (١ / ٢٥١).

(٢) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٣).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٥).

الدين؟!»[1]!

«ولو أردنا أن ننتقل عن أصحاب الحديث، ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام . . . لخرجنا من اجتماع إلى تشتُّت، وعن نظام إلى تفرُّق، وعن أُنس إلى وَحْشَة، وعن اتفاق إلى اختلاف»[2].

ولو تصوَّرنا أن بعض رؤساء أصحاب الكلام قام بين ظهراني أصحاب محمد - ﷺ -، وقـرَّر الآراء والمقـالات التي ينتحلهـا كمـا يقـرِّرها في كتبه ومجالسه؛ ما ارتدَّ إليه طرفه إلا مع خروج نفسه.

٢ - كما يطلق لفظ (أهل الحديث) في مقابل (أهل الرأي)؛ ممَّن يقدِّمون آراءهم الضالَّة وأقيستهم الفاسدة على الكتاب والسنة، ويُعْمِلون في الرويات التي تخالف ما هم عليه معاولَ التضعيف والتأويل، حتى يقول قائلهم:

«كل نصٍّ خالف مذهبنا فهو منسوخ أو مؤوَّل»[3].

ثم يأخذون بالحديث إذا وافقهم ولو كان ضعيفاً، ويبلغ بهم التعصب إلى حد أن يقول آخر منهم:

«ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة، والحديث الصحيح، والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضلٌّ، وربما أدَّاه ذلك إلى الكفر؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر»[4]!

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٤).

(٢) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٦).

(٣) نقلها الشيخ الخضري عن القاضي الكرخي في كتاب: «تاريخ التشريع الإسلامي» (ص ٣٣٢).

(٤) قاله أحمد الصاوي في «حاشيته على الجلالين»: سورة الكهف، عند تفسير =

وهٰذه الأقوال وأمثالها تأتي على الإسلام من أصوله، إذ لا يمكن معرفة الحق من الباطل، ولا الإسلام من الكفر؛ إلا من خلال النصوص، فإذا كان الأخذ بظواهر النصوص التي تدلُّ عليها في لغة العرب ـ دون تأويل ـ من أصول الكفر. . . فماذا بقي من قيمة النص؟ اللهم إلا التعب في صرفه وتأويله!

وإذا كان مصطلح (أهل الحديث) يُطْلَق في مقابل هٰذا وذاك؛ فإنه ينبغي فهمه بصورة أوسع مما يوجد عند كثير من الناس ـ في الأزمنة المتأخرة ـ ممَّن يطلقون هٰذه الكلمة، ويقصدون بها فئة معيَّنة ممَّن يُعْنَوْن بدراسة الحديث النبوي رواية ودراية، أو رواية فحسب، أو ممَّن ينتسبون إلى هٰذا الأمر ويجتمعون عليه نظرياً، ولو لم يكن لهم نصيبٌ يُذْكَر من العلم بالحديث النبوي الشريف.

وينبغي التَّنبيه إلى تغيُّر المصطلحات بمرور الأزمنة، واختلاف مدلولها بين عصر وعصر عند كثير من الناس.

وإذا كان الأئمة ـ رحمهم الله ـ يطلقون على أهل الحديث ـ في الماضي ـ أنهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة؛ فإن اصطلاح (أهل الحديث) قد ضاقت دائرته عند الكثيرين، حتى صار (عَلَماً) على فئات قد تكون من أهل الحديث، ولكنها ليست أهل الحديث.

ولذٰلك لا يحسن إطلاق (الفرقة الناجية) على فئات محدَّدة تتسمَّى بأهل الحديث، وإن كانت هي ـ فعلاً ـ من أهل الحديث، بل ينبغي إعادة هٰذا الاصطلاح إلى مفهومه الواسع الصحيح ـ كما سيأتي ـ.

= قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾، (الآية ٢٣) (٣ / ١٠).

والأسباب التي تدعو إلى عدم إطلاق اسم (الفرقة الناجية) على فئة بعينها ممَّن يحمل اسم (أهل الحديث) أو ما شابهه هي :

أولاً : أنه يقتضي أن يكون غيرها من الفرق الهالكة، ولو كان موافقاً لها في منهجها ومعتقدها وأصولها، ما دام لا يحمل نفس الاسم الذي تحمله، ولا يجتمع حول الراية التي تجتمع حولها.

وهو على أحسن الأحوال قصرٌ للشيء على بعض أفراده.

وعلى سبيل المثال: يوجد في زماننا هٰذا فئات شتَّى تحمل أسماء عديدة، تختلف باختلاف البلدان، بل تختلف في البلد الواحد، بل ويقع بينها أحياناً شيءٌ من الشحناء والاختلاف وتنافر القلوب ـ كما يقع بين غيرها[1] ـ، ولكنها متقاربة في منهجها، متَّفقة على الأصول التي تقوم عليها وتدعو إليها، وهٰؤلاء يمثِّلون في الجملة منهجاً واحداً ـ على ما بينَهم من تفاوت ـ، ولو ادَّعى مدَّع إطلاق لفظ (الفرقة الناجية) على بعضهم دون بعض، أو عليهم دون غيرهم من أهل السنة، العاملين بها، مهما اختلفت أسماؤهم؛ لحَرَم من هٰذه الميزة العظيمة فئاتٍ وطوائفَ أخرى في بقاع شتى من الأرض ممَّن لا يحملون هٰذه الأسماء.

فالعدل والإنصاف يقتضي أن لا تكون (الفرقة الناجية) أشخاصاً محدَّدة فحسب، بل خصائص وسماتٍ ينبني عليها منهجٌ يُتَّبَعُ، وطريق يُسْلَك، وأصولٌ يُلْتَزَم بها، بحيث يكون الموافق لهٰذه الأصول، المتَّبع لهٰذا المنهج، المتحلِّي بهٰذه الخصائص والسمات، ممَّن يُرجى دخوله فيها؛ فرداً كان أو جماعة، وبأي اسم تسمَّى، ما دام لا يدين ببدعة، ولا يتعمَّد مخالفة الكتاب والسنة.

---

(١) وانظر ما سبق في آخر خصائص الفرقة الناجية.

أما الكلمة السابقة المنسوبة إلى الإمام أحمد؛ فعلى تقدير ثبوتها؛ فإنه يُقصد بهذا الاصطلاح ـ (أهل الحديث) ـ: القومُ الدائنون بالمعتقد الذي كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه، الملتزمون بالنصوص، المجانِبون لطرائق أهل الكلام، التابعون للحق والدليل متى استبان لهم ـ ولو كان على خلاف ما عهدوه، وورثوه، وتعلَّموه ـ، فيدخل في هذا المعنى فئات كثيرة من جنس مَن ذكر، ويدخل فيه غيرهم؛ مثل:

أ ـ أتباع المذاهب الفقهيَّة الأربعة وغيرها من مذاهب أهل السنة، إذا كانوا على المعتقد الصحيح؛ غير مؤوِّلين، ولا محرِّفين، ولا مبدِّلين، ولا مشبِّهين، وإذا كانوا ممَّن إذا عرف الدليل الصحيح الواضح؛ ذهب إليه، وقال به، ولو كان خلاف ما عليه المذهب.

ب ـ بعض عوامِّ المسلمين الذين لم يدخلوا في شيء من البدع والانحرافات، وآمنوا بالله وأسمائه وصفاته، وأقرُّوا بالتوحيد، وجانبوا الشرك، والتزموا ـ عموماً ـ بالسلوك الصحيح: من الاستقامة، وأكل الحلال، وترك الفواحش، وغير ذلك.

ولا يلزم أن يكونوا عالمين باختلاف الناس في العقائد وغيرها، ولا أن يدرسوا الأصول والضوابط التي يقوم عليها المنهج الصحيح، بل يكفي سلامة معتقدهم ـ جملةً ـ، وهذا ما يفهمونه من سماعهم للآيات والأحاديث بفطرتهم، ما لم يطرأ على هذه الفطرة مؤثِّرٌ يغيرها، أو صارف يصرفها.

ولذلك قال القاضي عياض: «إنما أراد أحمد: أهل السنة والجماعة، ومَن يعتقد مذهب أهل الحديث»(١).

---

(١) نقله النووي في «شرحه على مسلم» (١٣ / ٦٧).

ثانياً: وممَّا يمنع قصر الفرقة الناجية على المنسوبين إلى الحديث ـ فحسب ـ في الأزمنة المتأخرة ـ حين ضاق الاصطلاح وتغيَّر ـ: أن الخير والفضل قد قلَّ في هٰذه الأمة بعد القرون الثلاثة الفاضلة، وتفرَّق، حتى عزَّ وجود الأفراد المستجمعين للصفات الفرديَّة التي كان عليها السلف الأولون، وحتى لا تكاد توجد فئة مستجمعة للصفات الجماعية والفردية التي كانوا عليها، أو لا توجد ألبتة، فالخير ـ في الأمة ـ موجودٌ، ولكنه لا يخلو من دَخَن.

وهٰذه الفئات التي ترى أنها أحقُّ بالنبي ـ ﷺ ـ، وأجدرُ بوصف (النجاة) فيها عيوبٌ وأخطاء، وفيها خللٌ وتقصير ـ حتماً ـ، وفي غيرها فضائل لا توجد فيها ـ قليلة كانت أو كثيرة ـ.

وإذا كان من المتوقَّع أن يكون التجرُّد في هٰذا الزمان قليلاً؛ فيجب أن نتوقَّع ـ لذٰلك ـ أن ثمَّتَ عيوباً في هٰؤلاء ستتحوَّل ـ في نظرهم ـ إلى محاسن، وفروعاً ستتحول إلى أصول؛ لأنها صارت خصائص لهم تميِّزهم عن غيرهم، ويجب أن نتوقع أن ثمت جوانب مشرقة عند غيرهم ستلقى منهم الصدود والإعراض والتهوين من شأنها؛ لأنها اقترنت ـ عندهم ـ بفئة عيوبها كثيرة، وأخطاؤها فاحشة.

وعلى سبيل المثال: فإن من المألوف لدى الحريصين على اتِّباع السنة في هٰذا الزمان أن يعتنوا بالجوانب العلمية ـ والحديثيَّة خاصَّة ـ، ويحرصوا على تجنُّب التقليد ومحاربة المحرَّم منه، ويهتمُّوا بسلامة المعتقد.

وهٰذه الجوانب الإيجابية قد يسيء بعضهم أخذها، فيتحوَّل جانب العناية بالحديث ونبذ التقليد إلى فوضى تشريعية لا أول لها ولا آخر، ويصبح مَن لا يحسن قراءة الآية، ولا نطق الحديث ـ ممَّن يستظلُّ بظلِّ القوم ـ (مجتهداً)، لا

يعبأ بقول أحمد ولا مالك ولا الشافعي ولا أبي حنيفة، ويزعم أنه سيأخذ من حيث أخذوا!

وقد يتطوَّر الأمر إلى (الاجتهاد) في أمور العقائد؛ بناء على تصحيح حديث، أو تضعيف آخر، أو فهم لظاهر نصٍّ، أو نحو ذلك. . . وهنا يقع الخطر الكبير، حيث تتحوَّل الفوضى إلى الأصول بعد الفروع.

ثم تجد هذا المحارِب للتقليد، النابز لأهله، مقلداً ـ من حيث لا يشعر ـ لفلان وفلان من العلماء وطلاب العلم الذين يُحْسِن الظنَّ بهم، ويرى أنهم على الجادَّة، وأنهم لا يخرجون عن الدَّليل الصحيح، ولا يقولون إلا ببيِّنَةٍ! وتراه مقلِّداً لهم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وتوثيق الرجال وتوهينهم، ومقلِّداً لهم في آرائهم الفقهية والاجتهادية التي يُعْذَرون ـ هم ـ فيها لو أخطؤوا، لكنه ـ هو ـ لا يُعْذَرُ حين ينازِع في تقليد الأئمَّة الأربعة وغيرهم، ويقلِّد مَن دونهم بمراحل.

ويترتَّب على هذا وهذا: الاختلاف الواسع العريض، والتفرُّق الممقوت المنافي للأخوَّة والجماعة؛ بسبب تفاوت النظر والعلم، وما ترتَّب عليه من اختلاف الرأي، وهذا الاختلاف من سمات أهل البدع الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شِيَعاً.

وقد تتحوَّل العناية بسلامة المعتقد إلى رميٍ للآخرين بالضلال، أو الكفر، أو النفاق، أو الفسق، أو البدعة؛ بلا بيِّنة، مع ظنِّ اختصاص النفس بالكمال، والسلامة مما وقع فيه الآخرون.

حتى لقد وُجِد من يومىء إلى اختصاصه بمسمى (الفرقة الناجية)، و (الطائفة المنصورة)، ويقول: إن الطائفة تصدق على الواحد!

وقد يتحوَّل الحرص على السنة وكراهية البدعة إلى إعراض عن منجزات

العصـر ومبتكراته النافعة، وعزوف عن استخدامها والإفادة منها في نشر دعوة الإسلام، وإلى تضخيم بعض الأعمال والسنن والمأثورات، حتى تصبح كأنها من الأصـول، وإلى التهـوين من شأن بعض الأصول المتَّفق عليها بين سائر الطوائف، حتى تصبح كأنها من الفروع.

وهٰذه الانحرافات وغيرها، وإن كانت لا تعكِّر على الأصل عند العقلاء المنصفين، فلا تمنع البحث والتحقيق العلمي، ولا تمنع الاجتهاد وترك التقليد كليّاً أو جزئيّاً ـ بحسب ملكة المجتهد ـ، ولا تمنع محاربة البدع ونشر السنن؛ إلا أنها قد تصبح ـ بدون وعي ـ مدرَجة ضمن خصائص (الفرقة الناجية) عند هٰؤلاء القـوم، فإذا رأوا مَن ينكرها، أو يعمل بخلافها، أو ينتقدها؛ أساؤوا به الظن، واعتقدوا أنه يحارب العلم، والسنة، والحديث.

ولو أنصفوا؛ لعلموا أن (الفرقة الناجية) هي: منهج، ومشرع، وصفات، وخصائص، وليست اسماً ينتحل، ولا دعوى تدعى.

وفي مقـابل ذٰلك: يوجد عند كثير من طوائف المسلمين ـ المقصرة أو الواقعة في بعض الانحرافات العقدية أو السلوكية ـ جوانب مفيدة ـ وإن لم تكن متكاملة ـ لا توجد لدى أولٰئك القوم، فحصر الفرقة الناجية فيهم قد يُفْهَم منه أن تلك الفضائل والصفات ليست من خصائص الفرقة الناجية، بل من خصائص المنحرفين، وبهٰذا تقع فيما وقع فيه أهل الكتاب الذين كان من أسباب اختلافهم أنهم نسوا حظّاً ممَّا ذُكِّروا به؛ كما قال تعالى:

﴿وَمِنَ الَّـذينَ قَالوا إنَّا نَصَارى أَخَذْنا مِيْثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّروا بِهِ فأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ العَداوَةَ والبَغْضاءَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾[1].

---

(١) المائدة: ١٤.

ومن أمثلة ذٰلك: أن الجوانب العبادية والسلوكية قد ترتبط أحياناً في أذهان كثير من الناس بالاتجاهات الصوفيَّة أو المتأثِّرة بالصوفية، فتصبح العناية بها، والاحتفال بشأنها، والحديث عنها، شيئاً غريباً غير مألوف في بعض البيئات والتجمُّعات الأثرية المحارِبة للتصوُّف.

ومثل ذٰلك العناية بالجوانب السياسية، والتَّركيز عليها، والحرص على معرفة كيفية سير الأحداث، وارتباط بعضها ببعض، وكشف ألاعيب طواغيت الدُّنيا ضد الشعوب ـ وخاصة الشعوب المسلمة ـ، والحديث عن الحكم بغير ما أنزل الله، وموالاة أعداء الله... كل هٰذا قد يرتبط في أذهان كثير من الناس ببعض التجمُّعات التي لا يُعرَف عنها العناية بالسنة، والاهتمام بتصحيح العقيدة، ومن ثم يصبح الحديث عنها غير مألوف ولا مقبول ـ عند بعض من يهتمُّون بالسنة والعقيدة ـ؛ لأنه صار شعاراً لأولٰئك وخاصية من خصائصهم.

ولهٰذا كله ـ ولغيره ـ يترجَّح القول بأن (الفرقة الناجية) خصائص وصفات وأصول، مَن تمسك بها ـ فرداً أو جماعة ـ؛ فيُرْجى أن يكون من الناجين، ومَن أعرض عنها؛ فيخشى أن يكون من الهالكين.

ويُرْجى لكل مسلم ـ فرداً أو جماعة ـ من النجاة بقدر قربه من تلك الصفات، وتحقُّقه بها، ويُخاف عليه من الهلاك بقدر تقصيره، أو ضعفه، أو إخلاله بها.

ويتفاوت الناس تفاوتاً عظيماً في قَدْر تحقيقهم للصفات، أو قربهم منها، أو بعدهم عنها، ولكل قوم بحسبهم، وليس من اللازم أن يصبح اسم (الفرقة الناجية) لفظاً صوريّاً تتنازعه بعض التجمُّعات وبعض الطوائف، وتَحْرِمُ غيرَها منه بلا برهانٍ جليٍّ صريحٍ.

وهٰذا يعطي لـ (الفرقة الناجية) مفهوماً أوسع، ويجمع قدراً كبيراً من الآراء التي يوجد بينها قاسم مشترك، وليس بينها خلافٌ عميقٌ.

وإذا كان الأئمَّة السابقون يعدُّون الفرقة الناجية أهل الحديث ـ لسعة هٰذا الاصطلاح وشموله في وقتهم ـ؛ فإنه ينبغي أن يوسَّع مفهوم هٰذا المصطلح، ويُعاد إلى ما كان عليه في السابق، بحيث يصبح مشابهاً لمصطلح (أهل السنة والجماعة)، أما أن يطلق على تجمُّعات معيَّنة من أهل السنة، سمت نفسها أهل الحديث ـ أصلاً ـ، ويُقْصَر عن غيرها ممَّن هو على طريق أهل الحديث والسنة سائر، ولأهل البدع والأهواء مخالف؛ فهو قصرٌ للعامِّ على بعض أفراده بغير دليل.

أهل السنة والجماعة:

والمراد بـ (السنة): «طريقة النبي ـ ﷺ ـ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات... ثم صار ـ في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم ـ عبارة عمَّا سلم من الشبهات في الاعتقادات، وخاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذٰلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة...»[1].

و (أهل السنة) هم أهل الإسلام والتوحيد، المتمسِّكون بالسنن الثابتة عن رسول الله ـ ﷺ ـ في العقائد، والنِّحَل، والعبادات الباطنة والظاهرة، الذين لم يشوبوها ببدع أهل الأهواء وأهل الكلام في أبواب العلم والاعتقادات، ولم يخرجوا عنها في باب العمل والإرادات...

فإن السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله ـ ﷺ ـ، وما سنَّه

(١) ابن رجب في: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة»، (ص ٢٦ ـ ٢٨).

أو أمر به من أصول الدين وفروعه، حتى الهَدْي والسمت. . .»[1].

وهذا التعريف لأهل السنة، يلتقي مع ما سبق في تعريف (أهل الحديث).

ولذلك قال الإمام ابن حزم[2]: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومَن عداهم فأهل البدعة؛ فإنهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وكلُّ مَن سَلَكَ نهجهم من خيار التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ، ثم أصحاب الحديث، ومَن اتَّبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومَن اقتدى بهم من العوامِّ في شرق الأرض وغربها. . .»[3].

ومثله قول الإمام أبي المظفر الإسفراييني[4]:

«. . . وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول ـ ﷺ ـ، وأكثر تبعاً

---

(١) الآلوسي في «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١ / ٤٢٨).

(٢) هو: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، المولود بقرطبة عام (٣٨٤هـ)، والمتوفى عام (٤٥٦هـ)، صاحب التصانيف النافعة، ومن أعظمها كتاب «المحلى» في الفقه.

له ترجمة حافلة في «السير» (١٨ / ١٨٤ ـ ٢١٢)، وفي «الصلة» (٢ / ٤١٥ ـ ٤١٧).

(٣) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢ / ٢٧١).

(٤) هو: شهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني، الإمام، الأصولي، الفقيه، المفسر، أخذ الحديث عن أصحاب أبي العباس الأصم، له تصانيف منها: «تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم»، طبع بإيران، وكتاب: «التبصير في الدين»، وغيرها.

انظر: «طبقات الشافعية» (٥ / ١١)، «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (ص ٢٧٦).

لسنّته من هٰؤلاء، ولهٰذا سُمُّوا أصحاب الحديث، وسُمُّوا بأهل السنة والجماعة. . . »[1].

وبهٰـذا يتَّضح أن مفهوم (أهل الحديث) عند سلف الأمة يرادف مفهوم (أهل السنة والجماعة) من حيث المعنى الأصلي الذي تدور حوله التسمية، وهو الالتزام بالنص ـ القرآن والحديث ـ، وما دلَّ عليه من الحق، والاجتماع على ذٰلك، ونبذ الأهواء والبدع والخلاف والفرقة.

أمـا المفهـوم الخاص لاصطلاح (أهل الحديث)، والذي يطلق ـ عند المتأخرين ـ على مدرسة فقهيَّة لها أصولها ومآخذها ومطلقاتها؛ فليس هو المراد بأقوال الأئمة، ولا يمكن حصر الفرقة الناجية فيه ـ بحال ـ.

○ غربة الفرقة الناجية:

إن ما انتهى إليه البحث من الحكم على جملة الطوائف والفرق الهالكة بأنها داخلة في اسم الإسلام ـ من حيث الأصل، وإن كان قد يبلغ الانحراف ببعضها إلى حد الكفر ـ، وما انتهى إليه من توسيع مفهوم أهل الحديث؛ ليشمل طوائف عديدة، وأفراداً كثيرين، قد لا يتناولهم الاصطلاح لأول وهلة؛ إن هٰذا وذاك لا يعني أن (الفرقة الناجية) قد صارت هي جمهور المسلمين ـ على مدار الزمان ـ، وخَفَّت عنها حدَّة الغربة كما قد يتبادر إلى الأذهان.

كلا؛ فالفرقة الناجية هي فرقة واحدة من بين ثلاث وسبعين فرقة، وكفى بهٰذه غربة!

وكون الفرق المنحرفة حولها ممَّن لا يُحْكَم عليهم جميعاً بالخروج عن

---

(١) «التبصير في الدين» (ص ١٨٥).

الدين لا يعني أنها لم تعد غريبة بينهم.

بل إنها قد تعاني من المنسوبين إلى الدين، والمحسوبين عليه، أشد ممَّا تُعاني من الكفار الظاهرين المعلنين.

وَظُلْمُ ذَوي القُـرْبَى أَشَـدُّ مَضَاضَـةً
عَلى المَـرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ

والدَّليل على هٰذا أننا نجد ـ في أحيان كثيرة ـ أن أعداء الإسلام يسعَون إلى هدم حصون المسلمين من داخلها بواسطة المنافقين المتظاهرين بالإسلام، ولقد كان كثير من زعماء النحل الضالة، وأصحاب المقالات الزائغة، من هٰذا النوع.

وما ذاك إلا لإدراكهم أن العدوَّ البعيد الظاهر يسهل التحرُّز منه، وتوقُّع كيده، أما العدو الملابس في الدين والبلد، المتظاهر بالموافقة؛ فممَّا لا يتيسَّر الحذر منه، ولا تعريف الناس بمقاصده.

فأهل الفرقة الناجية يجدون من هٰؤلاء ومن غيرهم ممَّن ليس على طريقتهم من الكيد والحرب والسخرية ما يجعلهم في غربة حقيقية.

وكلما تقادم العهد، وفَشَت الانحرافات؛ ازدادت غربتهم، واستحكمت، حتى ليكونون في بعض الأزمنة وفي بعض الأمكنة أفراداً يُشار إليهم بالأصابع.

وغُربتهم غُربة محمودة، و«هم أهل الله حقّاً؛ فإنهم لم يأووا إلى غيره، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ـ ﷺ ـ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم؛ بقوا في مكانهم، فيقال لهم: ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: «فارقنا

الناس ونحن أحوج إليهم منَّا اليوم، وإنَّا ننتظر ربَّنا الذي كنا نعبده»[1].

«فهٰذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشدُّ ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليُّه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجَفَوْه»[2].

وهٰؤلاء الغرباء «هم القابضون على الجمر[3] حقّاً، وأكثر الناس ـ بل كلُّهم ـ لائمٌ لهم، فلغربتهم بين هٰذا الخلق يعدُّونهم أهل شذوذ، وبدعة،

---

(١) جاء هٰذا المعنى في أحاديث الرؤية عن عدد من الصحابة؛ منها: حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، وفيه:

«إذا كان يوم القيامة؛ أذَّن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار... حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجر؛ أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد...».

ــ رواه البخاري في: ٦٥ ـ كتاب التفسير، ٤ ـ سورة النساء، ٨ ـ باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة، (٥ / ١٨١).

ورواه في: ٩٧ ـ كتاب التوحيد، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى: ﴿وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ...﴾ (٨ / ١٨١).

ــ ومسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، ٨١ ـ باب معرفة طريق الرؤية، (رقم ٣٠٢)، (١ / ١٦٧).

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣ / ١٩٦).

(٣) سيأتي تخريج حديث: «يأتي على الناس زمان: القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر»، في الكتاب الثالث، الفصل الثاني: الصبر والثبات، ضمن سلسلة الغرباء.

ومفارقة للسواد الأعظم»[1]!.

«وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدّاً، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول - ﷺ -»[2].

إن الفرقة الناجية غريبة بالنظر إلى كثرة الفرق المخالِفة لها، وأفرادها غرباء بالنظر إلى كثرة المنحرفين والهالكين، ولهذه الغربة أسباب عديدة؛ منها:

١ - كثرة الأقاويل والمعتقدات والآراء المخالفة للكتاب والسنة، وكثرة الدُّعاة إلى تلك الآراء والمعتقدات والأقاويل، فيلتبس على كثير من الناس الحقُّ بالباطل، والسنةُ بالبدعة، ويصبح كثير منهم يتَّبعون البدعة يظنُّونها سنة، ويحاربون السنة يظنُّونها بدعة، فيغدو المؤمن المتَّبع للسنة، السائر على البيِّنة الربَّانية، غريباً بينهم؛ لاتِّباعه وبدعتهم، وعلمه وجهالتهم، وقلَّته وكثرتهم، وتعظم الغربة حين تصبح هذه الآراء المبتَدَعَة والعقائد المنحرفة ديناً يَدين به الكبراء؛ من السلاطين، والرؤساء، والمنسوبين إلى العلم والشرع، فيُطْبِقُ على العامة الجهلُ بالسنة، والإنكار على أهلها، وما يزالون يتوارثون ذلك، يتواصَوْن به، حتى يصبحَ عُرفاً جارياً، مَن خالفه؛ تعرَّض للسَّبِّ، والتَّنقيص، والزِّراية، والاتِّهام.

٢ - اتِّباع الهوى، وانتشار العصبيَّة للمذاهب والآراء، حتى ليصبح الداعي إلى السنة كأنه يدعوهم - فيما يحسبون ويظنُّون - إلى اتباعه، وترك أشياخهم ومقدَّميهم، وليس يدعوهم إلى اتِّباع السنة وهجر البدعة، فتتحرَّك في

(١) «مدارج السالكين» (٣ / ١٩٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٣ / ١٩٨).

النفوس العصبيَّة للشيخ والمذهب والطريقة، وتمنع كثيراً من الناس من سماع الحق ـ أصلاً ـ فضلاً عن اتِّباعه.

وكم حالَ الهوى دون اتِّباع النصِّ المحكَم المنزل، وأضلَّ عن سبيل الله!

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[1].

٣ ـ قلة الإنصاف بين الناس، وضعف الخوف من الله، مما يجعل بعضهم يحمِل على المخالف، ويجلِب عليه بخيله ورَجِله، وينسب إليه كلَّ نقيصة، ويَجْحَدُ ما يعلم فيه من الفضل، ويفرِّع على أقواله فروعاً ليست صحيحة؛ ابتغاء تنفير الناس عنه، وعن منهجه:

فإذا كان هذا المخالف لهم متَّبعاً للكتاب والسنة، وأنكر ما عليه مُدَّعو التصوُّف من الأحوال المنافية للشرع؛ نسبوه إلى معاداة أولياء الله، وحربهم، وبغضهم.

وإذا أنكر ما عليه السلاطين من مخالفة الشرع، أو اتِّباع المناهج الوضعية، أو ظلم الرعية، أو موالاة أعداء الدين؛ رُمِيَ بأنه من الخوارج المارقين، والبغاة الضالين.

وإذا أنكر ما عليه العوام من البدع والعوائد والمحدَثات التي قامَت فيهم مقامَ العُرْف الذي يتوارثونه خلفاً عن سلف؛ رُمِيَ بأنه متشدِّد متنطِّعٌ ملزِمٌ الناسَ بالحرج في دينِهم.

---

(١) صٓ: ٣٦.

ليس هٰذا فحسب، بل إن كثيراً من الناس لا يجدون حرجاً من اختراع الأقاويل، وتزوير الحكايات التي ليس لها أصل، وترويجها بين الناس؛ لصدِّهم عن دعاة الحق والخير والسنة.

وإنه لأمر صعب أن يصبح الداعي إلى منهج الفرقة الناجية، وإلى ما كان عليه الرسول ـ ﷺ ـ وأصحابه، وإلى اتِّباع الكتاب والسنة، متَّهماً بين الناس، تشير إليه الأصابع بالرِّيبة، وتتناوله الألسنة بالبهتان.

٤ ـ ويستحكم طوق الغربة حول متَّبعي السنة إذا كانت الدولة لأهل البدع، والتفَّ حول السلطان علماء السوء الذين يزيِّنون له الباطل، ويأمرونه به، ويبغِّضون له الحق، وينْهَوْنَه عنه، حتى يُشرَب قلبُه حبَّ البدعة وأهلها، وبغضَ السنة وأهلها، فيُوَلِّي أهل البدع، ويستعملهم، ويقرِّبهم، ويستنصح لهم، فيحمل هٰؤلاء الناس على بدعتهم وضلالهم، ويمكِّنون لِمَن كان على مثل حالهم، ويضيِّقون على أهل السنة، وقد يخيفونهم ويفتنونهم؛ كما حدث للإمام أحمد، وابن تيمية، وغيرهما.

ومثل ذٰلك أن تكون الدولة لأهل الإلحاد والكفر بالله من منتحلي المذاهب الوضعية البشرية؛ كالعلمانية[1] وغيرها؛ فإن هٰؤلاء لا يرضون أن يكون للدين موقعٌ في المجتمع، ولا أن يكون لأهله مكانةٌ بين الناس، ويعدُّون تحكيم الشرع في الأنفس، والأموال، والأعراض، والدماء، وسائر شؤون الحياة، نوعاً

(١) هي الفصل الكامل بين الدين والحياة، وصرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها.

وليس بين (العلمانية) و(العلم) الذي تنسب إليه صلة ما سوى التضليل والخداع.

انظر: «العلمانية وأثرها في الحياة الإسلامية» لسفر الحوالي، «مذاهب فكرية معاصرة» لمحمد قطب، (ص ٤٤٥).

من الزَّجِّ بالدين في أمور لا علاقة له بها أصلاً، إذ الدين ـ في عَقْدهم ـ علاقة بين الخالق والمخلوق، تقتصر على أداء شعائر معيَّنة في المسجد، أو الكنيسة، وينتهي الأمر عند هٰذا الحد.

وهٰؤلاء ـ وإن كانوا حرباً على الدين كله ـ إلا أن حربهم لأهل السنة والأثر أشدُّ، وعداوتهم لهم أعظم؛ لأنهم يجدون كثيراً من أهل البدع يوافقونهم فيما يريدون من عَزْل الدين عن الحياة؛ كما هو منهج الطرق الصوفية ـ مثلاً ـ.

ooooo

فهٰذه الأسباب ـ وغيرها ـ تضاعف غربة (الفرقة الناجية) ـ سواء من الناحية الفردية أو الجماعية ـ، وتحيطها بنوع خاص من الغربة، يضاف إلى الغربة العامَّة الشاملة التي تواجهها هٰذه الفرقة لأنها فئة من المسلمين، والمسلمون بين أهل الأرض غرباء، وللمستقيمين على الجادة، السالكين الطريق المستقيم، من هٰذه الغربة أوفاها وأكملها.

فالفرقة الناجية تعيش غربة المسلمين بين أهل الملل والأديان الأخرى في سائر أقطار الأرض، وتعيش غربتها الخاصة بين المسلمين، والتي تُحْكِم خيوطَها أيدي المسلمين أنفسهم!

ومع ذٰلك؛ فهٰذه الفرقة مطالَبة بالقيام بأمر الله، ونشر دينه ودعوته، والصَّدْع بما لديهم من علم وفهم، ومعالجة هٰذه الغربة، والقيام بتجديد الدين بين المسلمين، وإقامة الحُجَّة على أهل العصر، وعدم الاستسلام لليأس، أو الرُّكون إلى الدَّعة، ويتولَّى عُظْم هٰذا الأمر وجملَته الطائفة المنصورة ـ كما سيأتي ـ، وهي من الفرقة الناجية.

فوصفهم بالغربة ليس حثّاً على الاعتزال، ولا أمراً بالقعود، بل هو دعوة

إلى التميُّز بالمنهج المستقيم، والصبر عليه، وإعلانه، والدعوة إليه، والاجتماع حوله، إذ إن ذٰلك كله من أسباب اندفاع الغربة وزوالها، ومن أسباب الاستمساك بالحق الذي يحمله المغترب، فالمضحِّي في سبيل شيءٍ ما يعزُّ عليه أن يتخلَّى عنه، وحين يكون هٰذا الشيء هو الحق؛ يكون ذٰلك من سعادة المسلم وتوفيقه.

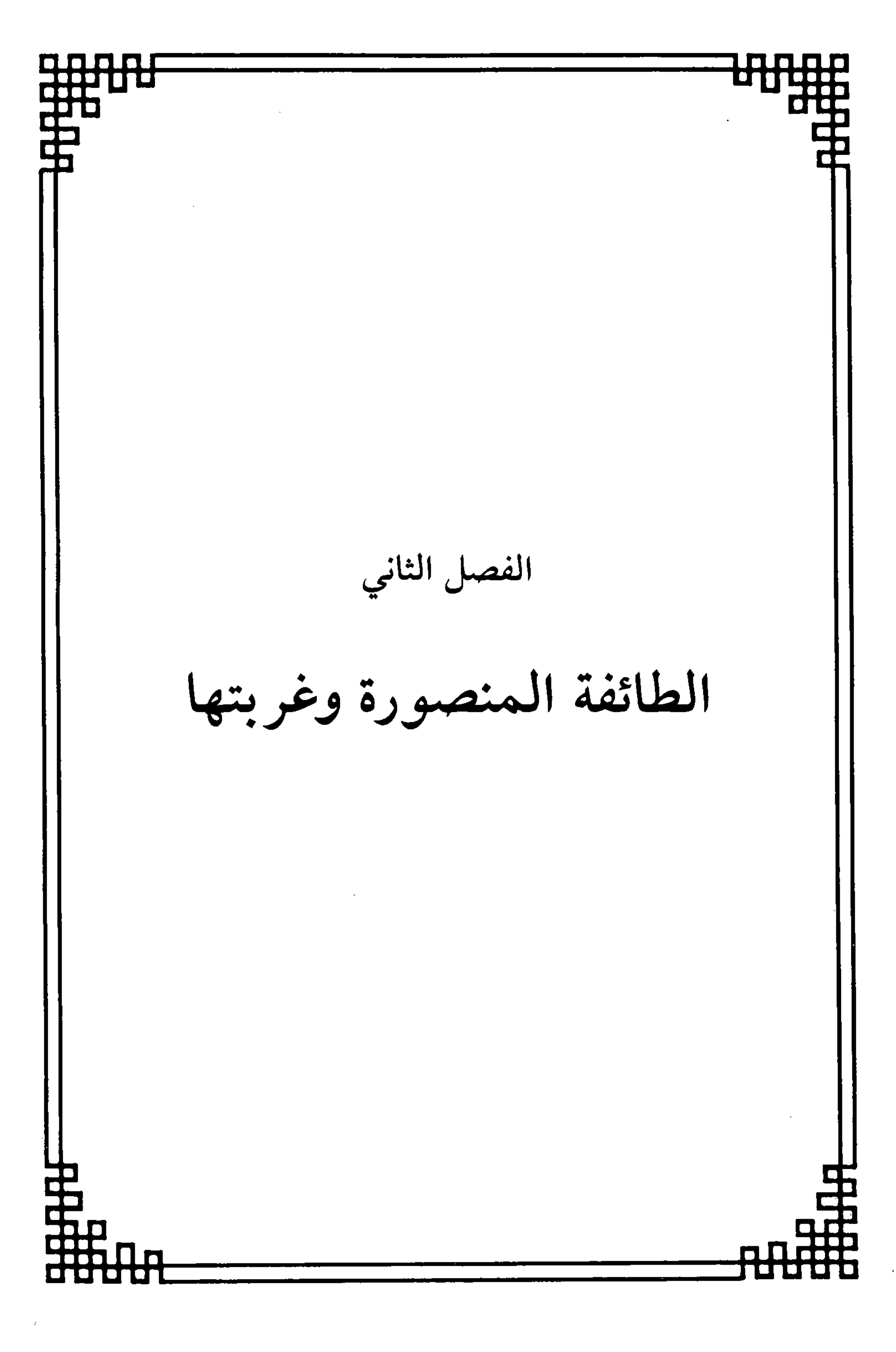
وإذا كان الشعور بالغربة، وكثرة المخالفين والمناوئين، شعوراً صحيحاً لدى الفرقة الناجية، بحيث لا يَعيبُهم نبزُ الناس لهم بالشُّذوذ، واتِّهامهم بتفريق الصُّفوف؛ فإنه يجب التفريق بين هٰذا وبين الشعور المنحرف الذي يتعاظم ويشتدُّ لدى بعض الغلاة، الذين لا يجدون مَن يوافقُهم في غلوِّهم وانحرافهم، فيُعَزُّون أنفسهم بأنهم يعيشون زمن غربة الإسلام، فيزيدهم هٰذا تمسُّكاً بما هم عليه، وإعراضاً عن المراجعة، وتصحيح المنهج، واتهام النفس.

والفيصل في هٰذا هو النص المحكم الذي يجب الرجوع إليه فيما يشتجر بين المسلمين من الخصومة، وفهمُ السلف الصالح لهٰذا النص من الصحابة ومَن بعدهم من أئمة المسلمين، والأئمة والعلماء العاملين المعاصرين ممَّن عُرِف بالتزام السنة، ومجانبة البدعة، والإعراض عن الدُّنيا ومطامعها، وهم أهل الذكر الذين أقامهم الله حجة على عباده.

فليس كل مَن شعر بالغربة وادَّعاها صادقاً موفَّقاً مهتدياً.

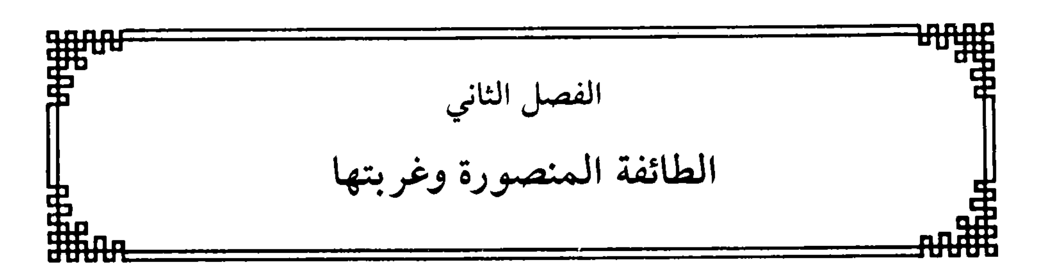
ولقد كان الخوارج ـ حين ظهورهم ـ غرباء بين الصحابة والتابعين، وما زالوا كذٰلك إلى يوم الناس هٰذا، وغربتهم هٰذه غربة مذمومة، غير محمودة؛ لما فيها من مفارقة الجماعة، وترك السبيل والسنة، والاعتداد بالنفس، وتحمُّل مخالفة الأئمة الأفذاذ المشهود لهم بالعلم والصلاح.

والله المستعان.



الفصل الثاني

الطائفة المنصورة وغربتها



الفصل الثاني

الطائفة المنصورة وغربتها

صحَّت البشارة عن النبي - ﷺ - باستمرار وجود الطائفة المنصورة من هٰذه الأمة إلى أن يأتي أمر الله؛ لا يضرُّهم خلاف المخالف، ولا خذلان الخاذل.

جاء ذٰلك في أحاديث كثيرة عن جمع من الصحابة؛ منهم: المغيرة بن شعبة، ومعاوية بن أبي سفيان، وثوبان، وجابر بن سَمُرة، وجابر بن عبدالله، وسعد بن أبي وقَّاص، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن عمرو بن العاص[1]، وزيد بن أرقم، وعمران بن حصين، وقرة بن إياس، وأبو هريرة، وعمر بن الخطاب، وسلمة بن نُفَيل الكندي، والنواس بن سمعان، وأبو أُمامة الباهلي، ومرة بن كعب البَهْزي، وشُرَحْبيل بن السمط الكندي، ومعاذ بن جبل[2]، إضافة إلى

(١) إنما ذكرت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وإن لم يرد له في البحث حديث خاصٌّ؛ لأن مضمون روايتي عقبة بن عامر وعمر بن الخطاب الآتيتين إقرار عبدالله بهٰذا الخبر، وعلمه به، حيث قال: «أجل»، وقال في الثاني: «صدق رسول الله».
انظر لفظ الحديثين.

(٢) حديث معاذ هو ما رواه عنه مالك بن يخامر السكسكي ضمن حديث معاوية في البخاري، حيث صرَّح معاذ أنهم بالشام، وهٰذا يدلُّ على إثباته وسماعه لأصل الحديث.
انظر لفظه الآتي قريباً.

بعض المراسيل.

ولذلك صرَّح عدد من العلماء المعتبرين بتواتر هٰذا الحديث؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية[1]، والسيوطي[2]، والزبيدي[3]، والكَتَّاني[4]، وغيرهم، وها هي أحاديثهم:

● عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ ﷺ ـ، قال:

«لا يزال ناسٌ من أُمَّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهِرون»[5].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١ / ٦٩).

(٢) «قطف الأزهار المتناثرة» (رقم ٨١) (ص ٢١٦).

والسيوطي: هو عبد الرحمٰن بن أبي بكر الخضيري الأسيوطي، ولد سنة (٨٤٩هـ)، حفظ القرآن وهو صغير، وطلب العلم، وألَّف، وأفاد، وله مصنَّفات كثيرة جدّاً، يغلب عليها طابع الجمع، توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٩١١هـ).

انظر: «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للمترجَم (١ / ٣٣٥)، وكتاب «جلال الدين السيوطي» (بحوث ألقيت في الندوة التي أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر).

(٣) «لقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة» (ص ٦٨).

(٤) «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» (ص ٩٣).

والكتاني: هو محمد بن جعفر الكتاني ـ بفتح الكاف ـ، ولد سنة (١٢٧٤هـ) تقريباً بفاس، وتعلم، ودرَّس، وألف له «الرسالة المستطرفة»، و«نظم المتناثر»، وغيرها، توفي عام (١٣٤٥هـ).

انظر: «فهرس الفهارس» للكتاني (١ / ٥١٥)، «معجم المؤلفين» لكحالة (٩ / ١٥٠).

(٥) رواه البخاري في: ٦١ ـ كتاب المناقب، ٢٨ ـ باب علامات النبوة في الإسلام، (٤ / ١٨٧).

=

● وعن معاوية ـ رضي الله عنه ـ، قال: سمعتُ النبي ـ ﷺ ـ يقول: «لا يزال من أُمَّتي أمَّـةٌ قائمـةٌ بأمـر الله، ما يضرُّهم مَن كذَّبهم ولا مَن خالفهم، حتى يأْتي أمر الله وهم على ذٰلك».

= وفي: ٩٦ ـ كتاب الاعتصام، ١٠ ـ باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق»، (٨ / ١٤٩)، بلفظ: «طائفة...»؛ بدل: «ناس».

وفي: ٩٧ ـ كتاب التوحيد، ٣٩ ـ باب قول الله تعالى: ﴿**إنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقولَ لَهُ كُنْ فَيَكونُ**﴾، (٨ / ١٨٩) بلفظ: «قوم...».

ـ ومسلم في: ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ٥٣ ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، برقم (١٧١)، (٣ / ١٥٢٣).

ـ والدارمي في: ١٦ ـ كتاب الجهاد، ٣٩ ـ باب لا يزال طائفة من هٰذه الأمة يقاتلون على الحق، برقم (٣٤٣٧)، (٢ / ١٣٢).

ـ وأبو عوانة في «الصحيح المسند»: كتاب الجهاد، باب بيان إثبات الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامة، (٥ / ١٠٩).

ـ وأحمد في «المسند»: (٤ / ٢٤٤ و٢٥٢).

وفي: (٤ / ٢٤٨) بلفظ: «يقاتلون على الحق...».

ـ والطبراني في «الكبير»: في ترجمة المغيرة، إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، برقم (٩٥٩ و٩٦٠ و٩٦٢)، (٢٠ / ٤٠٢ ـ ٤٠٣).

وبرقم (٩٦١) بلفظ: «... حتى تقوم الساعة».

ـ والبخاري في كتاب «خلق أفعال العباد»: (ص ٤٢).

ـ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتباع الجماعة، برقم (١٦٧)، (١ / ١١٠).

ـ وأبو نعيم في: ترجمة وكيع بن الجراح، ورقمها (٤٣٧)، (٨ / ٣٧٣).

ـ وقـوَّام السنـة الأصبهـاني في كتاب «الحجة»: ذكر أهل الحديث وأنهم الفرقة

فقال مالك بن يخامر[1]: سمعتُ معاذاً يقول: «وهم بالشام».

فقال معاوية: هٰذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: «وهم بالشام»[2].

---

(١) **مالك بن يخامر**: هو السكسكي الألهاني، عده بعضهم في الصحابة، وأنكر ذلك أبو نعيم، وثقه ابن حبان، وابن سعد، والعجلي، وقد روى عنه معاوية ـ رضي الله عنه ـ هٰذا الجزء من الحديث عن معاذ، وقال في مسند أبي عوانة: «هٰذا مالك بن يخامر، وبه النسمة»، مات سنة (٧٢هـ)، وقيل: سنة (٧٠هـ).

«التهذيب» (١٠ / ٢٤)، «فتح الباري» (٦ / ٦٣٤).

(٢) رواه البخاري في: **٩٧** ـ كتاب التوحيد، **٢٩** ـ باب قول الله تعالى: ﴿**إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ**. . .﴾، (٨ / ١٨٩).

وفي: ٦١ ـ كتاب المناقب، ٢٨ ـ باب علامات النبوة في الإسلام (٤ / ١٨٧)، بلفظ: «لا يضرُّهم من خذلهم. . . .».

ـ ومسلم في: **٣٣** ـ كتاب الإمارة، **٥٣** ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين. . .»، برقم (١٧٤) (٣ / ١٥٢٤)، ولم يذكر رواية مالك بن يخامر.

ـ وأبو عوانة في «الصحيح المسند»: كتاب الجهاد، باب بيان إثبات الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامة، (٥ / ١٠٦ و١٠٧)، بنحو لفظ البخاري.

ـ وأحمد في «المسند»: (٤ / ١٠١)؛ بنحو رواية البخاري.

ـ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتباع الجماعة، (رقم ١٦٦)، (١ / ١١٠).

ـ وأبو نُعيم في «الحلية»: في ترجمة عمير بن هانىء، رقمها (٣١١)، (٥ / ١٥٨)، وقال: «غريب، من حديث عمير، تفرد به عنه ابن جابر، وهٰذه الزيادة من قبل معاذ لا تُحفظ إلا في هٰذا الحديث».

ورواه مختصراً في ترجمة محمد بن المبارك، ورقمها (٤٥١)، (٩ / ٣٠٧).

ـ والبخاري في «التاريخ الكبير»: في ترجمة معاوية، ورقمها (١٤٠٥)، (٧ / ٣٢٧)، بنحوه.

=

● وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم،

= ـ والبغوي في «التفسير»: تفسير سورة الأعراف، عند تفسير آية (١٨١)، (٢ / ٢١٨) مختصراً.

ـ والجورقاني في كتاب «الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير»: ١٥ ـ باب في فضل أهل الشام، برقم (٢٢٣)، (١ / ٢٤١)، وقال: «هٰذا حديث صحيح».

ورواه بلفظ آخر:

ـ البخاري في: ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس، ٨ ـ باب قول الله تعالى: ﴿**فأَنَّ لله خُمُسُهُ وللرَّسُولِ**﴾ (٤ / ٤٩)، وفيه أوله زيادة.

وفي: ٩٦ ـ كتاب الاعتصام، ١٠ ـ باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...» (٨ / ١٤٩)، بلفظ: «... ولن يزال أمر هٰذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله».

ـ ومسلم في: ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ٥٣ ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين...»، برقم (١٧٥) (٣ / ١٥٢٤)، وفي أوله زيادة.

ـ وابن ماجه في: المقدمة، ١ ـ باب اتباع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ، برقم (٩)، (١ / ٥)، وفيه: «لا تقوم الساعة إلا وطائفة...».

ـ وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، باب: بيان إثبات الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامة، (٥ / ١٠٦)، وفي أوله زيادة.

ـ وأحمد في «المسند» (٤ / ٩٣ و١٠١، ٤ / ٩٧).

وفي: (٤ / ٩٩) ضمن أحاديث أخرى.

ـ ورواه أبو داود الطيالسي، وأحمد، والطبراني، والبزار؛ من رواية معاوية، عن زيد بن أرقم.

وسيأتي بعدُ إن شاء الله.

حتى يأتي أمر الله وهم كذٰلك»[1].

(١) رواه مسلم في: ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ٥٣ ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، برقم (١٧٠)، (٣ / ١٥٢٣)، وقال: «وليس في حديث قتيبة: وهم كذٰلك».

ـ وأبو داود في: ٢٩ ـ كتاب الفتن والملاحم، ١ ـ باب ذكر الفتن ودلائلها، برقم (٤٢٥٢)، (٤ / ٤٥٠)، وفي أوله زيادة طويلة تتعلق بما يبلغه ملك الأمة، وباختلافها، وبالأئمة المضلِّين، وستأتي إن شاء الله.

ـ والترمذي في: ٣٤ ـ كتاب الفتن، ٥١ ـ باب ما جاء في الأئمة المضلين، برقم (٢٢٢٩)، (٤ / ٥٠٤) مختصراً، وقال: «هٰذا حديث حسن صحيح».

ـ وابن ماجه في: المقدمة، ١ ـ باب اتباع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ، برقم (١٠)، (١ / ٥) بنحو رواية مسلم.

وفي: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ٩ ـ باب ما يكون من الفتن، برقم (٣٩٥٢)، (٢ / ١٣٠٤) مطولاً.

ـ وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، باب بيان إثبات الجهاد، (٥ / ١٠٩) مختصراً.

ـ وسعيد بن منصور في «سننه»: كتاب الجهاد، باب من قال الجهاد ماض، برقم (٢٣٧٢)، (٣ / ٢ / ١٧٧).

ـ وأحمد في: (٥ / ٢٧٨)، بنحو رواية أبي داود.

وفي (٥ / ٢٧٩) مختصراً.

ـ وأبو نعيم: في ترجمة عبدالله بن زيد الجرمي، رقمها (١٩٢)، (٢ / ٢٨٩) مطولاً، وقال: «هٰذا حديث ثابت من حديث أيوب عن أبي قلابة».

ـ والبيهقي في: كتاب السير، باب إظهار دين النبي ـ ﷺ ـ على الأديان، (٩ / ١٨١)، بنحو رواية أبي داود.

ـ وأبو عمرو الداني في: «السنن الواردة في الفتن»، باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة...»، (ل: ٤٤ / ب).

ـ والحاكم في: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٤٤٩) مطولاً، وفي آخره زيادات، =

وستأتي له رواية بأطول من هٰذا[1].

● وعن جابر بن سَمُرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«لن يبرح هٰذا الدين قائماً، يقاتل عليه عصابةٌ من المسلمين، حتى تقوم الساعة»[2].

= وقال: «هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه بهٰذه السياقة، وإنما أخرج مسلم حديث معاذ بن هشام، عن قتادة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان؛ مختصراً».

ووافقه الذهبي، وقال: «وأخرج مسلم بعضه من طريق هشام الدستوائي عن يحيى».

(١) هي رواية أبي داود الآتية في خصائص الطائفة المنصورة.

(٢) رواه مسلم في: ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ٥٣ ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين. . .»، برقم (١٧٢)، (٣ / ١٥٢٤).

ـ وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، باب بيان إثبات الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامة، (٥ / ١٠٥).

ـ وأحمد في «المسند»: (٥ / ١٠٣).

وفي: (٥ / ١٠٥) بلفظ: «لا يزال هٰذا الأمر. . .».

ـ والطبراني في «الكبير»: في ترجمة جابر بن سمرة: شعبة بن حجاج، عن سماك، برقم (١٨٩١)، (٢ / ٢٤٠).

وإسرائيل بن يونس، عن سماك، برقم (١٩٢٢)، (٢ / ٢٤٨).

وزائدة بن قدامة، عن سماك، برقم (١٩٣١)، (٢ / ٢٥٠).

وإبراهيم بن طهمان، عن سماك، برقم (١٩٩٦)، (٢ / ٢٦٥).

والحسن بن صالح بن حي، عن سماك، برقم (٢٠١١)، (٢ / ٢٦٩).

ـ والحاكم في: كتاب «الفتن والملاحم» (٤ / ٤٤٩)، وقال: «هٰذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

ـ ورواه الإمام أحمد عن جابر، قال: نبئت أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «. . . فذكر =

● وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول:

«لا تزال طائفة من أمَّتي؛ يقاتِلون على الحق، ظاهرين، إلى يوم القيامة»[1].

= نحوه»، (٥ / ١٠٦ و١٠٨).

وقال الهيثمي عن إسناد الإمام أحمد: «ورجاله رجال الصحيح».

«المجمع»: كتاب الفتن، باب لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق، (٧ / ٢٨٨).

ـ والبخاري في «التاريخ الكبير» في: ترجمة إبراهيم بن حرب، ورقمها (٩٠٧)، (١ / ٢٨١).

(١) رواه مسلم في: ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ٥٣ ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين»، برقم (١٧٣)، (٣ / ١٥٢٤).

وفي: ١ ـ كتاب الإيمان، ٧١ ـ باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ـ ﷺ ـ، (رقم ٢٤٧)، (١ / ١٣٧)، وفي آخره زيادة.

ـ وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، باب بيان إثبات الجهاد، وأنه ماض إلى يوم القيامة، (٥ / ١٠٥).

ـ وأحمد في «المسند»: (٣ / ٣٤٥ و٣٨٤) بنحو رواية مسلم في كتاب الإيمان.

ـ وأبو يعلى في «مسنده»: مسند جابر، برقم (٣١٣)، (٤ / ٥٩)، وفيه: «حتى ينزل عيسى بن مريم».

ـ والبيهقي في: كتاب السير، باب إظهار دين النبي ـ ﷺ ـ على الأديان، (٨ / ١٨٠)، بنحو رواية مسلم في الإيمان.

وباب ما يجب على الإمام من الغزو بنفسه، (٩ / ٣٩).

ـ والبخاري في «التاريخ الكبير»: في ترجمة عبيد الطفاوي، ورقمها (١٤٦٨)، (٥ / ٤٥١)، وفيه: «حتى ينزل عيسى».

ـ وقوام السنة الأصبهاني في كتاب «الحجة»: ذكر أهل الحديث وأنهم الفرقة الظاهرة على الحق، برقم (٩٨)، (ص ١٦٩).

● وعن سعد بن أبي وقَّاص ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«لا يزال أهل الغرب[1] ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[2].

● وعن عبد الرحمٰن بن شماسة المهري[3]، قال: كنتُ عند مَسْلمة بن مُخَلَّد[4] وعنده عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال عبدالله: لا تقوم الساعة إلا

(١) يأتي شرحه ـ إن شاء الله ـ.

(٢) رواه مسلم في: **٣٣** ـ كتاب الإمارة، **٥٣** ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين»، برقم (١٧٧)، (٣ / ١٥٢٥).

ـ وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، باب بيان الخبر الدال على أن أهل الحجاز لا يزالون على الحق حتى تقوم الساعة، (٥ / ١٠٩)، وفيه: «المغرب»؛ بدل: «الغرب».

ـ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتباع الجماعة، برقم (١٧٠)، (١ / ١١١)، بلفظ: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الدين، عزيزة إلى يوم القيامة».

ـ وأبو نُعيم في: ترجمة داود بن أبي هند، ورقمها (٢١٤)، (٣ / ٩٦)، وزاد: «لا يضرهم من خذلهم»، وقال: «هٰذا حديث ثابت مشهور، رواه عن داود الأئمة؛ منهم: شعبة، وابن عتبة، وغيرهما».

ـ وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»: باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة...» (ل: ٤٥ / أ).

(٣) عبد الرحمٰن بن شماسة المهري، أبو عمرو المصري: تابعي جليل، روى عن عبدالله بن عمرو، وعقبة بن عامر؛ كما في هٰذا الحديث وغيرهم، وروى له الستة إلا البخاري، توفي بعد المئة في أول خلافة يزيد بن عبدالملك.

«التهذيب» (٦ / ١٩٥).

(٤) مسلمة بن مُخَلَّد ـ بفتح الخاء المعجمة، وتشديد اللام ـ: ولد حين قدم النبي ـ ﷺ ـ المدينة، واختلف في صحبته، روى عن النبي ـ ﷺ ـ، وعنه عبدالرحمٰن بن شماسة =

على شِرار الخلق، هُم شَرٌّ من أهل الجاهليَّة، لا يَدْعونَ الله بشيء إلا ردَّهُ عليهم.

فبينمـا هم على ذلك؛ أقبل عقبة بن عامر، فقال له مَسْلَمة: يا عقبة! اسمـع ما يقـول عبدالله. فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول:

«لا تزال عِصابَةٌ مِن أُمَّتي، يُقاتِلونَ على أمرِ اللهِ، قاهِرين لعدوِّهم، لا يضرُّهم من خالَفهم؛ حتى تأتِيَهُم الساعة، وهم على ذلك».

فقـال عبد الله: أجل. ثم يبعثُ الله ريحاً كريح المسك، مسُّها مسُّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبَّة من الإيمان إلا قَبَضَتْهُ، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة[1].

● وعن أبي عبدالله الشاميِّ، قال: سمعتُ معاوية يخطُب يقول: يا أهل

= المهري وغيره، وكان والياً على مصر، وتوفي سنة (٦٢هـ) وعمره اثنتان وستون سنة أو أربع وستون.

«التهذيب» (١٠ / ١٤٨).

(١) رواه مسلم في: **٣٣** ـ كتاب الإمارة، **٥٣** ـ باب قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...»، برقم (١٧٦)، (٣ / ١٥٢٤).

ـ وأبو عوانة في: كتاب الجهاد، باب بيان إثبات الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامة، (٥ / ١٠٨).

ـ والطبراني في «الكبير»: ما أسند عقبة بن عامر، عبدالرحمن بن شماسة عن عقبة، برقم (٨٦٩ و٨٧٠)، (١٧ / ٣١٤)، وليس فيه ذكر خبر عبدالله بن عمرو.

ـ والحاكم في: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٤٥٦) بتمامه، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه»، ووافقه الذهبي.

الشام! حدَّثني الأنصاريُّ ـ قال: قال شعبة: يعني زيد بن أرقم ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الحق، ظاهرين، وإنِّي لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند»: (٤ / ٣٦٩).

ـ وأبو داود الطيالسي في «مسنده»: ما أسند زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ، رقم (٦٨٩)، (ص ٩٤).

ـ والطبراني في: مسند زيد بن أرقم، معاوية بن زيد عنه، برقم (٤٩٦٧)، (٥ / ١٨٥).

ـ والبزار في «كشف الأستار»: كتاب الفتن، باب لا تزال طائفة من هٰذه الأمة على الحق، برقم (٣٣١٩)، (٤ / ١١١)، وقال: «لا نعلم روى معاوية عن زيد إلا هٰذا، وأبو عبدالله لا نعلم أحداً سمَّاه، ولا رواه إلا شعبة».

ـ وأبو عبدالله هٰذا: ذكره ابن أبي حاتم، وأشار إلى روايته هٰذه، وقال: «روى عن شعبة... سألت أبي عنه؟ فقال: لا يسمى، ولا يعرف، وهو شيخ»، وذكره ابن عبدالبر في المشهورين من حملة العلم بالكنى، وقال ابن حجر: «أبو عبدالله الشامي، عن معاوية، وعنه شعبة، كذا ذكره الهيثمي، ولم أر له في أصل «المسند» ذكراً، ولا أورده الحسيني».

انظر: «الجرح والتعديل» (٩ / ٣٩٩)، «الاستغناء» (٣ / ١٣٧٤)، «تعجيل المنفعة» (ص ٤٩٨). وكأنه فات الحافظ موضعه المشار إليه في «المسند».

ـ فالحديث ضعيف لجهالة أبي عبدالله.

ـ قال الهيثمي: «وأبو عبدالله الشامي: ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرِّحه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح».

«المجمع»: كتاب الفتن، باب لا تزال طائفة من هٰذه الأمة على الحق، (٧ / ٢٨٧).

أقول: ولكنه حسن لشواهده الكثيرة الصحيحة.

● وعن عِمران بن حُصَين ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلون على الحق، ظاهرين على مَن ناوأهم، حتى يقاتِلَ آخرُهم المسيحَ الدجَّال»(١).

---

(١) رواه أبو داود في: ٩ ـ كتاب الجهاد، ٤ ـ باب دوام الجهاد، برقم (٢٤٨٤)، (٣ / ١١).

ـ وأحمد في «المسند»: (٤ / ٤٢٩ و٤٣٧).

ـ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتباع الجماعة، برقم (١٦٨ و١٦٩)، (١ / ١١١).

ـ والرامهرمزي في «المحدث الفاصل»: باب فضل الطالب لسنة رسول الله ـ ﷺ ـ، برقم (٢٧)، (ص ١٧٧)، وفي لفظه اختلاف يسير.

ـ والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: ٨ ـ قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق»، برقم (٤٦)، (ص ٢٦)، وفيه: «يقاتلون على الحق حتى تقوم الساعة.

ـ والحاكم في: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٤٥٠)، بلفظ أبي داود، وقال: «هٰذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وفي: كتاب الجهاد، (٢ / ٧١)، به، وقال: «هٰذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ـ كلهم من طريق حماد بن سلمة، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران.

ـ وحماد بن سلمة: ثقة يغلط، تغير حفظه بآخره، وقال الذهبي: «ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن».

«التهذيب» (٣ / ١١)، «التقريب» (١ / ١٩٧)، «الكاشف» (١ / ١٨٨)، «السير» (٧ / ٤٤٦).

ـ وقتادة: هو ابن دعامة السدوسي، ثقة، ثبت، مدلس، من الطبقة الثالثة من طبقات =

● وعن قُرَّة بن إياس المُزَنِي - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«إذا فَسَدَ أهلُ الشام؛ فلا خيرَ فيكم، لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي منصورين،

= المدلسين.

ــ ومطرف: هو ابن عبد الله بن الشخير - بكسر الشين المعجمة، وتشديد الخاء - الحرشي: ثقة، عابد.

«التقريب» (٢ / ٢٥٣)، «التهذيب» (١٠ / ١٧٣).

ــ والحديث - بهذا الإسناد - ضعيف؛ لعنعنة قتادة.

ــ وقد **تابعه** حمَّاد بن زيد عن الجريري عن مطرِّف عن عمران عند أبي عوانة في «الصحيح»: كتاب الجهاد، باب بيان الخبر الدال على أن أهل الحجاز لا يزالون على الحق، (٥ / ١١٠).

ــ ورواه الجورقاني في كتاب «الأباطيل»: **١٥** - باب فضل أهل الشام، برقم (**٢٢٤**)، وقال: «حديث غريب»، (١ / ٢٤٢).

ــ وحماد بن زيد: ثقة، ثبت، فقيه.

ــ والجريري: هو سعيد بن إياس، أبو مسعود البصري، ثقة، اختلط بآخره.

«التهذيب» (٤ / ٥)، «التقريب» (١ / ٢٩١).

ولم أر من ذكر للجريري رواية عن مطرف، وإنما ذكروا له رواية عن يزيد بن عبدالله بن الشخير، أخي مطرف.

وهكذا وقع في «مسند الإمام أحمد» (٤ / ٤٣٤)، حيث روى الجريري الحديث عن أبي العلاء بن الشخير عن مطرف؛ قال: قال لي عمران. . .، ولم يرفعه إلى النبي - ﷺ -.

ــ وأبو العلاء: هو يزيد بن عبدالله بن الشخير، ثقة.

«التهذيب» (١١ / ٣٤١)، «التقريب» (٢ / ٣٦٧).

ــ فيرتقي الحديث - بهذه المتابعة - إلى درجة الحسن.

لا يضرُّهم مَن خذلهم، حتى تقوم الساعة»[1].

(١) رواه الترمذي في: ٢٧ - باب ما جاء في الشام، برقم (٢١٩٢) (٤ / ٤٨٥)، وقال: «هٰذا حديث حسن صحيح».

- وابن ماجه في: المقدمة، ١ - باب اتباع سنة رسول الله - ﷺ -، برقم (٢٣٧٥)، (٣ / ٢ / ١٧٨).

- وأحمد في «المسند» (٣ / ٤٣٦)، (٥ / ٣٤ و٣٥) بتمامه.

- وفي «فضائل الصحابة»: فضائل قوم شتى من أهل الشام، برقم (١٧٢٢).

- وعلي بن الجعد في «مسنده»: شعبة عن أبي إياس معاوية بن قرة، برقم (١١١١)، (١ / ٥٣١).

- وأبو داود الطيالسي، في: مسند قرة بن خالد، برقم (١٠٧٦)، (ص ١٤٥).

- وابن حبان: «الموارد»، ٣١ - كتاب الفتن، ١١ - باب لا تزال طائفة من هٰذه الأمة على الحق، برقم (١٨٥١ و١٨٥٢)، (ص ٤٥٨)؛ دون ذكر أوله.

- وفي كتاب «المجروحين»: ذكر إثبات النصرة لهٰذه الطائفة إلى قيام الساعة، (١ / ٨٩)، كذٰلك.

- واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي - ﷺ - في الحث على اتباع الجماعة، برقم (١٧٢)، (١ / ١١٢)، روى شطره الثاني.

- والحاكم في «معرفة علوم الحديث»: (ص ٢).

- والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: ٨ - قوله - ﷺ - لا تزال طائفة من أمتي على الحق، برقم (٤٤ و٤٥)، (ص ٢٥ - ٢٦)، روى شطره الثاني.

- وابن الأثير في «أسد الغابة»: ترجمة قرة بن إياس، ورقمها (٤٢٨٦)، (٤ / ٤٠٠).

- كلهم من طريق شعبة، قال: حدثنا معاوية بن قرة، عن أبيه.

- وشعبة: هو ابن الحجاج، ثقة، حافظ، متقن، قال الثوري: «هو أمير المؤمنين في الحديث».

«التهذيب» (٤ / ٣٣٨)، «التقريب» (١ / ٣٥١).

=

● وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال:

«لن يزال على هٰذا الأمرِ عِصابةٌ على الحقِّ، لا يضرُّهم مَن خالَفهم، حتى يأتِيَهُم أمرُ الله، وهم على ذٰلك»[1].

ـ ومعاوية بن قرة: ثقة، عالم، لقي كثيراً من الصحابة. =

«التهذيب» (١٠ / ٢١٦)، «التقريب» (٢ / ٢٦١).

ـ وقرة بن إياس المزني: قال البخاري وابن السكن: «له صحبة»، وعده ابن سعد في طبقة من شهد الخندق، وروى أبو داود الطيالسي ـ بإسناد صحيح ـ ما يدل على صحبته ودعاء الرسول ـ ﷺ ـ له.

انظر: «الإصابة» (٨ / ١٥٣)، «مسند الطيالسي» (رقم ١٠٧١) (ص ١٤٤).

ـ فالإسناد صحيح.

ـ وقد رواه الحافظ الرَّبَعي في «فضائل الشام ودمشق»، من **طريق أخرى**؛ كما في «تخريج أحاديثه» للشيخ الألباني؛ بلفظ: «إذا هلك أهل الشام؛ فلا خير في أمتي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، فيقاتلون الدجال».

وقال الشيخ الألباني: «هو بهٰذا اللفظ ضعيف، تفرَّد به المصنِّف، وفي إسناده عمران بن إسحاق، أبو هارون، قال الذهبي في «الميزان»: لا يُدرى من هو».

«تخريج أحاديث فضائل الشام» (رقم ٥) (ص ١٧)، وانظر: «الميزان» (٣ / ٢٣٤).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢ / ٣٤٠ و٣٢١ و٣٧٩).

ـ والبزار: «كشف الأستار»، كتاب الفتن، باب لا تزال طائفة من هٰذه الأمة على الحق، برقم (٣٣٢٠)، (٤ / ١١١).

وقال الهيثمي: «... ورجاله رجال الصحيح، غير زهير بن محمد بن قمير، وهو ثقة».

«المجمع» (٧ / ٢٨٨).

ـ وابن حبان: «الموارد»، ٣١ ـ كتاب الفتن، ١١ ـ باب لا تزال طائفة من هٰذه الأمة =

. . . .

= على الحق منصورة، برقم (١٨٥٣)، (ص ٤٥٨).

ـ واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: سياق ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ في الحث على اتباع الجماعة، برقم (١٧١)، (١ / ١١١).

ـ كلهم من طريق محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

ـ ومحمد بن عجلان: هو المدني القرشي، إمام، عالم، عامل، وثقه كثير من الأئمة، وقد اختلطت عليه أحاديث سعيد المقبري عن أبي هريرة، وعن أبيه عن أبي هريرة، وعن رجل عن أبي هريرة، وإن كانت الصحيفة في نفسها صحيحة.

وقال الذهبي: «حسن الحديث»، وقال ابن حجر: «صدوق في حفظه شيء، وخصوصاً في روايته عن المقبري، فالذي ينفرد به من قبيل الحسن».

«نتائج الأفكار» (المحمودية ل: ٢٣ / أ)، «التهذيب» (٩ / ٣٤١)، «الميزان» (٣ / ٦٤٤)، «المغني» (٢ / ٦١٣).

ـ والقعقاع بن حكيم: ثقة.

«التهذيب» (٨ / ٣٨٣)، «التقريب» (٢ / ١٢٧).

ـ وأبو صالح: هو ذكوان السمان الزيات المدني، ثقة ثبت.

«التهذيب» (٣ / ٢١٩)، «التقريب» (١ / ٢٣٨).

ـ فالحديث بهذا الإسناد حسن.

ورواه من غير هذا الطريق:

ـ ابن ماجه في: المقدمة، ١ ـ باب اتباع سنة الرسول ـ ﷺ ـ، برقم (٧)، (١ / ٥).

ـ والبخاري في «التاريخ الكبير»: في ترجمة حسان بن وبرة، رقمها (١٤٧)، (٣ / ٣٥) بلفظ: «لا تزال عصابة بدمشق ظاهرين».

ـ وأبو يعلى؛ كما في «المطالب العالية»: كتاب المناقب، باب فضل الشام، (رقم ٤٢٤٤)، (٤ / ١٦٤)، وفيه: «يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت =

. . . .

= المقدس وما حوله . . .» .

وفي : باب بقاء الإسلام إلى أن يأتي أمر الله، برقم (٤٥٤٢)، (٤ / ٣٣٦) .

و«مجمع الزوائد» : كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل الشام، (١٠ / ٦٠)، وقال الهيثمي : «ورجاله ثقات» .

ـ ونسبه الهيثمي ـ أيضاً ـ للطبراني في «الأوسط»، وقال : «وفيه الوليد بن عباد، وهو مجهول» .

«المجمع» : كتاب الفتن، باب لا تزال طائفة من هٰذه الأمة على الحق، (٧ / ٢٨٨) .

ـ ورواه أبو نُعيم في : ترجمة محمد بن المبارك، رقمها (٤٥١)، (٩ / ٣٠٧)، بلفظ : «تقاتل أعداءها، كلما ذهبت حرب نشبت حرب قوم آخرين، يرفع الله أقواماً، ويرزقهم منهم، حتى تأتيهم الساعة»، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «هم أهل الشام» .

ـ والقاضي عبد الجبار الخولاني في «تاريخ داريا» : ترجمة أبي مسلم الخولاني، (ص ٦٠) .

قال ابن حجر : « . . . إلا أنه قلب إسناده، جعله عن الوليد بن عباد عن عاصم الأحول عن أبي مسلم الخولاني، والصواب : عن عامر الأحول عن أبي صالح» .

كذا في المسندة (ل : ٣٨٧) .

ـ وابن عدي في «الكامل» : ترجمة الوليد بن عباد، وقال : «وهٰذا الحديث بهٰذا اللفظ ليس يرويه غير ابن عياش عن الوليد بن عباد» (٧ / ٢٥٤٥) .

ـ وتمام الرازي في «فوائده» ؛ كما في «المطالب العالية» : الموضع السابق، (٤ / ٣٣٦) .

ـ ورواه **بلفظ وإسناد مختلفين** : الحافظ الربعي في «فضائل الشام ودمشق»، وفيه : «يقاتلون عِلى أبواب بيت المقدس وما حولها، وعلى أبواب أنطاكية وما حولها، وعلى أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب الطالقان وما حولها . . .» .

وقال الشيخ الألباني في تخريج الحديث : «حديث ضعيف بهٰذا السياق، وفي سنده =

● وعن عُمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«لا يزالُ ناسٌ مِن أُمَّتي ظاهرين على الحق»(١).

= عبدالله بن قسيم عن السري بن بزيع، ولم أجد من ترجمهما، ثم هو من رواية الحسن عن أبي هريرة».

«تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» للألباني، رقم الحديث (٢٧)، (ص ٥٨).

ـ ورواه **بلفظ مختلف**: سعيد بن منصور في «سننه»: كتاب الجهاد، باب من قال الجهاد ماض، برقم (٢٣٧٣)، (٣ / ٢ / ١٧٧).

(١) رواه الدارمي في: ١٦ ـ كتاب الجهاد، ٣٩ ـ باب لا يزال طائفة من هٰذه الأمة يقاتلون على الحق، برقم (٢٤٣٨)، (٢ / ١٣٣).

ـ وأبو داود الطيالسي في: أحاديث عمر بن الخطاب، الأفراد، (ص ٩)، وفي أوله قصة، وفي آخره: «حتى يأتي أمر الله عز وجل».

ـ وأبو يعلى؛ كما في «المطالب العالية»: كتاب الفتن، باب نصرة أهل الحق حتى يأتي أمر الله، (المسندة، ل: ٣٦٦)، وليس في «مسند أبي يعلى المطبوع»: مسند عمر، (١ / ١٢٩ ـ ٢٢٢).

ـ والبخاري في «التاريخ الكبير»: في ترجمة سليمان بن ربيع العدوي، ورقمها (١٧٩٧)، (٤ / ١٢)، بنحوه، وفيه: «حتى يأتي أمر الله»، وسقطت منه صيغة الرفع، كما أشار محقق «التاريخ الكبير» بهامشه.

ـ ونسبه الهيثمي في «المجمع» للطبراني في «الكبير» و«الصغير»: كتاب الفتن، باب لا تزال طائفة من هٰذه الأمة على الحق، (٧ / ٢٨٨)، وقال: «ورجال الكبير رجال الصحيح».

ولم أجده في «الصغير»، بعد تكرار البحث، وليس في مسند عمر من «الكبير» (١ / ٢٦).

ـ والحاكم في: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٤٤٩)، وفيه: «حتى تقوم الساعة»، =

. . . .

= وقال: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه»، ووافقه الذهبي.

ـ أخرجوه ـ غير الطبراني ـ من طريق همام، عن قتادة، عن عبدالله بن بريدة، عن سليمان بن الربيع العدوي.

ـ وهمام هو ابن يحيى بن دينار الأزدي: ثقة وثبت في قتادة.

«التهذيب» (١١ / ٦٧)، «التقريب» (٢ / ٣٢١)، «الكامل» (٧ / ٢٥٩٠).

ـ وقتادة: هو ابن دعامة، ثقة، ثبت، مدلس، من الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وقد عنعن.

ـ وعبد الله بن بريدة: ثقة.

«التهذيب» (٥ / ١٥٧)، «التقريب» (١ / ٣٠٤)، «الكاشف» (٢ / ٦٦).

ـ وسليمان بن الربيع العدوي، ذكره البخاري، ثم ابن أبي حاتم، بلا جرح ولا تعديل.

«التاريخ الكبير» (٤ / ١٢)، «الجرح والتعديل» (٣ / ١١٧).

ـ فالحديث ضعيف لجهالة سليمان هٰذا، وعنعنة قتادة، واحتمال الانقطاع بين ابن بريدة وسليمان بن الربيع.

وقال البخاري: «ولا يعرف سماع قتادة من ابن بريدة، ولا ابن بريدة من سليمان».

وكأن الترمذي عنى البخاري ـ رحمه الله ـ حين قال: «قال بعض أهل العلم: لا نعرف لقتادة سماعاً من عبدالله بن بريدة».

نقله في «جامع التحصيل» (ص ٣١٤).

ـ ورواه إسحاق بن راهويه في «مسنده»، قال: أخبرنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائي، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي الأسود الديلي، قال: انطلقت أنا وزرعة بن ضمرة مع الأشعري إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فلقيت عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ، قال: يوشك أن لا يبقى في أرض العجم من العرب إلا قتيل وأسير يحكم في دمه. فقال له زرعة: أيظهر المشركون على الإسلام؟ فقال: ممَّن أنت؟ قال: من بني عامر بن صعصعة. فقال ـ رضي الله عنه ـ: لا تقوم الساعة حتى تدافع مناكب نساء بني عامر =

. . . .

= بن صعصعة على ذي الخلصة ـ كان من أوثان الجاهلية ـ.

قال: فذكرنا لعمر ـ رضي الله عنه ـ قولَ عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ، فقال ـ رضي الله عنه ـ: عبدالله أعلم بما يقول؛ ثلاث مرات.

ثم إن عمر ـ رضي الله عنه ـ خطب يوم الجمعة، فقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله.

قال: فذكرنا لعبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقال عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: صدق نبي الله ـ ﷺ ـ، إذا أتى أمر الله ـ عز وجل ـ؛ كان الذي قلت.

ــ ذكره ابن حجر في «المطالب العالية»: كتاب الفتن، باب نصرة أهل الحق حتى يأتي أمر الله، (ل: ٣٦٦ ـ المسندة)، وقال: «فيه انقطاع بين قتادة وأبي الأسود، ورجاله ثقات».

ــ ورواه أبو يعلى من طريق أبي خيثمة وأبي سعيد عن معاذ بن هشام بنحوه؛ كما في «المطالب العالية»: الموضع السابق، وليس موجوداً في مسند عمر من «مسند أبي يعلى» المطبوع.

وذكره الهيثمي، وعزاه له من طريق أبي سعيد، وقال: «فإن كان مولى بني هشام؛ فرجاله رجال الصحيح».

«المجمع» (٧ / ٣١٢).

ــ ومعاذ بن هشام صاحب الدَّستواي ـ بفتح الدال والتاء ـ: صدوق، ربما وهم.

انظر: «التهذيب» (١٠ / ١٩٦)، «التقريب» (٢ / ٢٥٧).

ــ وأبوه هشام بن عبد الله: ثقة، ثبت، رمي بالقدر.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٤٣)، «التقريب» (٢ / ٣٩١).

ــ وقتادة: مرَّ في هذا الحديث.

ــ وأبو الأسود الديلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان: ثقة.

انظر «التهذيب» (١٢ / ١٠)، «التقريب» (٢ / ٣٩١). =

● وعن سَلَمة بن نُفَيْل الكِنْدي ـ رضي الله عنه ـ قال: كنتُ جالساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال رجلٌ: يا رسول الله! أذال[1] الناسُ الخيلَ، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد! قد وضعتِ الحربُ أوزارها. فأقبل رسولُ الله ـ ﷺ ـ بوجهه، وقال:

«كذبوا؛ الآنَ الآنَ جاء القتال، ولا يزال من أُمَّتي أمَّةٌ يقاتِلون على الحق، ويُزيغُ[2] الله لهم قلوبَ أقوام، ويرزُقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحى إليَّ أنِّي مقبوضٌ غيرُ ملبّث[3]، وأنتم تتبِّعوني أفناداً[4] يضرِب بعضكم رقاب بعض،

= ـ وقتادة لم يسمع من أبي الأسود ـ كما ذكر الحافظ ابن حجر وغيره ـ، ولكن من ابنه أبي حرب بن أبي الأسود، قال يحيى بن معين: «لم يسمع من أبي الأسود الديلي، ولكن من ابنه أبي حرب».

«التهذيب» (٨ / ٣٥٤).

ـ ورواية معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن أبي حرب، عن أبي الأسود؛ عند: أبي داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي في «مسند علي»، وأحمد.

انظر: «تهذيب الكمال» (٣ / ١٥٩٧).

ـ فالحديث ضعيف لانقطاعه، ولكن له شواهد كثيرة يتقوّى بها.

(١) **أذالوها**: أي: أهانوها واستخفُّوا بها، وقيل: أرسلوها ووضعوا عنها آلة الحرب.

«حاشية السيوطي على النسائي» (٦ / ٢١٤).

(٢) **يزيغ**: ؛ أي: يميل.

«حاشية السيوطي» (٦ / ٢١٤).

(٣) **ملبث**: اسم مفعول من ألبثه، أو لبثه، واللبث: المكث والإقامة.

انظر: «حاشية السندي على النسائي» (٦ / ٢١٥).

(٤) **أفناداً**: أي: جماعات متفرقة.

«حاشية السيوطي» (٦ / ٢١٥).

وعُقر[1] دارِ المؤمنين الشام»[2].

● وعن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ، قال: فُتحَ على رسول الله ـ ﷺ ـ فتحٌ، فأتيتُه، فقلتُ: يا رسول الله! سُيِّبَتِ الخيلُ، وقُطِعِ السلاح، وقد وضعتِ الحربُ أوزارها، وقالوا: لا قتال. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ:

---

(١) **عُقر دار المؤمنين** ـ بضم العين وفتحها ـ أي: أصلها وموضعها، كأنه أشار إلى أن الشام ـ وقت الفتن ـ يكون أسلم من غيره.

انظر: «حاشية السيوطي» (٦ / ٢١٥).

(٢) رواه النسائي في: ٢٧ ـ كتاب الخيل، في أوله، (٦ / ٢١٤).

وفي «الكبرى»: ٥٠ ـ كتاب السير، ٨٦ ـ متى تضع الحرب أوزارها؟ (ل: ١١٦ / ب)، وفيه: «لا يضرُّهم من خالفهم... ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج».

ــ وأحمد في «المسند» (٤ / ١٠٤).

ــ والبخاري في «التاريخ»: ترجمة سلمة بن نفيل السكوني، رقمها (١٩٩٠)، (٤ / ٧٠)، وفيه: «أمة قائمة على الحق، ظاهرة على الناس، يزيغ الله قلوب قوم، فيقاتلوهم لينالوا منهم. قال وهو مولٍّ ظهره إلى اليمن: إني لأجد نَفَسَ الرحمٰن من ها هنا، ولقد أُوحي إلي أني مكفوت...».

ــ وابن منده في كتاب «التوحيد»: ذكر آيات تدل على وحدانية الخالق، وأنه مقلب القلوب، برقم (١٣٠)، (١ / ٢٩٥).

ــ والطبراني في «الكبير» في ترجمة سلمة بن نفيل السكوني ثم التراغمي، رقمها (٦٠٩)، برقم (٦٣٥٧)، (٧ / ٥٩)، ولم يذكر أوله، وفيه: «حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله».

وبرقم (٦٣٥٨) كلفظ البخاري في «التاريخ».

وبرقم (٦٣٦٠) بنحو رواية النسائي في «الكبرى».

ــ وقد رواه البخاري في «التاريخ»، والطبراني في إحدى رواياته، وابن منده؛ من =

«الآن جاء القتال، لا يزال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ يُزيغُ قلوبَ أقوامٍ يقاتِلونَهم، يرزق الله منهم، حتى يأتي أمر الله على ذلك، وعُقر دار المؤمنين بالشام»[1].

= طريق عبدالله بن يوسف، عن عبدالله بن سالم، عن إبرهيم بن سليمان الأفطس، عن الوليد بن عبدالرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير، عن سلمة.

ـ وعبد الله بن يوسف هو التِّنِّيسي ـ بتشديد النون ـ الكلاعي، ثقة، متقن.

انظر: «التهذيب» (٦ / ٨٦)، «التقريب» (٢ / ٤٦٣).

ـ وعبد الله بن سالم هو الحمصي ـ وفي مطبوع الطبراني خطأ: ابن صالح ـ: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٥ / ٢٢٨)، «التقريب» (١ / ٤١٧).

ـ وإبراهيم بن سليمان الأفطس: ثقة، ثبت.

انظر: «التهذيب» (١ / ١٢٦)، «التقريب» (١ / ٣٦).

ـ والوليد بن عبد الرحمن الجرشي: ثقة.

انظر: «التهذيب» (١١ / ١٤٠)، «التقريب» (٢ / ٣٣٤).

ـ وجبير بن نفير الحضرمي: ثقة.

ـ فهذا الإسناد صحيح.

ـ وقد سقط من إسناد ابن منده: «جبير بن نفير»، فجاء هكذا: «الوليد بن عبدالرحمن الجرشي، حدثنا سلمة بن نفيل السكوني» (ل: ٤٠ / ب).

والظاهر أنه خطأ، وأن الوليد لا يروي مباشرة عن سلمة، قال المزي وابن حجر: «والصحيح أن بينهما جبير بن نفير».

«تهذيب الكمال» (٣ / ١٤٧٠)، «تهذيب التهذيب» (٤ / ١٦٠).

(١) رواه أبو يعلى؛ كما في «المطالب العالية»: كتاب الفتن، باب بقاء الإسلام إلى أن يأتي أمر الله، (ل: ٣٨٦ ـ المسندة).

ـ وابن حبان عن أبي يعلى بسنده؛ كما في «الموارد»: ٢٦ ـ كتاب الجهاد، ١٠ ـ باب دوام الجهاد، برقم (١٦١٧)، (ص ٣٨٩)، بنحوه، وفيه: «ووضعوا السلاح...»، وفيه: «تقاتلونهم ويرزقكم الله منهم». =

● وعن أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«لا تزالُ طائفـةٌ من أُمَّتي على الـدِّين، ظاهرين، لعدوِّهم قاهِرين، لا يضرُّهم مَن خالفهم؛ إلا ما أصابَهم مِن لأواء، حتى يأتِيَهُم أمر الله وهم كذٰلك».

قالوا: يا رسول الله! وأين هُم؟

قال: «ببيتِ المقدس، وأكناف[1] بيت المقدس»[2].

= ـ وهو من طريق داود بن رشيد، حدثنا الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، عن الوليد بن عبدالرحمٰن الجرشي، عن جبير بن نفير، عن النواس.

ـ وداود بن رشيد: أبو الفضل، ثقة، ووقع في مطبوعة «الموارد»: «أخبرنا أبو يعلى داود بن رشيد»، والصواب: «حدثنا داود بن رشيد».

انظر: «التهذيب» (٣ / ١٨٤)، «التقريب» (١ / ٢٣١).

ـ والـوليد بن مسلم: سبق أنـه ثقـة يدلِّس تدليس التسوية، فيلزم لمعرفة اتصال الحديث تصريحه وتصريح جميع مَن فوقه بالسماع، وقد عنعنوا جميعاً في هٰذا الإسناد.

ـ ومحمد بن مهاجر الأنصاري الشامي: ثقة.

«التهذيب» (٩ / ٤٧٧)، «التقريب» (٢ / ٢١١).

ـ وبقية رجال الإسناد مضوا في الحديث السابق.

ـ فالحديث بهٰذا الإسناد شاذ؛ لتدليس الوليد بن مسلم، ومخالفته للإسناد الصحيح في تسمية الصحابي، حيث سماه هنا: النواس بن سمعان، وهو سلمة بن نفيل السكوني، كما رواه الثقات عن الوليد بن عبدالرحمٰن الجرشي، ونصر بن علقمة الحضرمي عن جبير بن نفير.

(١) **الأكناف**: جمع كَنَف ـ بالتحرّيك والنون الموحدة ـ، وهو الجانب والناحية. «النهاية» (٤ / ٢٠٥).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد وِجادة، قال: «وجدتُ في كتاب أبي بخط يده» (٥ / ٦٩). =

= ـ والطبراني في «الكبير»: في ترجمة أبي أمامة، ورقمها (٧٣٦)، عبد الله بن عمرو الحضرمي عن أبي أمامة، برقم (٧٦٤٣)، (٨ / ١٧١).

ـ وذكره ابن الجوزي في «فضائل القدس»: عن الخطيب المقدسي، الباب التاسع، في فضل السكنى فيه، (ص ٩٣).

ـ وقد رواه الإمام أحمد من طريق مهدي بن جعفر الرملي، حدثنا ضمرة، عن الشيباني ـ واسمه يحيى بن أبي عمرو ـ عن عمرو بن عبدالله الحضرمي، عن أبي أمامة.

ـ وأخرجه الطبراني من طريق يحيى بن عبدالباقي الأذني، حدثنا أبو عمير عيسى بن محمد بن إسحاق النحاس، حدثنا ضمرة بن ربيعة، فذكره بنحوه.

ـ ويحيى بن عبد الباقي الأذني: وثقه الخطيب البغدادي، وابن المنادي.

«تاريخ بغداد» (١٤ / ٢٢٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٤٦).

ـ وأبو عمير عيسى بن محمد بن إسحاق النحاس الرملي: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٨ / ٢٢٢)، «التقريب» (٢ / ١٠١).

ـ وضمرة بن ربيعة، أبو عبد الله الفلسطيني، وثقه الإمام أحمد، وابن معين، والنسائي، وابن سعد، وغيرهم، وقال الذهبي: «مشهور، ما فيه مغمز».

«التهذيب» (٤ / ٤٦٠)، «الميزان» (٢ / ٣٣٠).

ـ ويحيى بن أبي عمرو السيباني ـ بالسين المهملة ـ نسبة إلى سيبان، بطن من حمير: ثقة.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٢٦٠)، «التقريب» (٢ / ٣٥٥).

ـ أما عمرو بن عبد الله الحضرمي؛ فهو السيباني الحمصي، أبو عبد الجبار، وثقه العجلي، وابن حبان، وذكره البخاري، وابن أبي حاتم، وسكتا عنه، وقال ابن حجر: «مقبول».

«التاريخ الكبير» (٦ / ٣٤٩)، «الجرح والتعديل» (٦ / ٢٤٤)، «التهذيب» (٨ / ٦٨)، «التقريب» (٢ / ٧٤).

ـ فالحديث ـ بهذا الإسناد ـ حسن، خاصة وأن له شواهد كثيرة سبق أكثرها. =

● وعن مُرَّة بن كعب البَهْزي ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الحق، ظاهرين على مَن ناوأهم، وهم كالإِناء بين الأَكَلَة، حين يأتي أمر الله ـ عز وجل ـ وهم كذلك».

قال: فقلنا: يا رسول الله! مَن هُم؟ وأين هُم؟

قال: «بأكتاف[1] بيت المقدس»[2].

= وقال الهيثمي عن إسناد أحمد: «... ورجاله ثقات».

ـ وفي إسناد أحمد: مهدي بن جعفر الرملي، وثقه ابن معين، وقال صالح بن محمد وابن عدي: «لا بأس به»، وقال البخاري: «حديثه منكر»، وقال ابن حجر: «صدوق له أوهام».

«التهذيب» (١٠ / ٣٢٥)، «المغني» (٢ / ٦٨١)، «التقريب» (٢ / ٢٧٩).

ـ ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن البخاري يعني حديثاً خاصّاً من حديثه، أو أحاديث خاصة، وإلا فهو لا يطلق هٰذه العبارة إلا على شديدي الضعف.

ـ فكلام الهيثمي فيه نظر، وإن كان مهدي قد توبع في هٰذا الحديث.

(١) كذا في مطبوعة «المعرفة والتاريخ»؛ بالتاء المثناة؛ خلافاً للمصادر الأخرى، وما أدري أهي تحريف أم لها وجه في الرواية؟ وفي سائر المصادر في هٰذا الحديث والأحاديث السابقة: «وأكناف»؛ بالنون.

(٢) رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: (٢ / ٢٩٨)

ـ والبخاري في «التاريخ الكبير»: كتاب الكنى، ترجمة أبي وعلة العكي، رقمها (٧٥٢)، (٩ / ٧٨).

ـ والطبراني في «الكبير»، في: من اسمه مرة، مرة بن كعب السلمي ثم البهزي، برقم (٧٥٤)، (٢ / ٣١٧).

وذكره الهيثمي في «المجمع»، وقال: «... وفيه جماعة لم أعرفهم» (٧ / ٢٨٨). =

. . . .

= ـ ورواه الفسـوي والطبراني من طريق أبي يحيى زكريا بن نافع الأرسوفي، قال: حدثنا عبَّاد بن عبَّاد أبو عتبة، عن أبي زرعة، عن أبي وعلة ـ شيخ من عك ـ، عن كريب، عن مرة . . .

ـ وأبو يحيى زكريا بن نافع الأرسوفي ـ بضم الهمزة ـ نسبة إلى مدينة على ساحل البحر المتوسط: ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: «يغرب»، وذكره السمعاني، وقال ابن حجر في «اللسان»: «أخرج له الخطيب في الرواة عن مالك حديثاً في ترجمة العباس بن الفضل عنه، وقال: في إسناده غير واحد من المجهولين».

«الثقات» (٨ / ٢٥٢)، «الأنساب» (١ / ١٨٥)، «اللسان» (٢ / ٤٨٣).

ـ وقد تابعه محمد بن عبدالعزيز الرملي ـ عند الفسوي ـ وهو صدوق يهم.

انظر: «التهذيب» (٩ / ٣١٣)، «التقريب» (٢ / ١٨٦).

ـ وعبـاد بن عبـاد، أبـو عتبـة: هو الـرملي الأرسوفي الخوَّاص: وثقه ابن معين، والعجلي، ويعقوب بن سفيان، وغيرهم، واشتدَّ عليه ابن حبان، وقال الذهبي: «وثقوه».

انظر: «التهذيب» (٥ / ٩٧)، «الكاشف» (٢ / ٥٥).

ـ وأبو زرعة هو يحيى بن أبي عمرو السيباني ـ بالمهملة ـ: ثقة، مضى في الحديث السابق.

ـ وأبو وعلة العكي ـ وفي إسناد «الطبراني»: أبو زرعة الوعلاني ـ: ذكره البخاري، وابن أبي حاتم، وسكتا عنه.

ـ وكريب: هو ابن أبرهة السحولي: ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: «يقال: إن له صحبة»، وترجم له ابن عبدالبر في «الاستيعاب»، وذكر أنه يروي عن الصحابة، ويروي عنـه كبـار التابعين من الشاميين؛ مثل: كعب الأحبار، وسليم بن عامر، ومرة بن كعب، وغيرهم، وكذا ترجمه ابن حجر في «الإصابة».

«الثقات» (٣ / ٣٥٧)، «الاستيعاب» (٩ / ٢٧٠)، «الإصابة» (٨ / ٣٢٨).

ـ فالحديث ـ بهذا الإسناد ـ ضعيف؛ لجهالة أبي وعلة العكي.

● عن عُمير بن الأسود[1] وكثير بن مُرَّة الحضرمي[2]، قالا: إن أبا هريرة وابن السمط، قالا: لا يزالُ المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة، وذلك أن النبيَّ - ﷺ - قال:

«لا تزالُ عصابةٌ قوَّامةٌ».

وقال النبي - ﷺ -: «هم أهل الشام»[3].

---

(١) **عمير بن الأسود**: هو عمرو بن الأسود العنسي، أبو عياض، سكن داريا، وهو من العلماء العباد الثقات، مات في خلافة معاوية - رضي الله عنه -.

«التهذيب» (٨ / ٤)، «تاريخ داريا» (ص ٧٠ - ٧١).

(٢) كثير بن مرة الحضرمي: هو أبو شجرة الرهاوي، تابعي، شامي، ثقة، أدرك خلافة عبدالملك بن مروان، ومات بين السبعين والثمانين.

«التهذيب» (٨ / ٤٢٨).

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» في ترجمة شرحبيل بن السمط الكندي، ورقمها (٢٦٩١)، (٤ / ٦٢)، قال: حدثنا عبدالله بن يوسف، (أخبر) نا يحيى بن حمزة، حدثني نصر بن علقمة، أن غمير بن الأسود وكثير بن مرة الحضرمي قالا: (فذكره).

ـ وعبد الله بن يوسف: هو التِّنيسي: ثقة متقن.

ـ ويحيى بن حمزة: هو ابن واقد الحضرمي، أبو عبدالرحمٰن البتلهي - نسبة إلى بيت لهيا، قرية بقرب دمشق -: ثقة، رمي بالقدر.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٢٠٠)، «التقريب» (٢ / ٣٤٦).

ـ ونصر بن علقمة: ثقة.

انظر: «التهذيب» (١٠ / ٤٢٩)، «الكاشف» (٣ / ١٧٧).

ـ وعمير بن الأسود وكثير بن مرة: سبق آنفاً أنهما ثقتان.

ـ فالحديث بهذا الإسناد صحيح.

ـ وقد رواه ابن ماجه من طريق يحيى بن حمزة، قال: حدثنا أبو علقمة، عن عمير =

● وعن محمد بن كعب القُرَظي[1]، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«لا تبرح عصابة من أُمَّتي، ظاهرين على الحق، لا يُبالون مَن خالَفَهم، حتى يخرُجَ المسيح الدَّجَّال، فيقاتِلونَه»[2].

= بن الأسود وكثير بن مرة الحضرمي، عن أبي هريرة، بنحوه. ولم يذكر فيه شرحبيل بن السمط، وسبق في تخريج حديث أبي هريرة.

(١) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه ممَّن لم يُنْبِت يوم قريظة، فترك، وولد محمد في آخر خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ سنة (٤٠هـ)، وكان صالحاً، ثقة، عالماً، بالقرآن، توفي سنة (١١٨هـ).

انظر: «التهذيب» (٩ / ٤٢٠)، «التقريب» (٢ / ٢٠٣).

(٢) رواه سعيد بن منصور في: كتاب الجهاد، باب من قال الجهاد ماض، برقم (٢٣٧٦)، (٣ / ٢ / ١٧٨)، قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن محمد كعب.

ــ وعبد العزيز بن محمد: هو الدراوردي: صدوق.

انظر: «التهذيب» (٦ / ٣٥٣)، «الميزان» (٢ / ٦٣٣)، «المغني» (٢ / ٣٩٨).

ــ وعمرو بن أبي عمرو: هو ميسرة، مولى المطَّلب بن عبدالله بن حنطب: صدوق، قال الذهبي: «حديثه صالح حسن، منحط عن الدرجة العليا من الصحيح».

انظر: «التهذيب» (٨ / ٨٢)، «الميزان» (٣ / ٢٨١).

ــ فهٰذا مرسلٌ حسنٌ.

ــ ويعتضد بالأحاديث السابقة، وأقربها إلى لفظه حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ.

ــ وقد جاء مرسلٌ آخر عن الحسن وفيه: «بني الإسلام على ثلاثة: الجهاد ماض منذ بعث الله نبيَّه إلى آخر فئة من المسلمين، تكون هي التي تقاتل الدجال...» الحديث.

ــ رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»: باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمَّتي» (ل: ٤٦ / ب).

وبهٰذا العرض لروايات الحديث تتبيَّنُ صحَّة القول بتواتره، حيث رواه تسعة عشر صحابيّاً عن رسول الله ـ ﷺ ـ، وجاء عن بعضهم من طرق متعدِّدة، وأخرجه الأئمة في كتبهم؛ كالصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، والتواريخ، وكتب العقائد، وكتب الرجال... وغيرها.

وهٰذا يورثُ المسلم طمأنينة وإيماناً وتفاؤلاً بنصر الله لهٰذا الدين، بمقتضى الوعد الإلٰهي الوارد على لسان النبي ـ ﷺ ـ.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾(١).

وسأعرض لخصائص الطائفة المنصورة، ثم أُثنِّي بتحديد: من هي؟ حتى يكون التحديد مبنيّاً على تلك الخصائص.

○ خصائص الطائفة المنصورة:

وقد سمى النبي ـ ﷺ ـ هٰذه الطائفة بالمنصورة، وهٰذا فيه وعدٌ لها بالنصر العاجل والآجل، المادي والمعنوي، وما كان استحقاق هٰذه الطائفة للنصر إلا عن تميُّزها بخصائص معيَّنة.

والمتأمِّل للأحاديث الصحيحة السابقة يجد فيها عدداً من هٰذه الخصائص والميِّزات التي اختصَّ الله بها هٰذه الطائفة من بين سائر المسلمين، وفضَّلهم بها على العالمين، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ أنها على الحق:

فهي طائفة من هٰذه الأمة التي التزمت بالدين الصحيح الذي هو (الحق)، وما عداه الباطل، واستقرَّت على الالتزام به استقرار المتمكِّن الذي لا يتزحزح.

---

(١) ص: ٨٨.

وهي طائفة متحقِّقة بـ (خصائص الفرقة الناجية)[1]؛ من العلم الصحيح المبني على الدَّليل الشرعي، ومن عمل القلب وعمل الجوارح المواطىء لهٰذا العلم.

ومن البَدَهي أن تكون (الطائفة المنصورة) من الفرقة الناجية، إذ يستحيل أن يكون (الحق) و (النصر) في غير الفرقة الناجية.

وقد تعدَّدت عبارات الأحاديث ـ كما مرَّ ـ، وتنوَّعت في بيان أن هٰذه الطائفة تحمل الحق الذي جاء به محمَّدٌ ـ ﷺ ـ، وتلتزم به؛ من غير تحريف ولا تبديل.

فجاء الحديث بأنهم «على الحق»[2].

وأنهم «على أمر الله»[3].

وأنهم «على هٰذا الأمر»[4].

وأنهم «على الدين»[5].

وهٰذه الألفاظ تجتمع في الدِّلالة على استقامتهم على الدين الصحيح الذي بُعث به محمد ـ ﷺ ـ، وهو أمر الله الشرعي، الذي أمر به عباده؛ كما قال تعالى:

---

(١) سبق ذكرها في الفصل الأول من هٰذه الرسالة تفصيلاً.

(٢) كما في حديث جابر بن عبدالله، وسعد، وزيد بن أرقم، وعمران بن حصين، وأبي هريرة، وعمر، وسلمة بن نفيل، ومرة بن كعب البهزي.

(٣) كما في حديث عقبة بن عامر ومعاوية.

(٤) كما في حديث أبي هريرة.

(٥) كما في حديث أبي أمامة، ونحوه حديث جابر بن سمرة.

﴿أَلا لَهُ الخَلْقُ والأمْرُ﴾[1].

فالخَلْق: القَدَر، والأمر: الشرع[2].

وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِم﴾[3].

وقالَ: ﴿حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وهُمْ كَارِهونَ﴾[4].

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فاتَّبِعْها﴾[5].

والآيات الدالَّة على إتيان الأمر بمعنى الشريعة المأمور بها والدين المنزَّل الواجب الاتباع كثيرة.

وقد عبَّر ـ ﷺ ـ عن تمسُّك الطائفة المنصورة بالحق، والدين، والأمر، بلفظ: (على)، الدالِّ على التمكُّن والاستقرار.

وللطائفة المنصورة من ملازمة الحق واتباعه ما ليس لسائر المسلمين، وهي إنما استحقَّت الذكر والنصر؛ لتمسُّكِها بالحق الكامل حين أعرض عنه الأكثرون.

ومن الجوانب البارزة في الحق الذي استمسكت به حتى صارت طائفة منصورة ما يلي:

---

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) انظر: «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١١ / ٢٥١ ـ ٢٧١)، «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص ٢٩٣)، «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزآبادي، (٢ / ٤٠ ـ ٤٢).

(٣) الأعراف: ٧٧.

(٤) التوبة: ٤٨.

(٥) الجاثية: ١٨.

أ ـ الاستقامة في الاعتقاد، وملازمة ما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه، ومجانبة البدع وأهلها.

فهم أصحاب السنَّة الذين ليس لهم اسمٌ يُعْرَفون به وينتمون إليه إلا السنَّة؛ لا جهميَّة، ولا معتزلة، ولا قَدَرِية، ولا مرجئة، ولا خوارج، ولا غير ذلك من الأسماء الدالَّة على البدع والأهواء[1].

ب ـ الاستقامة في الهدى والسلوك الظاهر على المنهج النبويّ الموروث عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، والسلامة من أسباب الفسق والريبة والشهوة المحرَّمة.

جـ ـ الاستقامة على الجهاد بالنفس، والمال، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحجَّة على العالمين.

د ـ الاستقامة في الحرص على توفير أسباب النصر المادية والمعنوية، واستجماع المقوِّمات التي يستنزل المؤمنون بها نصر الله.

ولا شك أنهم إنما نُصِروا لملازمتهم للجادَّة المستقيمة ـ من جهة ـ، ولبذلهم الجهد الواجب في تحصيل أسباب النصر ـ من جهة ثانية ـ.

وبذل الجهد في تحصيل تلك الأسباب هو ـ في الحقيقة ـ جزءٌ من الاستقامة على الشريعة، إذ الشريعة تأمر بفعل الأسباب، واتِّخاذ الوسائل المؤدِّية إلى النتائج ـ بإذن الله ـ، فليس صحيحاً أن يقعد المسلم عن استخدام الوسائل المادِّيَّة الممكنة؛ من الصناعة، والسلاح، والتخطيط، والإدارة، وغيرها؛ متوهِّماً أن النصر يجيء بدونها؛ لأن تحقيق ذلك هو من مقتضيات

---

(١) انظر كلمة الإمام مالك في هذا المعنى في: «الاعتصام» (١ / ٥٨)، و«الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» لابن عبدالبر، (ص ٣٥).

الاستقامة على أمر الله.

٢ ـ أنها قائمة بأمر الله:

وهٰذه الخصيصة بارزة جدّاً في الوصف النبوي لهٰذه الطائفة، فهم (أمة قائمة بأمر الله)[١]، واسمهم (الطائفة المنصورة) في عدد من الأحاديث[٢].

وقيامهم بأمر الله يعني:

أ ـ أنهم تميَّزوا عن سائر الناس بحمل راية الدعوة إلى الله، وإلى دينه، وشرعه، وسنة نبيه ـ ﷺ ـ، والقيام على نشر السنَّة بين الناس بكل وسيلة ممكنة مشروعة، ودفع الشُّبُهات عنها، وحمل الناس عليها ـ مهما أمكن ذٰلك ـ والرد على مخالفيها من الكفرة والمرتدِّين والمارقين والمنافقين والجاهلين.

ب ـ وأنهم قائمون بمهمَّة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)؛ باليد، واللسان، والقلب، معارضون لكل انحراف يقع بين المسلمين، أيّاً كان نوعه: سياسيّاً، أو اجتماعيّاً، أو اقتصاديّاً، أو علميّاً، أو اعتقاديّاً، فهم (أولو البقية) الذين ينهون عن الفساد في الأرض، وهم الناجون حين يهلك الظالمون.

قال تعالى: **﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾**[٣].

إن مما يؤكِّد خطورة هٰذه الخاصيَّة، وأهمِّيتها البالغة، وأثر المتحلِّين بها

---

(١) كما في حديث معاوية.

(٢) كحديث قرة بن إياس، وبمعناه حديث أبي أمامة، وكذٰلك حديث عمر في بعض رواته.

(٣) هود: ١١٦.

في حفظ كيان الأمة: أن فقدان هٰذه الفئة الآمرة الناهية بين الناس هو من أعظم أسباب هلاكها وتعرُّضها لمقت الله وسخطه، ووجود هٰؤلاء المصلحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من أعظم أسباب اندفاع العذاب عن الأمم(١).

ولذٰلك عقَّب ـ سبحانه ـ على الآية السابقة بقوله:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وأَهْلُها مُصْلِحونَ﴾(٢).

ومما يؤكِّد هٰذا المعنى ويجلّيه ـ في حق هٰذه الأمة، وهٰذه الطائفة ـ أن الله ـ تعالى ـ تكفَّل ببقاء هٰذه الأمة واستمرارها إلى أن يأتي أمرُه ـ سبحانه ـ، وسيأتي تحقيق أن المراد بأمره الريح التي مسُّها مسُّ الحرير، وريحُها ريح المسك، والتي تهبُّ قبيل قيام الساعة، فتقبض روح كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فلا يبقى إلا شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة(٣).

وبقاء هٰذه الأمة إنما هو لوجود هٰذه الطائفة القائمة بأمر الله، إذ هم أولو البقيَّة الذين يَنْهَوْنَ عَن الفساد في الأرض، وهُم المصلِحون.

ولهٰذا مهَّد أبو هريرة وشُرحبيل بن السمط الكندي ـ رضي الله عنهما ـ لرواية حديث الطائفة المنصورة بقولهما:

«لا يزال المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة»(٤).

فكأنهما استنتجا ـ والله أعلم ـ من الحديث أن هٰذه الطائفة ـ لاضطلاعها

---

(١) ستأتي الأحاديث النبوية المصرِّحة بذٰلك، والتعليق عليها في الرسالة الثالثة من هٰذه السلسلة، فصل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) هود: ١١٧.

(٣) كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) سبق.

بعبء الأمر والنهي والإصلاح ـ تكون أماناً لهٰذه الأمة كلِّها من الاستئصال والهلاك.

ويلحظ المتأمِّل لحديث ثوبان الطويل هٰذا المعنى في غاية الوضوح، حيث ذكر ـ ﷺ ـ ما سَيَبْلُغُه ملكُ أمَّته، وسؤالَه ربَّه أن لا يُهْلِكَها بسنة بعامَّة، فأعطاه ذٰلك، ثم ذكر ما سيصير إليه شأن الأمة؛ من الانحراف، والاختلاف، والاقتتال، وفساد الحكام، ولحوق قبائل منها بالمشركين، وعبادة قبائل منها الأوثان، وظهور الكذابين، وخَتَم ذٰلك بخبر الطائفة المنصورة الظاهرة الظافرة.

وأسوق هنا رواية أبي داود للحديث؛ لأنها من أكمل الروايات.

عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«إن اللهَ زَوَى لي الأرض ـ أو قال: إن ربي زَوَى لي الأرض ـ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنَّ ملك أمَّتي سيبلغ ما زُوِيَ لي منها.

وأُعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض.

وإني سألتُ ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلِّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم.

وإن ربي قال لي: يا محمد! إني إذا قضيتُ قضاء؛ فإنه لا يُرَدُّ، ولا أُهْلِكُهُم بِسَنَةٍ بعامَّة، ولا أُسَلِّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضَتَهم، ولو اجتمع عليهم مَن بين أقطارها ـ أو قال: بأقطارها ـ، حتى يكون بعضهم يُهْلِك بعضاً، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضاً.

وإنَّما أخاف على أمَّتي الأئمة المُضِلِّين.

وإذا وُضِعَ السيف في أُمَّتي؛ لم يُرْفَع عنها إلى يوم القيامة.

ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمَّتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمَّتي الأوثان.

وإنه سيكون في أُمَّتي ثلاثون كذابون؛ كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيِّين، لا نبيَّ بعدي.

ولا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الحق ـ قال ابن عيسى[1]: ظاهرين. ثم اتَّفقا[2] ـ، لا يضرُّهُم مَن خالَفَهُم، حتى يأْتِيَ أمرُ الله[3].

وكان ابن ماجه ـ رحمه الله ـ إذا فرغ من رواية هذا الحديث يقول: «ما أهوله!»[4].

---

(١) هو محمد بن عيسى، شيخ أبي داود، وهو ابن نجيح البغدادي، أبو جعفر الطباع، سكن أذنة، ولد سنة (١٥٠هـ)، ومات سنة (٢٢٤هـ)، وكان ثقة فقيهاً.

انظر: «التهذيب» (٩ / ٣٩٢)، «التقريب» (٢ / ١٩٨).

(٢) أي: شيخا أبي داود، وهما: محمد بن عيسى، وسليمان بن حرب.

ـ وسليمان بن حرب: هو ابن بجيل الأزدي الواشجي، أبو أيوب البصري، ولد سنة (١٤٠هـ)، ومات سنة (٢٢٤هـ)، وهو ثقة، ثبت، روى له الجماعة.

انظر: «التهذيب» (٤ / ١٧٨)، «التقريب» (١ / ٣٢٢).

(٣) أبو داود: ٣٩ ـ كتاب الفتن والملاحم، ١ ـ باب ذكر الفتن ودلائلها، (رقم ٤٢٥٢)، ورواه البرقاني في «صحيحه» بتمامه، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (١ / ١٢٢).

ـ وسبق تخريج طرفه المتعلق بالطائفة المنصورة.

ـ وإسناد أبي داود هو إسناد مسلم؛ سوى شيخي أبي داود، وهما ثقتان؛ كما علمت، فالإسناد صحيح.

(٤) «سنن ابن ماجه» (١ / ٥).

ففي الحديث إشارة جليَّة إلى أن الأمَّة لن تهلك بسنة عامَّة؛ لأنه لا تزال منها طائفةٌ قائمة بأمر الله.

وإشارة أخرى إلى أن هٰذه الأمة، مهما وقع فيها من مظاهرِ غُربة الدين؛ من البلاء، والافتراق، والقتال، وفساد الحكم، وضياع معالم الدين عند الكثير من الفئات والطوائف، حتى يلحق بعضُها بالمشركين في الأفكار والمبادىء والمعتقدات والولاءات، وحتى يعبدَ بعضُها الأصنام الحسيَّة والمعنوية . . .

مهما حدث من هٰذا وغيره؛ فإن الذي يستنزل غضب الله وعقابه العام الشديد بإهلاك الأمة هو **أن لا يوجد فيها أولو بقيَّة ينهَوْن عن الفسادِ في الأرض** بوضوحٍ وظهورٍ وقوةٍ وثباتٍ، وهٰذا ـ أعني: عدم وجود أولي بقية ـ قد يقع في بعض البلاد، في زمن معيَّن، أو مطلقاً، لكنَّه لا يقع في الأمة كلها إلا قُبَيل الساعة.

وهٰذا يبيِّنُ خطورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهمِّيَّتَه في تحقيق استمرار وجود الأمة، وحمايتها من الهلاك العامّ، وصلاحيتها للبقاء.

ويبيِّن أن الفئة القائمة بهٰذا الأمر، المتصدِّية له على الدَّوام، هي الطائفة المنصورة.

وهٰذا هو المعنى الوارد في حديث ثوبان؛ فإنه بعد أن ذكر أن الله سبحانه لا يُهْلِك هٰذه الأمة بعامَّة، وذكر ما يصيب الأمة من الانحراف بسبب الأئمة المضلِّين، وبسبب القتال والاختلاف الحادث فيها، وبسبب تشبُّه الأمة بالمشركين، ولحوق قبائل منها بهم، وبسبب ظهور الكذابين، عقَّب على هٰذا كله بالتصريح ببقاء الطائفة المنصورة، القائمة على الحق، الثابتة عليه.

ولذٰلك يستحيل خلوُّ الأرض من هٰذه الطائفة، وإطباقُ الكُفر والجاهليَّة

عليها؛ دولاً، وجماعاتٍ، وأفراداً، وإن كانت الجاهلية قد توجد في مجتمع أو بلد معيَّن، أو فئة خاصة، أو جانب خاصٍّ؛ كجاهلية الحكم والتشريع ـ مثلاً ـ.

وبهٰذا يتبيَّن قوَّة ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين قال:

«. . . فأما بعد مبعث الرسول ـ ﷺ ـ؛ [فـ][1] قد تكون في مصرٍ دون مصرٍ ـ كما هي دار الكفار ـ، وقد تكون في شخص دون شخص ـ كالرجل قبل أن يسلم؛ فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام ـ.

فأما في زمان مطلقٍ؛ فلا جاهليَّة بعد مبعث محمَّد ـ ﷺ ـ؛ فإنه لا تزال من أُمَّتِه طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة»[2].

وقال: «. . . فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا تزال طائفةٌ ممتنعةٌ من أمَّتِه، على الحق، أعزَّاء، لا يضرُّهم المخالف، ولا خذلان الخاذل، فأما بقاء الإسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل قيام الساعة؛ فلا يكون هٰذا»[3و4].

جـ ـ وكما تقوم الطائفة المنصورة بأمر الله في نشر الدين الصحيح، وتبليغه، ودفع الشبه عنه، ونشر السنَّة بين المسلمين، وقمع البدعة، ومحاربتها، وفي تحقيق واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنها تقوم أيضاً بواجب الجهاد والقتال في سبيل الله.

---

(١) الفاء زيادة من عندي يقتضيها السياق، وهي موجودة في بعض الطبعات غير المحققة.

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١ / ٢٢٧).

(٣) «الفتاوى» (١٨ / ٢٩٦).

(٤) سيأتي حديث مفصَّل عن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في الرسالة الثالثة ـ بإذن الله ـ، وإنما تناولت الموضوع هنا باعتباره جزءاً من خصائص الطائفة المنصورة.

وإن مما يسترعي النظر كثيراً أن يَرِد في معظم الأحاديث وصفهم بالمقاتلة على الحق الذي يحملونه:

فهم «يقاتِلون على أمرِ الله»[1].

أو: «يقاتِلون على الحق»[2].

أو: «يقاتِلون على الدِّين»[3].

أو: «يقاتِلون على أبواب دمشق»[4].

وصرِّح في بعض الروايات المتقدمة بأن آخرهم يقاتل المسيح الدَّجَّال[5].

وفي أحاديث أخرى جاء الحديث عنهم بمناسبة إذالة الناس الخيل، ووضعهم السلاح، وقولهم: لا قتال، فقال ـ ﷺ ـ: «كذبوا؛ الآن جاء القتال»[6].

وهٰذه الرِّوايات تبيِّنُ ـ بوضوح ـ أنَّ هٰذه الطائفة الظاهرة الظافرة المنصورة لم تقف عند حدِّ جهاد الكلمة؛ ببيان الحق، والدعوة إليه بالحسنى، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين، بل تميَّزت ـ مع ذٰلك ـ بالقيام بواجب الجهاد الشرعي في سبيل الله، وقتال أعداء الله من الكفَّار والمنافقين

(١) كما في حديث عقبة بن عامر.

(٢) كما في حديث عمران بن حصين، وسلمة بن نفيل، وجابر بن عبدالله.

(٣) كما في حديث جابر بن سمرة: «لن يبرح هٰذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين».

(٤) كما في حديث أبي هريرة من رواية أبي يعلى.

(٥) كما في حديث عمران بن حصين.

(٦) كما في حديث سلمة بن نفيل، وحديث النواس بن سمعان، وهو منكر.

وغيرهم .

وهٰذا يعني استمرار الجهاد والمواجهة العسكريَّة مع أعداء الدين إلى يوم القيامة ؛ لأن الطائفة القائمة به باقية إلى يوم القيامة .

وقد جاء عنه ـ ﷺ ـ التصريح باستمرار الجهاد ودوامه ؛ كما في قوله ـ ﷺ ـ :

«الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم»[1] .

وقد استدلَّ بهٰذا الحديث الإمامُ أحمدُ ـ رحمه الله ـ على استمرار الجهاد ومُضِيِّه إلى يوم القيامة ، فقال :

«فقهُ هٰذا الحديث أن الجهاد مع كلِّ إمامٍ إلى يوم القيامة»[2] .

وتَبِعه على ذٰلك الإمام البخاري ، حيث بوَّب في «صحيحه» :

«باب : الجهاد ماضٍ مع البرِّ والفاجر ؛ لقول النبي ـ ﷺ ـ : الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[3] .

---

(١) الحديث في «الصحيحين» وغيرهما ، وسيأتي تخريجه في الرسالة الثالثة بإذن الله ، فضل الجهاد في سبيل الله .

(٢) رواه عنه الترمذي (٤ / ٣٠٣) .

(٣) «صحيح البخاري» (٣ / ٢١٥) .

ــ وقد ورد بمعنى لفظ الترجمة حديث مرفوع عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

«ثلاث من أصل الإيمان : الكفّ عمَّن قال : (لا إلٰه إلا الله) ، ولا نكفِّره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمَّتي الدجَّال ، لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل» .

وهٰكـذا صنـع عددٌ من الأئمة؛ أدخلوا الحديث ضمن كتاب الجهاد، وبوَّبوا عليه بثبات الجهاد ومضيِّه إلى يوم القيامة؛ كما صنع أبو عَوانة[1]، وسعيد بن منصور[2]، والنسائي[3]، والدَّارمي[4].

وقد ربط الحافظ ابن حجر بين هٰذا الحديث وحديث الطائفة المنصورة، فقال: «لأنه ـ ﷺ ـ ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، وفسَّره بالأجـر والمغنم، (و)[5] المغنم المقتـرن بالأجـر إنمـا يكـون من الخيل بالجهاد. . . وفيه. . . بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة؛ لأن مِن لازم بقاء الجهاد بقاءَ المجاهدين، وهم المسلمون.

وهو مثل الحديث الآخر: لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلون على الحق»[6].

= ـ رواه سعيد بن منصور في «سننه»: كتاب الجهاد، باب: من قال: الجهاد ماض، برقم (٢٣٦٧)، (٣ / ٢ / ١٧٦).

ـ وعنـه أبو داود في: ٩ ـ كتاب الجهاد، ٣٥ ـ باب الغزو مع أئمة الجور، برقم (٢٥٣٢)، (٣ / ٤٠).

ـ وفي إسناده يزيد بن أبي نشبة، وهو مجهول.

انظر: «الميزان» (٤ / ٤٤٠)، «التهذيب» (١١ / ٣٦٤)، «التقريب» (٢ / ٣٧١).

ـ فهو ضعيف.

ـ وقال ابن حجر: «وفي إسناده ضعف». «الفتح» (٦ / ٥٦).

(١) «الصحيح المسند» (٥ / ١٠٩).

(٢) «السنن» (٣ / ٢ / ١٧٧).

(٣) في «الكبرى» (ل ١١٦ ـ ب).

(٤) في «السنن» (٢ / ١٣٣).

(٥) زيادة يقتضيها المعنى.

(٦) «الفتح» (٦ / ٥٦).

والمقصود ـ والله أعلم ـ أن الجهاد لا ينقطع انقطاعاً دائماً مستمرّاً، بل لا يزال في الأمَّة طائفةٌ منصورةٌ، تجاهد في سبيل الله أعداء الله، ولكن هٰذا لا يعارِض ما وُجِدَ ويوجَدُ في بعض الأمكنة وبعض الأزمنة من ترك الجهاد، ممَّا أخبر به النبي ـ ﷺ ـ، وحذَّر منه، فوقع في الأمَّة كما أخبر.

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: سمعتُ النبيَّ ـ ﷺ ـ يقول:

«إذا تبـايَعْتُم بالعِينَةِ[1]، وأخذْتُم أذناب البقر، ورضيتُم بالزَّرع، وتركتُم الجهادَ؛ سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزِعُهُ حتى ترجِعوا إلى دينِكم»[2].

---

(١) **العينة**: هي أن يشتري من رجل سلعة بثمن معلوم مؤجل، ثم يبيعها عليه بأقل من الثمن الذي اشتراها به.

انظر: «النهاية» (٣ / ٣٣٣)، «عون المعبود» (٣ / ٢٩١).

(٢) رواه أبـو داود في: ١٧ ـ كتاب البيوع والإجارات، **٥٦** ـ باب في النهي عن العينة، برقم (٣٤٦٢)، (٣ / ٧٤٠)، من طريق سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، ومن طريق جعفر بن مسافر التنِّيسي، حدثنا عبدالله بن يحيى البرلسي؛ كلاهما عن حيوة بن شريح، عن إسحاق أبي عبدالرحمٰن، أن عطاء الخراساني حدثه، أن نافعاً حدثه، عن ابن عمر.

ـ وسليمان بن داود المهري: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٤ / ١٨٦)، «التقريب» (١ / ٣٢٣).

ـ وابن وهب: هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي، مولاهم، ثقة، حافظ.

انظر: «التهذيب» (٦ / ٧١)، «التقريب» (١ / ٤٦٠).

ـ وجعفر بن مسافر التنيسي ـ بكسر التاء وتشديد النون ـ صدوق، ربما أخطأ.

انظر: «التهذيب» (٢ / ١٠٦)، «التقريب» (١ / ١٣٢)، «الكاشف» (١ / ١٣١).

ـ وحيوة بن شريح: هو ابن صفوان بن مالك التجيبي: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٣ / ٦٩٠)، «التقريب» (١ / ٢٠٨).

ـ وإسحاق، أبو عبد الرحمٰن: هو إسحاق بن أَسِيد ـ بفتح الهمزة ـ الأنصاري، وهو =

. . . .

= المذكور باسم أبي عبدالرحمن الخراساني في بعض الأسانيد: قال أبو حاتم: «شيخ ليس بالمشهور، ولا يشتغل به»، وقال الذهبي: «جائز الحديث»، وقال ابن حجر: «فيه ضعف».

انظر: «الجرح والتعديل» (٢ / ٢١٣)، «الميزان» (١ / ١٨٤)، «التهذيب» (١ / ٢٢٧)، «التقريب» (١ / ٥٦).

ـ وعطاء الخراساني: هو ابن أبي مسلم، صدوق، مشهور.

انظر: «التهذيب» (٧ / ٢١٢)، «المغني» (٢ / ٤٣٤)، «التقريب» (٢ / ٢٣)، «الديوان» (ص ٢١٤).

ـ ونافع مولى ابن عمر: ثقة، ثبت.

انظر: «التهذيب» (١٠ / ٤١٢)، «التقريب» (٢ / ٢٩٦).

ـ ومن طريق عبد الله بن يحيى أخرجه ـ أيضاً ـ الدولابي في «الكنى» من كنيته أبو عبدالرحمن (٢ / ٦٥).

ـ والبيهقي في «السنن»: كتاب البيوع، باب ما ورد في كراهية التبايع بالعينة، (٥ / ٣١٦).

ـ وقد **تابع** إسحاق بن أسيد في روايته عن عطاء: الأعمش في «المسند» (٢ / ٢٨)، و «مسند ابن عمر» للطرسوسي (رقم ٢٢) (ص ٦).

والأعمش: ثقة، مدلس، تدليسه محتمل، فالحديث بذلك حسن لغيره.

ـ ورواه أبو نعيم من **وجه ثالث** في: ترجمة ابن عمر، ورقمها (٤٤)، (١ / ٣١٣).

ـ والحديث له **طريق أخرى** عند الإمام أحمد في «المسند»: (٢ / ٨٤)، قال: حدثنا يزيد، أ (خبر) نا أبو جناب يحيى بن أبي حيَّة، عن شهر بن حوشب، سمعتُ عبدالله بن عمر يقول. . . وفيه: «ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم، ثم لا تنزع منكم حتى ترجعون إلى ما كنتم عليه وتتوبون إلى الله».

ـ ويزيد: هو ابن هارون، ثقة، متقن.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٣٦٦)، «التقريب» (٢ / ٣٧٢).

ـ وأبو جناب، يحيى بن أبي حية: هو الكلبي، فيه ضعف، مع كثرة تدليسه، عده =

فقد تترك عامة الأمة الجهاد في سبيل الله، وتخلد إلى الأرض، وتشتغل بالزرع أو غيره من شؤون دنياها، وتلهو به عما أُخرجت له من الجهاد وقتال أعداء الله، فيسلِّط الله عليها الذُّلَّ والهوان.

وحينئذ تكون مهمَّة الطائفة المنصورة: الجهاد في الجانبين الأولين: جانب الدعوة إلى الله وإلى رسوله، ونشر السنة، وحرب البدعة. وجانب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ إضافة إلى قيامها بالواجب في التهيئة للقتال، وحرب أعداء الله بالسلاح، وعملها على إزالة العوائق والعقبات التي تحول دون الجهاد؛ فإنه إذا وجب عليها القتال والحرب لأعداء الدين؛ فقد وجب عليها الاستعداد لهٰذه الحرب بكل وسيلة ممكنة، ووجب عليها السعي لإزالة الموانع الحائلة دون قيامها بالواجب، ما استطاعت إلى ذٰلك سبيلاً.

وبجهود هٰذه الطائفة ترجع الأمة ـ عامَّة ـ إلى الجهاد، وتخوض الغمرات إلى أعدائها، حتى ينصرها الله، ويعيد لها عزَّتَها ومجدَها وكرامَتها.

= ابن حجر في الطبقة الخامسة، وهم من ضعَّفوا بأمر آخر سوى التدليس.

انظر: «التهذيب» (١١ / ٢٠١)، «الكاشف» (٣ / ٢٢٣)، «التقريب» (٢ / ٣٤٦)، «تعريف أهل التقديس» (ص ١٤٦).

ــ وشهر بن حوشب: صدوق، كثير الوهم.

انظر: «التهذيب» (٤ / ٣٦٩)، «التقريب» (١ / ٣٥٥).

ــ وهٰذا الإسناد ضعيف؛ لحال أبي جناب وشهر، ولم يصرِّح فيه أبو جناب بالتحديث.

ــ وله شاهد عن جابر نحوه.

ــ رواه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة بشير بن زياد الخراساني (٢ / ٤٥٥)، وقال: «وهو ـ يعني بشيراً ـ غير مشهور، في حديث بعض النكرة». وقال: «. . . يروي عن المعروفين ما لا يتابعه أحد عليه».

فترك عامة الأمة للجهاد هو وضعٌ مؤقَّتٌ؛ لأننا نجد أن آخر هٰذه الأمَّة، من الطائفة المنصورة، يقاتل المسيح الدَّجَّال.

والجهاد الذي بدأ في عهد الرسول ـ ﷺ ـ لا ينتهي حتى آخر الدهر، قُبيل قيام الساعة، والطائفة التي أكرمها الله بحمل الراية جيلاً بعد جيل، ورعيلاً بعد رعيل، هي الطائفة المنصورة القائمة بأمر الله[1].

٣ ـ أنها المجدِّدة للأمة أمر دينها:

وكون (الطائفة المنصورة) هي التي تتولَّى مهمَّة التجديد لدين هٰذه الأمة، هو جزء من معنى (قيامها بأمر الله)، ويؤكِّد هٰذا تصدِّيها للقيام بفريضة من أعظم الفرائض، وهي الجهاد في سبيل الله.

وإنما أفردتُ الحديث عن هٰذه المسألة؛ للأثر الكبير الذي يُحْدِثُهُ تجديد الدين في واقع الأمة، حيث إن التجديد هو الخط المقابل للغربة، والمجدِّدون هم الذين يدافعون غربة الدين، ويدفعونها، ويُحْيون ما اندرَسَ من الشرائع ـ كما سيجيء ـ.

وهي بذٰلك تعمل على إحياء الدين، وتجديده، ودفع الغربة عنه وعن أهله، وتتضاعف مسؤوليتها وتعظم كلما ازداد الشرُّ والفساد في الأمة، واستفحل، وتضاعف؛ فـ«التجديد إنما يكون بعد الدروس، وذاك هو غربة الإسلام»[2].

---

(١) سيأتي مزيد تفصيل لموضوع «الجهاد» في الرسالة الثالثة من هٰذه السلسلة بإذن الله، وإنما المقصود ـ هنا ـ الإشارة إلى موضوع الجهاد، كخاصية من خصائص الطائفة المنصورة.

(٢) «الفتاوى» (١٨ / ٢٩٧).

وهٰذا أحد المعاني التي تُفْهَم من حديث ثوبان السابق، حيث ذكر صور الفساد العامَّة والخاصَّة، على مستوى الدُّول والجماعات والأفراد، ثم ذكر الطائفة المنصورة المناهضة لهٰذا الفساد، والتي تتضخَّم مسؤوليتها كلَّما تضخَّم الشرُّ الذي تحاربه.

ولذلك؛ لما ذكر أخطر صور الانحراف ـ وهي الرِّدَّة، وعبادة الأصنام، واللحوق بالمشركين ـ؛ عقَّب بذكر الطائفة المنصورة، وهٰذا مطابق لمعنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ﴾[1].

فهٰؤلاء القوم هم الطائفة المنصورة.

وكما وعد رسول الله ـ ﷺ ـ بطائفة منصورة ظاهرة قائمة بأمر الله إلى قيام الساعة، فقد وعد وعداً خاصّاً مندرِجاً في هٰذا الوعد العامِّ، وهو البشارة ببعثة من يجدِّد لهٰذه الأمة أمر دينها.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«إن الله يبعث لهٰذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَن يجدِّد لها دينها»[2].

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) رواه أبو داود في: ٣١ ـ كتاب الملاحم، ١ ـ باب ما يذكر في قرن المئة، برقم (٤٢٩١)، (٤ / ٢٨٠)، قال: حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، ـ فيما أعلم ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ.

وقال أبو داود: «رواه عبدالرحمٰن بن شريح الإسكندراني، لم يجز به شراحيل». =

. . . .

= ـ والحاكم في: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٥٢٢)، من طريق الربيع بن سليمان عن ابن وهب به.

وسكت عنه هو والذهبي، كما في مطبوعة «المستدرك»، ولكن نقل السيوطي في رسالة «التنبئة فيما يبعثه الله على رأس كل مئة» (ل: ٢ / أ)، والمناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢ / ٢٨٢)، نقلا تصحيح الحاكم له، والله أعلم.

ـ والخطيب البغدادي في: «تاريخ بغداد»، في ترجمة محمد بن إدريس الشافعي، ورقمها (٤٥٤)، (٢ / ٦١).

ـ وابن عدي في مقدمة «الكامل» في: ترجمة الشافعي ـ أيضاً ـ (١ / ١٢٣)، من طريق عمرو بن سواد، وحرملة بن يحيى، وأحمد بن عبدالرحمٰن بن وهب.

ـ ومن طريق ابن عدي أخرجه البيهقي في «معرفة السنن والآثار»: (١ / ١٣٧).

ـ ورواه الحسن بن سفيان في «مسنده» عن حرملة بن يحيى، وعن عمرو بن سواد؛ كما في كتاب «توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس» لابن حجر: الفصل الثاني، في بشارة المصطفى ـ ﷺ ـ به ـ يعني: بالشافعي ـ (ص ٤٦).

ـ ومن طريق الحسن أخرجه البيهقي في كتاب «مناقب الشافعي»: باب: ما جاء في إخبار المصطفى ـ ﷺ ـ بأنه يبعث لهٰذه الأمة... إلخ، (١ / ٥٣).

ـ وأخرجه الداني في: «السنن الواردة في الفتن» من طريق أبي داود: باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي...»، (ل: ٤٥ / أ ـ ب).

ـ ورواه ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»: باب ما روي عن النبي ـ ﷺ ـ من بشارته بقدوم أبي موسى... إلخ، (ص ٥١ ـ ٥٢).

ـ وعزاه السيوطي في رسالة «التنبئة» إلى الطبراني في «معجمه الأوسط»، وأبي نعيم، والبزار، (ل: ٢ / أ).

ـ وسليمان بن داود المهري: ثقة.

ـ وابن وهب: هو عبد الله: ثقة، حافظ.

ـ وسعيد بن أبي أيوب: هو سعيد بن مقلاص الخزاعي، مولاهم، أبو يحيى =

. . . .

= المصري، ثقة، ثبت.

انظر: «التهذيب» (٤ / ٧)، «التقريب» (١ / ٢٩٢).

ـ وشراحيل بن يزيد المعافري: صدوق.

انظر: «التهذيب» (٤ / ٣٢٠)، «التقريب» (١ / ٣٤٨).

ـ وأبو علقمة: هو المصري الهاشمي: ثقة.

انظر: «التهذيب» (١٢ / ١٧٣)، «التقريب» (٢ / ٤٥٢).

ـ فهٰذا إسناد حسن: لحال شراحيل بن يزيد المعافري.

ـ وقول أبي داود: «رواه عبدالرحمٰن بن شريح الإسكندراني، لم يجز به شراحيل»؛ يعني: أن عبدالرحمٰن قد أرسل الحديث، فلم يذكر في إسناده أبا علقمة، ولا أبا هريرة.

ـ وعبدالرحمٰن بن شريح: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٦ / ١٩٣)، «التقريب» (١ / ٤٨٤).

ـ ولٰكن رواية سعيد بن أبي أيوب المتصلة هي الراجحة؛ لرجحان سعيد بن أبي أيوب على عبدالرحمٰن بن شريح في الثقة والعدالة، وإن كانا جميعاً ثقتين، مع أن الرفع زيادة ثقة، فهي مقبولة، ولم يعارضها ما هو أقوى منها أو مثلها.

ـ وقوله الراوي: «فيما أعلم عن النبي ـ ﷺ ـ»: هو نوع من التثبُّت والتحرِّي في الحديث عن النبي ـ ﷺ ـ، فالذي يعلمه هو رفع الحديث، وهٰذا كاف في ثبوت رفعه.

وعلى فرض وقفه على أبي هريرة، فهو مما لا يقال بالرأي، إذ هو إخبار عن أمر غيبيٍّ لا يعلمه إلا الله.

ـ والحديث صحَّحه الأئمة؛ كابن حجر في «توالي التأسيس» (ص ٤٩)، والزين العراقي كما في رسالة «التنبئة» للسيوطي (ل: ٢ / أ)، و «مرقاة الصعود» له (ل: ١٨٩ / ب)، وغيرهما، وحكى السيوطي الاتفاق على ذٰلك، فقال: «اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح» «التنبئة» (ل: ٢ / أ)، وغيرهم كثير.

ـ وقد رُوِي الحديث بألفاظ أخرى معلَّقاً عن عدد من الأئمة:

ـ فرواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ»، عن سفيان بن عيينة (ل: ٨٥ / ب)، =

ولفظ (مَن) في الحديث يُطلق على الفرد، وعلى الجماعة، فيحتمل المعنى أن يكون المبعوث فرداً، ويحتمل أن يكون جماعة أو طائفة، فإن كان المجدِّد فرداً؛ فلا بدَّ أنه من الطائفة المنصورة، وهٰذا مما لا يحتاج إلى بيان، وإن كانت مهمة التجديد موكولة إلى فئة؛ فهي الطائفة المنصورة ـ بلا ريب ـ، وذٰلك لأن خصائص هٰذه الطائفة هي الخصائص التي يُحتاج إليها في تجديد الدين لهٰذه الأمة.

وهٰذا ـ أي: التجديد ـ قد يكون بفرد، وقد يكون بطائفة، وكونه بطائفة أغلب هو ما رجحه الحافظ ابن حجر، حيث قال:

«لا يلزم أن يكون في رأس كل مئة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متَّجه؛ فإن اجتماع الصفات المُحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد؛ إلا أن يدَّعى ذٰلك في عمر بن عبدالعزيز؛ فإنه كان القائم بالأمر على رأس المئة الأولى؛ باتِّصافه بجميع صفات الخير، وتقدُّمه فيها، ومن ثَمَّ أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه.

وأما مَن جاء بعده؛ فالشافعي، وإن كان متَّصفاً بالصفات الجميلة؛ إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل.

فعلى هٰذا؛ كل مَن كان متَّصفاً بشيء مِن ذٰلك عند رأس المئة هو المراد،

= ورواه البيهقي في «المعرفة» (١ / ١٣٧)، وابن عساكر في «التاريخ»؛ كما في «التنبئة» (ل: ٢ / ب)، والبزار، والفريابي، والهروي؛ كما في «توالي التأسيس» (ل: ٤٧ ـ ٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩ / ٩٧) عن الإمام أحمد.

سواء تعدَّد أم لا»[1].

وثَمَّتَ أقـوال لعـدد من الأئمـة تلتقي حول هٰذا الرأي[2]؛ كرأي الإمام الذهبي الذي نقله المُناوي في «فيض القدير»[2]، ورأي ابن الأثير الجزري[3]، ورأي ابن كثير[4]، ورأي الشيخ محمد يحيى الذي نقله السهارنفوري[5].

ومن البدهي أن المجدِّد لهٰذا الدين ـ لو كان فرداً ـ لا يخرج من فراغ، ولا يستطيع بمفرده ـ بحال من الأحوال ـ أن يجدِّد الدين ـ كل الدين ـ للأمة ـ كل الأمة ـ.

إن من الواضح أن مثل هٰذا العمل التاريخي الجبَّار لا يضطلع بمباشرة كل جوانبه فردٌ واحدٌ، بل يحتاج إلى طائفة تتولَّى التَّجديد في كل جوانب الحياة الإسـلامية، فيكـون منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدِّثون، ومنهم زُهَّاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرِّقين في أقطار الأرض»[6].

ولكن ـ مع هٰذا ـ يمكن أن نتصور الطائفة المنصورة ـ وهي تؤدِّي واجبها

---

(١) «فتح الباري» (١٣ / ٢٩٥)، وانظر: «توالي التأسيس» (ص ٤٩)، ففيه كلام قريب مما في «الفتح».

(٢) «فيض القدير» (١ / ١١).

(٣) «جامع الأصول» (١١ / ٣٢٠ ـ ٣٢٤).

(٤) في «البداية والنهاية» (٦ / ٨٩).

(٥) في «بذل المجهود» (١٧ / ٢٠٢).

(٦) «شرح النووي على مسلم» (١٣ / ٦٦).

المقدَّس في الدفاع عن الدين، وحماية الحوزة، وحفظ السنة ـ قد صارت عبارة عن فئات متعدِّدة، لا يربط بينها رابط، ولا يحفظ تماسكها اجتماع، وربما تسرَّب إليها داء الاختلاف والتلاوم، ورضيت كل فئة منها بالجانب الذي تصدَّت له؛ من تعليم، أو دعوة، أو أمر، أو نهي، أو قتال، أو غير ذٰلك، فيبعث الله لها رأساً ـ أو رؤوساً ـ تجمع كلمتها، وتوحِّد صفها، وتنسِّق جهودها، وتقيم ما اعوَجَّ من أمرِها.

ولو نظرنا إلى مَن عدَّهم بعض العلماء مجدِّدين؛ كالشافعي، وأحمد، وابن تيمية، وغيرهم؛ لوجدنا هٰذا كان شأنَهم.

فبأي الرأيين أخذنا ـ كون المجدّد فرداً أو طائفة ـ؛ فإن من غير الممكن أن نتصور الطائفة المنصورة الظاهرة القائمة بأمر الله، بمعزل عن هٰذا العمل العظيم.

٤ ـ أنها ظاهرة إلى قيام الساعة:

وقد وصفت الأحاديث هٰذه الطائفة بكونهم: «لا يزالون ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[١].

وبكونهم «ظاهرين على الحق»[٢]، أو «على الحق ظاهرين»[٣].

أو «ظاهرين إلى يوم القيامة»[٤].

---

(١) كما في حديث المغيرة.

(٢) كما في حديث ثوبان، وسعد، وعمر، ومرسل محمد بن كعب.

(٣) كما في حديث زيد بن أرقم، وعمران بن حصين.

(٤) كما في حديث جابر بن عبدالله.

أو «على الدين ظاهرين»[1].

أو «ظاهرين على مَن ناوأهم»[2].

وسأتناول ـ هنا ـ معنى اختصاصها بالظهور، وبعض الجوانب المتعلِّقة بزمانه، ثم أتناول بقية الجوانب الزمانية والجوانب المكانية في فقرة مستقلة.

إن الظهور يشمل ـ فيما يبدو ـ عدة معان:

الأول: بمعنى الوضوح والبيان، وعدم الاستتار[3]، فهم معروفون بارزون مستعلون.

وهٰذا ـ في الجملة ـ وصفٌ صحيحٌ لهٰذه الطائفة؛ لأن تصدِّيها للدعوة، والأمر، والنهي، والجهاد، وإقامة الحجة؛ يعني أنها ظاهرة، مشهورة، معروفة المنهجْ، واضحة الاتجاه، لها قياداتها البارزة المعروفة، ولها مؤسساتها وأجهزتها ووسائلها المعلومة، وقيام هٰذه الطائفة بواجب البلاغ، والدعوة، وحرب المنكر، وقتال الأعداء، يقتضي أن تكون ظاهرة غير مستترة، حريصة على تبليغ صوت الحق لكل مسلم، بل ولكل إنسان.

وإن كان هٰذا لا يمنع أن يستخفي بعض أفرادها بإسلامهم، أو بدعوتهم؛ لملابسات خاصة في مكان معيَّن، وزمان معيَّن[4]، فالعبرة بالطائفة جملة، لا ببعض أجزائها، أو بعض أفرادها، والعبرة بالحال العام المستمر الثابت، لا

---

(١) كما في حديث أبي أمامة.

(٢) كما في حديث مرة بن كعب.

(٣) انظر: «فتح الباري» (١٣ / ٢٩٤).

(٤) كما سبق في الاستسرار بالدين في مظاهر الغربة، في الرسالة الأولى من هٰذه السلسلة، وكما سيأتي في فصل التقية والاستسرار بالدين في رسالة قادمة.

بالحال المؤقّت الطارىء.

وهٰذه الدِّلالة تؤخذ من مجمل أوصاف الطائفة الواردة في الأحاديث ـ كما تقدم ـ؛ من قيامهم بأمر الله، وكونهم يقاتلون على الحق. . . وما أشبه ذٰلك مما يستلزم الوضوح والبيان.

الثاني: ثباتهم على ما هم عليه من الحق، والدين، والاستقامة، والقيام بأمر الله، وجهاد أعدائه، بحيث لا يثنيهم عن ذٰلك شيء من العقبات والعوائق والمثبِّطات، فهم ـ كما قال الله تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلى المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلى الكَافِرينَ يُجَاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ ولا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذٰلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾(١).

وثبات هٰذه الطائفة على دينها، وتمكُّنه من نفوس أفرادها؛ على رغم استحكام الغربة، وكثرة المخالف، وقلة الموافق، واختلاط الأمر، وكثرة الأدعياء، هو من أعظم صور الظهور، والقوة العقدية، والانتصار على دواعي الهوى، ومغالبة الصوارف المادية والمعنوية.

ولذٰلك قال تعالى: **﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والَّذينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدُّنْيا ويَوْمَ يَقُومُ الأشْهادُ﴾**(٢).

ومع تولِّيه ـ سبحانه ـ لنصر أوليائه المؤمنين، من الرسل وأتباعهم؛ فإننا نجد منهم مَن قتل، ومنهم من ظهر عليه أهل الباطل ظهوراً ماديّاً مؤقّتاً؛ كما حدث لأصحاب الأخدود وغيرهم.

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) غافر: ٥١.

إذاً؛ فالنصر ليس صورة واحدة تتحقَّق في ميدان الحرب والقتال، بل هو صور كثيرة؛ منها أن يمنح الله أولياءه من الصبر على الدِّين والعقيدة، وإن أزهقت الأرواح، وإن عُذِّبت الأجساد، وإن أوذي الأهل، وإن شُرِّد الأولاد.

هٰذا مع يقين المؤمن بأن العاقبة للمتَّقين في الدنيا والآخرة، والدهر دُولٌ، وإن أشكل على بعض المتعجِّلين حال المؤمنين في حيز محدود من المكان، وفي لحظة محدودة من الزمان، و﴿**تِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاسِ**﴾[1].

ويدخل في هٰذا المعنى: غلبتُهم بالحجة والبيان، وسيطرة منطقهم على العقول والقلوب؛ لما يعتمد عليه من الحق الصريح المقتَبَس من الكتاب والسنة، وهٰذا يدعو إلى اتِّباعهم وموافقتهم، فالحق غلاَّبٌ، والباطل خلاَّبٌ.

ولذٰلك نجد بعض أعداء هٰذه الطائفة ومناوئيها يُذْعِن للحق الذي تحمل، ويتخلَّى عما هو عليه من البدعة والضلال، وهٰذا من أعظم أسباب قهر الأعداء، وشعورهم بالهزيمة أمام سطوة الحق وحجَّته.

وفي هٰذا يقول صاحب «عون المعبود»:

«ظاهرين؛ أي: غالبين على أهل الباطل، ولو حجَّة»[2].

وكلما كانت هٰذه الطائفة أوسع علماً، وأعظم فهماً للوحي، وأكثر إدراكاً لثقافة عصرها، وأقدر على التعبير عن منهجها؛ كانت حجَّتها أغلب، وطريقتها أصوب.

---

(١) آل عمران: ١٤٠.

وانظر: «تفسير الطبري» (٢٤ / ٧٤ - ٧٥)، «تفسير ابن كثير» (٤ / ٨٣)، وكتاب «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٥ / ٣٠٨٥).

(٢) «عون المعبود» لشمس الحق العظيم آبادي (٤ / ١٥٨).

المعنى الثالث: الظهور بمعنى الغلبة، وإلى هٰذا المعنى مال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله[١] ـ، ورجَّحه على المعنى الأول.

وقد دلَّت النصوص على هٰذا المعنى أوضح دِلالة.

فقد وصفوا في الأحاديث بكونهم (ظاهرين)، ولا شك أن الظهور يأتي كثيراً بمعنى الغلبة والتمكُّن والعلو والظَّفَر؛ كما في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّه﴾[٢].

وكما في قوله: **﴿فأَيَّدْنَا الَّذينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فأَصْبَحوا ظَاهِرينَ﴾**[٣].

وقوله: **﴿حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وهُمْ كَارِهُونَ﴾**[٤].

وقوله: **﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُموكُمْ أَوْ يُعيدُوكُمْ في مِلَّتِهِمْ﴾**[٥]

إلى غير ذٰلك من الآيات...

وقد أكَّد إرادة هٰذا المعنى مجيءُ رواياتٍ أُخرى تكاد أن تكون صريحةً في ذٰلك؛ كقوله: «قاهرين لعدوهم»[٦].

وقوله: «ظاهرين على مَن ناوأهُم»[٧].

وقوله: «منصورين»[٨].

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٣ / ٢٩٤).

(٢) التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩.

(٣) الصف: ١٤. (٤) التوبة: ٤٨. (٥) الكهف: ٢٠.

(٦) كما في حديث عقبه بن عامر.

(٧) كما في حديث عمران بن حصين ومرة بن كعب.

(٨) كما في حديث قرة بن إياس.

وقوله: «لعدوِّهم قاهرين»[1].

ولا شك أن هٰذا وعدٌ ربَّانيٌّ على لسان محمد ـ ﷺ ـ، وليس يشكُّ مسلمٌ في ثبوته وتحقُّقه ووقوعه، خاصة وأن أصل الحديث ثابتٌ متواترٌ ـ كما سبق ـ، وهو يشمل الغلبة والقهر بالحجة، ويشمل الغلبة الماديَّة، والنصر في القتال.

ويجوز أن تكون معاني الظهور السابقة ـ كلها ـ واردة وصحيحة، فتكون الطائفة المنصورة ظاهرة مُعلَنَة غير مستترة، وظاهرة على الدِّين بالثَّبات عليه والتمكُّن منه، وظاهرة على عدوِّها بالحجَّة والبيان وبالقوَّة والسِّنان.

وهٰذا يعطي للحديث أُفُقاً أوسع مما لو قُصِر على بعض تلك المعاني دون بعض.

وقد يستغرب بعضُ الناس مثل هٰذا الوعد بنصر تلك الطائفة، وتمكينِها، وظُهورها على أعدائها، وقهرِها لهم، ويعجَب حين يرى المسلمين كافَّة في الواقع المشاهَد القائم، وفي فترات عديدة ـ عبر التاريخ ـ قد تعرَّضوا للغزو من قِبل أعدائهم، وسُلِّطوا عليهم، وقهروهم؛ كما حدث أيام التَّتر، وأيام الصَّليبيِّين، وأواخر أيام العثمانيين، وكما يحدث الآن للمسلمين في كل مكان من الأرض من تسلُّط الأعداء عليهم بالقتل والاستضعاف والتشريد والإذلال.

ولمعرفة مدى التطابق بين الحديث وبين الواقع والتاريخ، يُلحظ ما يلي:

أولاً: أن الحديث إخبارٌ عن أصلٍ عامٍّ ثابتٍ، لا ينتهي إلا بقبض أرواح المؤمنين قُبيل قيام الساعة، ولا يعارض هٰذا الأصل أن يضعف المسلمون في زمانٍ معيَّنٍ، أو مكانٍ معيَّنٍ، فيسلَّطَ عليهم عدوُّهُم؛ لأن هٰذا أصلٌ آخر يقابل الأصل الأوَّل، وهو أن المسلمين إذا تركوا الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي

(١) كما في حديث أبي أمامة.

عن المنكر؛ سَلَّطَ الله عليهم الذُّلّ[1].

ولكن ترك المسلمين للجهاد، واشتغالهم بالدُّنيا، ومن ثم تسليط الذلّ عليهم، وإن وقع؛ إلا أنه لا يمكن أن يستمرَّ ويدوم، وهٰذا مقتضى ما وعدَ اللهُ ورسوله، وصدق الله ورسوله.

ومن الخطإ أن ينظر المرءُ إلى فترة محدَّدة من الزمان، ثم يستشكل تطبيق الحديث عليها، بل عليه أن يمدَّ نظره إلى الماضي، وإلى المستقبل.

فأما النظر إلى الماضي؛ فيفيد أن الفترات التي ظهر الكفار فيها على المسلمين كانت محدودة مؤقَّتة، وسرعان ما تهبُّ الطائفة المنصورة؛ لترفع الذُّلَّ الذي حاق بالمسلمين، وتُلْحِقَ بالأعداء الهزيمة والنَّكال.

ومهمة الطائفة المنصورة ـ كما قدَّمتُ ـ هي استمرار القيام بالجهاد، وإن تخلَّت عنه عامَّة الأمة، فإن كان ثمَّت عقبات وموانع تحول دونه؛ كانت مهمَّتُها العملَ على تهيئةِ الأسباب؛ لإعلان الجهاد، وإزالة العقبات، وتذليلها.

وأما النظر للمستقبل؛ فيؤكِّد أنَّ لهٰذا الدين جولات قادمة منتصرة، وأن حالة الاستضعاف والذِّلَّة التي يعانيها المسلمون اليوم لا يمكن أن تدوم.

وإنّ مِن سنَّة الله مداولة الأيام بين الناس، وابتلاء بعضهم ببعض، ومَن يدري ما الذي سيحدث في مقبلات الأيام؟

إنه لمن القريب المعقول أن يكون اجتماع اليهود ـ مثلاً ـ في فلسطين، وعتوُّهم، وفسادُهم، وتوسُّعُهم، وتواطؤ القوى العالمية والدول الدائرة في فلكها معهم؛ إنما هو تحضيرٌ وتمهيدٌ للوعد النبويِّ القاطع بقتال اليهود وقتلهم.

---

(١) كما في حديث ابن عمر السابق: «إذا تبايعتم بالعينة...».

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«تقاتِلُكُم اليهود، فَتُسَلَّطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم! هٰذا يهوديٌّ ورائي فاقْتُلْهُ»(١).

---

(١) رواه البخاري في: **٥٦** ـ كتاب الجهاد، **٩٤** ـ باب قتال اليهود، **(٣ / ٢٣٢)**.

وفي: **٦١** ـ كتاب المناقب، **٢٥** ـ باب علامات النبوة في الإسلام، **(٤ / ١٧٥)** بهٰذا اللفظ.

ـ ومسلم في: **٥٢** ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة، **١٨** ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، برقم (٨١)، وأيضاً (٧٩ و٨٠)، **(٤ / ٢٢٣٨)**.

ـ والترمذي في: **٣٤** ـ كتاب الفتن، **٥٦** ـ باب ما جاء في علامة الدجال، برقم **(٢٢٣٦)**، **(٤ / ٥٠٨)**، وقال: «هٰذا حديث حسن صحيح».

ـ وأحمد في «المسند» **(٢ / ١٣٠ و١٣٥ و١٤٩)**.

ـ وأبو عمرو الداني في «السنن»، باب ما جاء في قتال هٰذه الأمة أهل الأديان المختلفة، (ل: ٦٦ / أ).

ـ وله شواهد عدة:

أولاً: عن أبي هريرة بمعناه.

ـ رواه البخاري في: **٥٦** ـ كتاب الجهاد، **٩٤** ـ باب قتال اليهود، **(٣ / ٢٣٢)**.

ـ ومسلم في: **٥٢** ـ كتاب الفتن، **١٨** ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، برقم (٨٢)، **(٤ / ٢٢٣٩)**.

ـ وأحمد: **(٢ / ٤١٧)**.

ـ وأبو عمرو الداني في «السنن» (ل: ٦٥ / ب).

ثانياً: عن أبي أمامة ـ ضمن حديث طويل ـ:

ـ رواه ابن ماجه في: **٣٦** ـ كتاب الفتن، **٣٣** ـ باب فتنة الدجال، برقم **(٤٠٧٥)**، **(٢ / ١٣٥٦)**. =

ثانياً: أن الظهور على العدو، وقهره، والانتصار عليه، أمرٌ نسبيٌّ، وليس يعني ـ بالضرورة ـ الغلبة المطلقة عليه، بل إن الحيلولة بينه وبين كثير مما يريد، وإحباط مخطَّطاته، أو بعضها، والامتناع عنه، وإلحاق الضرر به، هي من أنواع الغَلَبة عليه، ولا شكَّ أن هٰذا متحقِّق على الدَّوام، فلم تخلُ الأمَّة من هٰذه الطائفة المدافِعة في ميدان الفكر والعلم، وفي ميدان الإصلاح الاجتماعي، وفي ميدان الحكم والتشريع، بل وفي ميدان الحرب والقتال في كثير من الأحيان.

وإلا؛ فمن المعلوم أن الأنبياء جميعاً ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأتباعهم عبر القرون كانوا يجهدون، ويحزنون، وتصيبهم اللأواء، ويتعرَّضون للهزيمة، وقد يظهر عليهم العدوُّ في بعض الفترات؛ كما في حديث خبَّاب ـ رضي الله عنه ـ، وهو قول الرسول ـ ﷺ ـ:

«لقد كانَ مَن قبلَكُم يُمَشَّطُ بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذٰلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين، ما يصرفه ذٰلك عن دينه»[1].

ثالثاً: عن سمرة بن جندب ضمن حديث طويل.

ـ رواه أحمد في «المسند» (٥ / ١٦).

ـ وقال ابن حجر: «بإسناد حسن»، «الفتح» (٦ / ٦١٠).

رابعاً: عن حذيفة:

ـ رواه ابن منده في كتاب «الإيمان»: ١٠٣ ـ ذكر وجوب الإيمان بخروج الدجال، برقم (١٠٣٣)، (٢ / ٩٣٩).

ـ وقال ابن حجر: «بإسناد صحيح». «الفتح» (٦ / ٦١٠).

(١) سبق تخريجه في الرسالة الأولى من هٰذه السلسلة، الفصل الثاني، موضوع: الاضطهاد والتعذيب.

وهٰذه الطائفة الموعودة بالنصر تقدَّم في الروايات أنها تلقى التكذيب[1]، والمخـالفـة[2]، والمنـاوأة[3]، والخـذلان[4]، والـلأواء[5]، وهي كالإنـاء بين الأكلة[6]، وهي ـ كغيرهـا ـ تتعرَّض ـ في واقعها التفصيلي ـ للنصر والهزيمة، والضعف والقوة، والوحدة والفرقة، وتواجه في جهادها كما يواجه غيرها، ولكن العاقبة لها.

ثالثاً: أنه ينبغي تصوُّر مفهوم (العدو) بصورة أوسع، إذ يدخل في عداوة هٰذه الـطائفـة أصنـاف كثيرة من النـاس، ففي أعدائها: اليهود، والنصارى، والمشـركون، والمنافقون، وهٰؤلاء، وإن كانوا أعداء للمسلمين كافة؛ إلا أن عداوتهم لهٰـذه الـطائفة أشد وأعظم؛ لأنها ـ بحكم خصائصها ـ تمثِّل الثبات واليقظة في الأمة، ومن ثم تحول بين الأعداء وبين تحقيق أغراضهم في المسلمين.

وفي أعـدائها أيضاً: الفرق الضالَّة المنتسبة إلى أهل القبلة، وهم جمٌّ غفيرٌ، فهي كالإناء بين الأكَلَة.

وإزاء هٰذه العداوات الكثيرة، والجبهات المتعددة، يظهر جليّاً أن هٰذه

---

(١) كما في حديث معاوية: «لا يضرُّهم من كذَّبهم».

(٢) كما في حديث معاوية وعبد الرحمٰن بن شماسة المهري وأبي هريرة وأبي أمامة، وفيها: «لا يضرهم من خالفهم»، وفي مرسل محمد بن كعب: «لا يبالون من خالفهم».

(٣) كما في حديث عمران بن حصين، ومرة بن كعب البهزي، وفيهما: «ظاهرين على مَن ناوأهم».

(٤) كما في حديث ثوبان، وقرة بن إياس، وفيهما: «لا يضرهم من خذلهم».

(٥) كما في حديث أبي أمامة: «لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء».

(٦) كما في حديث مرة بن كعب البهزي.

الطائفة تُدالُ على بعض أعدائها، وتنال منهم، بل وتقهرهم، فهي ظاهرة على كثير من أهل البدع والضلال، وعلى كثير من أهل الردَّة والكفر، فلها قدرٌ كبير من النصر في أكثر من ميدان، وبأكثر من معنى، ولا يلزم أن يكون لها النصر كله، بكل المعاني، وفي كل الميادين.

وهٰذا الظهور مستمرٌ إلى غاية محدودة، هي قيام الساعة، وهي إتيان أمر الله، وهي يوم القيامة، وهي نزول عيسى بن مريم، وخروج الدجَّال، وقتاله، وسيأتي الجمع بين هٰذه الألفاظ(1).

٥ ـ أنها صابرةٌ مُصابِرة:

وإذا كان الرسول ـ ﷺ ـ سمى الأيام التي وراء أصحابه «أيام الصبر»؛ فإن أهلها هم الصابرون.

ومَن أحق بهٰذا الوصف من تلك الطائفة؟!

عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ـ ﷺ ـ قال:

«إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قَبْضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله».

وزادني غيره(2)؛ قال: يا رسول الله! أجر خمسين منهم؟

قال: «أجر خمسين منكم»(3).

---

(1) في موضوع: مكان الطائفة المنصورة وزمانها.

(2) القائل: «وزادني غيره» هو عبد الله بن المبارك؛ يعني: شيخه؛ كما في الترمذي: «قال عبدالله بن المبارك: وزادني غير عتبة» (٥ / ٢٥٨).

(3) رواه أبو داود في: ٣١ ـ كتاب الملاحم، ١٧ ـ باب الأمر والنهي، رقم =

. . . .

= (٤٣٤١)، (٤ / ٥١٢).

والترمذي في: ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن، ٦ ـ باب، ومن سورة المائدة، برقم (٣٠٥٨)، (٥ / ٢٥٧)، وقال: «هٰذا حديث حسن غريب».

ـ وابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ٢١ ـ باب قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم**﴾ برقم (٤٠١٤)، (٢ / ١٣٣٠) بدون الزيادة.

ـ والطبري في «التفسير»، سورة المائدة، آية ١٠٥، (٧ / ٩٧).

ـ وابن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عنها»: باب في نقض عرى الإسلام، (ص ٧١).

وباب فيما يدال الناس بعضهم من بعض. . . (ص ٧٦).

ـ والبخاري في «التاريخ»: في ترجمة أبي أمية الشعباني، ورقمها (٣٥٨٣)، (٨ / ٤٢٦).

ـ وابن أبي عاصم في «الزهد»: برقم (٢٦٦)، (ص ١٠٦).

ـ والطحاوي في «المشكل»، باب: بيان مشكل ما روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ من المراد بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم**. . .﴾ (٢ / ٦٤).

ـ وابن نصر المروزي في «السنة» (ص ٩).

ـ وابن حبان؛ كما في «الموارد»: ٣١ ـ كتاب الفتن، ١٠ ـ باب فيمن بقي في حثالة. . . كيف يفعل؟ برقم (١٨٥٠)، (ص ٤٥٧)، وهو في «الإحسان» برقم (٣٧٧)، (١ / ٣٦٤).

ـ وأبو نعيم في «الحلية»: في ترجمة أبي ثعلبة الخشني، ورقمها (١٢٨)، (٢ / ٣٠).

ـ والحاكم في: كتاب الرقاق، (٤ / ٣٢٢)، وقال: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ـ والبيهقي في «الاعتقاد»: باب معرفة جمل ما كلف المؤمنون أن يعقلوه، (ص ١٢٦). =

وعن عُتبة بن غزوان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«إن من ورائكم أيام الصبـر، للمتمسِّك فيهنَّ يومئذ بما أنتُم عليه أجر خمسين منكم».

قالوا: يا نبي الله! أو منهم؟

قال: «بل منكم»[1].

= ـ وأبـو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»: باب ما جاء في سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند فساد الناس، (ل: ٢٦ / ب و٢٧ / أ ـ ب).

ـ والبغوي في «التفسير»: سورة المائدة، آية ١٠٥، (٢ / ٧٢).

ـ وفي «شرح السنة»: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤١٥٦)، (١٤ / ٣٤٧).

ـ كلهم من طريق عتبة بن أبي حكيم، عن عمرو بن جارية اللخمي، عن أبي أمية الشعباني، عن أبي ثعلبة.

ـ وعتبة بن أبي حكيم: ضعفه غير واحد، وقال أبو حاتم: «صالح، لا بأس به»، وقال الذهبي: «وهو متوسط حسن الحديث».

«الجرح والتعديل» (٦ / ٣٧٠)، «التهذيب» (٧ / ٩٤)، «الميزان» (٣ / ٢٨).

ـ وعمرو بن جارية اللخمي: ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن حجر: «مقبول». «الثقات» (٧ / ٢١٨)، «التهذيب» (٨ / ١١)، «التقريب» (٢ / ٦٦).

ـ وأبو أمية الشعباني، هو يُحْمِد ـ بضم الباء وكسر الميم ـ بن يخامر، ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الذهبي: «ثقة، وهو ممَّن أدرك الجاهلية».

«الثقات» (٥ / ٥٥٨)، «التهذيب» (١٢ / ١٥)، «الكاشف» (٣ / ٢٧٢).

ـ فهٰذا الإسناد ضعيف لضعف عمرو بن جارية اللخمي.

ـ ولكن له شاهداً يرتقي به إلى درجة الحسن، وهو حديث عتبة بن غزوان ـ رضي الله عنه ـ الآتي.

(١) رواه ابن نصر المروزي في «السنة» (ص ٩)، قال: حدثني محمد بن إدريس، =

. . . .

= حدثنا عبدالله بن يوسف التنيسي، حدثنا خالد بن يزيد بن صبيح المري، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عتبة بن غزوان.

ـ ومحمد بن إدريس: هو أبو حاتم الرازي، الإمام الناقد المعروف.

ـ وعبد الله بن يوسف التنيسي: ثقة، متقن.

ـ وخالد بن يزيد: هو ابن صالح بن صبيح بن الخشخاش المري: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٣ / ١٢٦)، «التقريب» (١ / ٢٢٠).

ـ وإبراهيم بن أبي عبلة: ثقة.

انظر: «التهذيب» (١ / ١٤٢)، «التقريب» (١ / ٣٩).

ـ فالإسناد رجاله ثقات، ولكنه مرسل، حيث إن رواية إبراهيم بن أبي عبلة عن عتبة بن غزوان مرسلة؛ كما في «التهذيب» (١ / ١٤٢).

ـ وهو يرتقي بالحديث الذي قبله إلى رتبة الاحتجاج.

ـ وقد جاء الحديث بسند لا يصلح للاستشهاد به عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً». فقال عمر: يا رسول الله! منا أو منهم؟ قال: «منكم».

ـ رواه الطبراني من طريق أحمد بن محمد بن صدقة، ومحمد بن العباس الأخرم الأصبهاني، قالا: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، حدثنا سهل بن عثمان البجلي، حدثنا عبدالله بن نمير، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبدالله بن مسعود.

«المعجم الكبير»: ما أسند عبدالله بن مسعود، برقم (١٠٣٩٤)، (١٠ / ٢٢٥).

ـ ورواه البزار من طريق أحمد بن عثمان بن حكيم، وزاد: «والصبر فيهن كقبض على الجمر»، وقال: «لا نعلمه يروى عن عبدالله إلا من هذا الوجه».

«كشف الأستار»: كتاب الفتن، باب شدة الزمان، برقم (٣٣٧٠)، (٤ / ١٣١).

وذكره الهيثمي في «المجمع»، وقال: «. . . ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي، وثقه ابن حبان» (٧ / ٢٨٢).

ـ وأحمد بن عثمان بن حكيم: ثقة. =

والصبر ـ هنا ـ هو التمسُّك بما كان عليه الصحابة ـ كما في الرواية الأخرى للحديث ـ، حيث وصف أيام الصبر بقوله:

«للمتمسِّك فيهنَّ يومئذٍ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم»[1].

وهو ينطبق مع ما سبق من وصف الفرقة الناجية بأنها: «مَن كان على ما

= انظر: «التهذيب» (١ / ٦٠)، «التقريب» (١ / ٢١).

ــ وسهل بن عثمان البجلي، صوابه: سهل بن عامر البجلي؛ كما هو عند البزار، وبقية المصادر: قال أبو حاتم: «هو ضعيف الحديث، روى أحاديث بواطيل، أدركته بالكوفة، وكان يفتعل الحديث»، وقال البخاري: «منكر الحديث، لا يكتب حديثه»، وقال ابن عدي: «وأرجو أن لا يستحق، ولا يستوجب تصريح كذبه».

«التاريخ الصغير» (٢ / ٣٣٦)، «الجرح والتعديل» (٤ / ٢٠٢)، «الكامل» (٣ / ١٢٧٩)، «اللسان» (٣ / ١١٩).

ــ وعبد الله بن نمير والأعمش: ثقتان.

ــ وزيد بن وهب: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٣ / ٤٢٧)، «التقريب» (١ / ٢٧٧).

ــ فالحديث ـ بهٰذا الإسناد ـ ضعيف جدّاً، لما علم من حال سهل بن عامر البجلي.

هٰذا الذي ظهر لي، والعجب من حال الشيخ الهيثمي كيف غفل عما في «الميزان» (٢ / ٢٣٩)، واكتفى بنقل توثيق ابن حبان!

ــ وقد ذكر الحديث الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة ضمن رقم (٤٩٤)، وقال: «هٰذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، رجال مسلم!» «الصحيحة» (١ / ٥ / ٢٦٨).

ــ وذٰلك لأنه ساق إسناد الطبراني، وفيه: سهل بن عثمان البجلي، وهناك راو اسمه سهل بن عثمان بن فارس الكندي، أبو مسعود العسكري، وهو من رجال مسلم!

(١) جاء هٰذا في حديث عتبة بن غزوان، الذي سيق شاهداً لحديث أبي ثعلبة، وهو مرسل صحيح، يعتضد بالموصول الضعيف، كما تقدم.

كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه».

فهـو الصبـر على الـدين؛ بمعنى: الثبات عليه، والملازمة له، وعدم التنـازل عن شيء منه ـ مهما دقَّ ـ، وتجنُّب طاعة الكافرين والمنافقين الذين يجهدون في صرف المسلم المجاهد عن شيء من دينه.

وهٰـذا الصبر هو الذي حثَّ الله عليه رسوله ـ ﷺ ـ حين أمره أن يعلن للكافرين البراءة من دينهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّها الكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدونَ . ولا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . ولاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . ولا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين﴾(١).

وهٰذه السورة هي سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون؛ فإن العابد لا بدَّ له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول ـ ﷺ ـ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله(٢).

وحذَّر ـ سبحانه ـ نبيَّه من طاعة الكافرين في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ ولاَ تُطِعِ الكَافِرينَ والمُنافِقينَ﴾(٣).

وقوله: ﴿فَلا تُطِعِ الكَافِرينَ وجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبيراً﴾(٤).

وقوله: ﴿فَلا تُطِعِ المُكَذِّبينَ . وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(٥).

---

(١) الكافرون: ١ ـ ٦.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤ / ٥٦٠).

(٣) الأحزاب: ١.

(٤) الإسراء: ٥٢.

(٥) القلم: ٨ ـ ٩.

كمـا حذَّر سائر المؤمنين من ذلك، وبيَّن سوء عاقبته، فقال: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذينَ كَفَروا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبوا خاسِرينَ﴾(١).

وقـال بالنسبـة للرسول ـ ﷺ ـ: ﴿وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وإِذاً لاتَّخَذوكَ خَليلاً . ولَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَليلاً . إِذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ وضِعْفَ المَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصيراً﴾(٢).

ولا بد ـ أيضاً ـ من الصبر باحتمال الأذى الذي يلقاه المجاهد في سبيل الله، بحيث لا يخـرِجُـه أذى الكافرين والمنافقين والفاسقين والمخالفين عن سمتِه وطريقهِ المستقيم، ولا يستفزُّه أو يستخفُّه للانتقام والانتصار الأهوج الذي يخرج به وبدعوته عن منهجها الواضح الهادىء الرزين.

ولـذلـك قرن الله هذا بهـذا في قولـه: ﴿فاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذينَ لا يُوقِنُونَ﴾(٣).

إن التَّحديات التي يواجهها المسلم من أعدائه قد تضعِفُ يقينه وإيمانه وحماسه لهذا الدين، وقد تُحْدِث عنده استجابة عكسيَّة، فتدعوه إلى اندفاعٍ غير محمود، والصبر يعني السلامة من هذا وهذا.

وقد خَصَّ الله الطائفة المنصورة من الصبر بخصيصة ليست لغيرهم من أهل زمانهم، لاختياره لهم للإمامة والهداية، فالحال فيهم كما قال الله تعالى عن بني إسرائيل:

﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بأَمْرِنا لَمَّا صَبَروا وكَانُوا بآياتِنا يُوقِنُونَ﴾(٤).

---

(١) آل عمران: ١٤٩.
(٢) الإسراء: ٧٥.
(٣) الروم: ٦٠.
(٤) السجدة: ٢٤.

ولذلك قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله[1] ـ:

«أخذوا برأس الأمر فجعلهم رؤوساً»[2].

ولهذا وصف الرسول ـ ﷺ ـ هؤلاء القوم بأنهم:

«ما يضرُّهم من كذَّبهم، ولا مَن خالَفَهم»[3].

و «لا يضرُّهم مَن خذلهم»[4].

و «لا يضرُّهم مَن خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء»[5].

و «لا يبالون مَن خالفهم»[6].

وهذه الألفاظ كلها تجتمع في الدِّلالة على أن هؤلاء القوم عرفوا طريقهم، فلمْ يلتفتوا إلى خلاف المخالفين، ولا خذلان الخاذلين، ولا تكذيب المكذِّبين، وإن كانوا يواجهون ذلك كله، وتصيبهم منه اللأواء[7].

○○○○○

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ولد سنة (١٠٧هـ)، من العلماء الأتقياء الحكماء، حجَّ سبعين حجة، وتوفي سنة (١٩٨هـ).

انظر: «التهذيب» (٤ / ١١٧).

(٢) نقله الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٣ / ٣٨٠).

(٣) كما في حديث معاوية، وعقبة بن عامر، وأبي هريرة.

(٤) كما في حديث ثوبان، وقرة بن إياس.

(٥) كما في حديث أبي أمامة.

(٦) كما في مرسل محمد بن كعب القرظي.

(٧) انظر ما سبق في الفقرة الماضية، وانظر: الفصل الثالث من الرسالة الثالثة من هذه السلسلة، وهو المتعلق بالصبر والثبات.

وختاماً لهٰذه الخصائص؛ فإنه لا بدَّ من التأكيد على أن خصائص الفرقة الناجية التي سبق عرضها في الفصل الأول، لا بد أن تكون متوفِّرة ـ أيضاً ـ في الطائفة المنصورة، باعتبار أن الطائفة المنصورة هي جزءٌ من الفرقة الناجية، بل هي أولى الناس بوصف النجاة؛ إضافة إلى خصائص هٰذه الطائفة التي تميَّزت بها، ومرَّ عرضها.

ويلحظ في هٰذه الخصائص أن معظمها يتعلَّق بالمهمَّة التي تؤدِّيها هٰذه الطائفة للأمة، ويشير إلى الجهد الذي تبذله في سبيل حماية الدين، والقيام عليه، والدفاع عنه، وجهاد أعدائه.

○ من هي الطائفة المنصورة؟

إن معرفة خصائص الطائفة المنصورة وميزاتها يساعد كثيراً في تحديد مَن هي هٰذه الطائفة؟ إذ إن الطائفة المنصورة منهجٌ وسماتٌ، مَن توفَّرت فيه؛ فهو منها ـ فرداً كان أو جماعة ـ، ويمكن عرض أي دعوى تتعلَّق بذٰلك على هٰذه الخصائص؛ ليبين مدى تطابقها معها، أو اختلافها عنها.

وقد ورد عن الأئمة أقوال كثيرةٌ جدّاً في تحديد الطائفة المنصورة، وبيان مَن هم؟

وسوف أعرض هٰذه الأقوال، ثم أتناولها بالدراسة.

١ ـ قال عبد الله بن المبارك: «هم عندي أصحاب الحديث»[١].

٢ ـ وقال يزيد بن هارون[٢]: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»، قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين. . .» (رقم ٤٧)، (ص ٢٦).

(٢) الإمام، القدوة، أبو خالد السلمي، مولاهم الواسطي، الحافظ، ولد سنة =

مَنْ هم؟!»[1].

٣ ـ وقال الإمام أحمد: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري مَن هم؟!»[2].

ومرَّ ـ رحمه الله ـ على نفر من أصحاب الحديث يعرضون كتاباً لهم، فقال:

«ما أحسب هؤلاء إلا ممَّن قال رسول الله ـ ﷺ ـ: لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الحق حتى تقوم الساعة»[3].

= (١١٨هـ)، وكان رأساً في العلم والعمل، ثقة حجة كبير الشأن، وكان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، معادياً للجهمية، توفي سنة (٢٠٦هـ).

انظر: «السير» (٩ / ٣٥٨)، «طبقات ابن سعد» (٧ / ٣١٤).

(١) رواه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل»: باب فضل الطالب لسنة رسول الله ـ ﷺ ـ، (رقم ٢٧)، (ص ١٧٧).

ـ والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث»: قوله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة...»، ضمن (رقم ٤٦)، (ص ٢٦).

ـ وقوام السنة الأصبهاني في كتاب «الحجة في بيان المحجَّة»: ذكر أهل الحديث، وأنهم الفرقة الظاهرة، (رقم ٩٩)، (ص ١٦٩).

(٢) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»: الموضع السابق، برقم (٤٨)، (ص ٢٧).

ـ والحاكم في «معرفة علوم الحديث»: (ص ٢).

وقال ابن حجر: «بسند صحيح»؛ يعني: إسناد الحاكم.

«الفتح» (١٣ / ٢٩٣).

(٣) رواه ابن حبان في كتاب «المجروحين»: ذكر إثبات النصرة لهٰذه الطائفة إلى قيام الساعة، (١ / ٨٩).

٤ ـ وقال عليُّ بنُ المديني[١]: «هم أهل الحديث[٢]، هم أصحاب الحديث»[٣]. وقال: «هم أصحاب الحديث الذين يتعاهدون مذاهب الرسول ـ ﷺ ـ، ويذبُّون عن العلم، لولاهم لم نجد عند المعتزلة، والرافضة، والجهمية، وأهل الرأي، شيئاً من سنن المرسلين»[٤].

٥ ـ وقال الإمام البخاري ـ وذكر حديث: «لا تزال طائفة من أمَّتي . . .» ـ: «يعني: أصحاب الحديث»[٥]. وقال: «وهم أهل العلم»[٦].

٦ ـ وقال أحمد بن سنان[٧]: «هم أهل العلم، وأصحاب الآثار»[٨].

---

(١) الحافظ، المحدث، علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي، أبو الحسن المديني، ولد سنة (١٦١هـ)، وتلقى العلم عن أئمة عصره، وكان عالماً بالحديث وعلله واختلافه، له مصنفات كثيرة، ضاع معظمها.

انظر: «تاريخ بغداد» (١١ / ٤٥٨)، «طبقات الشافعية» للسبكي، (٢ / ١٤٥).

(٢) رواه الترمذي عن البخاري عنه، في: «السنن» (٤ / ٥٠٤).

(٣) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»: الموضع السابق، برقم (٥٠)، (ص ٢٧)، من طريق الترمذي عن البخاري.

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل»: في ترجمة علي بن المديني، (١ / ١٣١).

(٥) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»: الموضع السابق، (رقم ٥١)، (ص ٢٧).

(٦) «صحيح البخاري»، (٨ / ١٤٩)، وانظر: «خلق أفعال العباد» (ص ٤٢).

(٧) أحمد بن سنان بن أسد بن حبان ـ بكسر الحاء المهملة ـ أبو جعفر الواسطي الحافظ، من الأئمة الثقات، خرج له الشيخان وغيرهما، توفي سنة (٢٥٩هـ).

انظر: «تهذيب الكمال» (١ / ٣٢٢ ـ المطبوع)، سؤالات السلفي لخميس الحوزي» (ص ١١٢)، «تهذيب التهذيب» (١ / ٣٤).

(٨) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»: الموضع السابق، برقم (٤٩)، =

٧ ـ وقال ابن حبان[1]: «ذكر إثبات النصرة لأهل الحديث إلى قيام الساعة: (وساق حديث قرة بن إياس)»[2].

وقد مضى بيان المقصود بأهل الحديث، وأنهم أهل السنة، المتَّبعون لما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه، المجانبون لطريقة أهل البدعة، الملتزمون بالدليل في الاعتقاد والفقه، المستقيمون على الجادَّة في الخلق والعبادة والسلوك[3].

وهم ـ بهذا ـ الفئة المقابلة لأهل الكلام ـ أيّاً كانت بدعتهم ـ، والفئة المقابلة لأهل الرأي ـ أعني: الذين يقدِّمون آراءهم، أو أقوال شيوخهم، على الدليل الصحيح، بحجة أن الدليل ظنيُّ الثبوت، أو أن شيوخهم أعلم بالدليل... أو بغير ذلك من الحجج الواهية[4] ـ.

ولذلك عبَّر الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بقوله: «هم أهل العلم».

ومدلول العلم أوسع من مدلول الحديث، وإن كان الحديث قد يُطْلَق

= (ص ٢٧).

ـ وقوَّام السنة الأصبهاني في «الحجة»: الموضع السابق، برقم (٩٩)، (ص ١٦٩).

(١) هو الإمام محمد بن حبان، أبو حاتم البستي، الحافظ، صاحب التصانيف السائرة المشهورة، والتي منها «صحيحه»، وكتاب «الثقات»، وكتاب «المجروحين»، وغيرها، توفي عام (٣٥٤هـ).

انظر: «الميزان» (٣ / ٥٠٦)، «طبقات السبكي» (٣ / ١٣١).

(٢) «الإحسان» (١ / ٢٣٢).

(٣) وذلك في آخر الفصل الأول، المتعلِّق بالفرقة الناجية.

(٤) سبق ذلك في الموضع المشار إليه آنفاً.

عليه (العلم)(١).

فقد يكون الرجل من أهل السنة، ومن الطائفة المنصورة، ومن أهل العلم الـذين يرابـطون على ثغـرات الإسلام، ويدافعون عنه، ولكنه ليس من أهل الحديث؛ بمعنى: المشتغلين به روايةً ودرايةً، حتى عُرِفوا به، وأمثلة هٰذا كثيرة من المشتغلين بالتفسير، أو أصول الفقه، أو اللغة، أو الأدب، أو التاريخ، أو غيرها.

ولكنَّنا نجد في عبارة علي بن المديني نوعاً من التَّخصيص، إذ يفسِّر أهل الحديث بأنهم الذين يتعاهدون مذاهب الرسول ـ ﷺ ـ، ويذبُّون عن العلم، ويُبَلِّغون للناس سنن المرسلين.

وهٰـذا تفسيرٌ للشيء ببعض أجزائـه، فالطائفـة المنصـورة ـ بحسب الخصائص السابقة ـ أعم من ذٰلك، ولا شك أن قوماً كهٰؤلاء الذين ذكرهم ابن المـديني هم من أولى النـاس بالدخول في عداد الطائفة المنصورة، وإلى ما عندهُم يرجِعُ كلُّ متَّبعٍ في أيِّ اختصاص كان، ولكن لا يلزم من ذٰلك أن يكونوا ـ وحدهم ـ الطائفة المنصورة.

ولذٰلك كانت عبارة الإمام أحمد دقيقة حين رأى قوماً يشتغلون بمدارسة الحديث، فأطلق عليهم أنهم (ممَّن) قال فيهم الرسول ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أُمَّتي . . .» الحديث.

إذاً؛ فأهل السنة المشتغلون بألوان العلوم النافعة؛ بقصد حماية الدين

---

(١) كما قال محمد بن سيرين: «إن هٰذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم». رواه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١ / ١٤).

وكما قال ابن المديني: «. . . ويذبون عن العلم. . .»، وسبق قريباً.

والعلم ـ أصولاً، وفروعاً، ووسائل ـ هم من الطائفة المنصورة.

وأهل السنة المشتغلون بردِّ البدع، وقمع أهلها، وبيان طريق المحجَّة، ورفع الالتباس عنها، هم من الطائفة المنصورة.

وأهل السنة المرابطون في الثغور، المصابرون للأعداء، الساهرون على حماية الحوزة وحفظ الحرمة، هم من الطائفة المنصورة.

وأهل السنة، المناهضون للمنكر، الناهون عنه، الآمرون بالمعروف، الداعون إليه، هم من الطائفة المنصورة.

ولا شك أن المشتغلين بعلم الشريعة ـ عقيدة، وفقهاً، وحديثاً، وتفسيراً، وتعلُّماً، وتعليماً، ودعوةً، وتطبيقاً ـ هم أولى القوم بوصف الطائفة المنصورة، وهم أولاهم بالدعوة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرد على أهل البدع، إذ إن ذٰلك كله لا بد أن يقترن بالعلم الصحيح المأخوذ من الوحي.

وفي هٰذا يقول الإمام النووي[1] ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق قول الإمام أحمد والبخاري في الطائفة المنصورة:

«قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومَن يعتقد مذهب أهل الحديث.

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي، ولد سنة (٦٣١هـ) بنوى ـ وهي قرية بالشام ـ، وطلب العلم صغيراً، حتى كان يقرأ في اليوم والليلة اثني عشر درساً على العلماء في سائر الفنون، وكان زاهداً، متعبداً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يواجه الملوك فمَن دونَهم، وله تصانيف نافعة، توفي سنة (٦٧٦هـ).

انظر: «طبقات الشافعية» للإسنوي (٢ / ٤٧٦)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٨ / ٣٩٥).

قلتُ[1]: ويحتمل أن هٰذه الطائفة مفرَّقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتِلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدِّثون، ومنهم زُهَّاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير...»[2].

وقال البيضاوي[3]: «والطائفة هم المجتهدون في الأحكام الشرعية، والعقائد الدينية، أو المرابطون في الثغور، والمجاهدون لإعلاء الدين»[4].

ولا شك أن الطائفة الموعودة بالنصر، الموصوفة بالظهور، والقهر لعدوها، وقتاله، والثبات على طريقها، وعدم المبالاة بخذلان الخاذل وخلاف المخالف، ونِواء المناوىء، وغير ذٰلك من الخصائص السابقة.

لا شك أن هٰذه الطائفة لا بدَّ أن تكون ذات شوكة وقوَّة، وهٰذا يقتضي أن تكون كما ذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في غالب أحوالها.

وإنما يكون فضل معرفة السنن، وتمييز صحيحها من سقيمها، لما ينبني عليه من العمل بذٰلك.

فالعلماء المتخصِّصون في خدمة السنة وتنقيتها هم جزء من تلك الطائفة، والذين عملوا بما اقتضته السنة الصحيحة من العمل؛ جهاداً، أو أمراً

---

(١) القائل هو الإمام النووي.

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٣ / ٦٧).

(٣) لعله القاضي ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي صاحب التصانيف المشهورة، التي منها «مختصر الكشاف»، المعروف بـ «تفسير البيضاوي»، ومنها «شرح المصابيح في الحديث»، توفي عام (٦٨٥هـ).

انظر: «طبقات الإسنوي» (١ / ٢٨٣)، «طبقات السبكي» (٨ / ١٥٧)، «طبقات المفسرين» للداودي (١ / ٢٤٨).

(٤) نقله صاحب «فيض القدير» (٦ / ٣٩٦).

بالمعروف، ونهياً عن المنكر، أو قياماً بفروض الكفايات في مجالات الحياة المختلفة ـ هم أيضاً ـ من تلك الطائفة.

○ مكان الطائفة المنصورة وزمانها:

والمقصود من هٰذا العنوان الإجابة على تساؤلين يتعلَّقان بالطائفة المنصورة: أحدهما يتعلَّق بالزمان، والآخر يتعلَّق بالمكان.

أما الإشكال المتعلِّق بالزمان؛ فإن أحاديث الطائفة المنصورة اختلفت في تحديد الغاية التي تنتهي عندها الطائفة المنصورة.

ففي بعضها أنها لا تزال ظاهرة إلى يوم القيامة(١).

وفي بعضها أنها لا تزال ظاهرة إلى قيام الساعة(٢).

وفي بعضها أنها لا تزال ظاهرة حتى يأتي أمر الله(٣).

وفي بعضها أنها لا تزال ظاهرة حتى يقاتل آخرها المسيح الدجَّال(٤).

وليست ثَمَّتَ صعوبة في إمكانية الجمع بين هٰذه الروايات بدون تكلُّف.

فيوم القيامة، وقيام الساعة، هما ـ هنا ـ بمعنى واحد، إذ لا اعتبار لما بعد قيام الساعة؛ لأنه ليس زمن تكليف.

وقد تُطْلَق القيامة على قيام الساعة؛ كما في قوله تعالى:

---

(١) كما في حديث جابر بن عبد الله.

(٢) كما في حديث جابر بن سمرة، وسعد، وعقبة، وقرة بن إياس، ورواية عن أبي هريرة.

(٣) كما في حديث المغيرة، ومعاوية، وثوبان، وأبي هريرة، وأبي أمامة.

(٤) كما في حديث عمران بن حصين، ومرسل محمد بن كعب القرظي.

﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ورَافِعُكَ إِلَيَّ ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذينَ كَفَروا وجَاعِلُ الَّذينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذينَ كَفروا إِلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾(١).

وقوله: ﴿وَمِنَ الَّذينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارى أَخَذْنَا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّروا بِهِ فأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ العَداوَةَ والبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ وسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِما كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(٢).

وقال عن اليهود: ﴿وأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ العَداوَةَ والبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾(٣).

وقالَ: ﴿وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذابِ﴾(٤).

في آيات كثيرة.

وقد وعد الله تعالى الَّذين اتَّبعوا عيسى من أهل الإسلام الَّذين اتَّبعوه على فطرته وملَّته وسنَّته أنهم لا يزالون ظاهرين على مَن ناوأهم إلى يوم القيامة؛ كما قال قتادة(٥).

ولعل هٰذه الآية تَمُتُّ بسببٍ إلى الطائفة المنصورة، فهي الموعودة بالظهور والعلو إلى يوم القيامة.

ويبقى الإشكال بين قوله: «إلى قيام الساعة»، وبين قوله: «حتى يأتي أمر الله»، وهٰذا موضع خلاف:

---

(١) آل عمران: ٥٥.

(٢) المائدة: ١٤.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) «تفسير الطبري» (٣ / ٢٩٢).

فمِنَ الصحابة مَن يذهب إلى بقاء الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، فهم ـ عندهم ـ موجودون حتى آخر أيام الدنيا؛ كما هو رأي عمر[1]، وعُقبة بن عامر[2]، وأبي هريرة، وشرحبيل بن السمط، وغيرهم[3].

وعلى هٰذا الرأي؛ فالمراد بأمر الله: قيام الساعة ـ أيضاً ـ.

والرأي الآخر أن الله عزَّ وجل يرسل في آخر الزمان ـ قبل قيام الساعة ـ ريحاً طيِّبة، فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى إلا شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة.

وهٰذا الرأي هو الصحيح؛ لثبوت الأحاديث الصحاح بذٰلك؛ كحديث عبدالله بن عمرو بن العاص الذي فيه:

«لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا ردَّه عليهم».

وفيه: «يبعث الله ريحاً كريح المسك، مسُّها مسُّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبَّة من الإيمان؛ إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة»[4].

وكحديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله»[5].

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه، وأبو يعلى، ومرَّ ضمن تخريج حديث عمر في الطائفة المنصورة.

(٢) رواه مسلم وغيره، ومرَّ تخريجه ضمن حديث ابن عمرو بن العاص.

(٣) رواه البخاري في «الكبير» عنهما، ومر تخريجه ضمن حديثهما.

(٤) سبق الحديث في أول هٰذا الفصل.

(٥) رواه مسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، ٦٦ ـ باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، برقم =

والأحاديث في هٰذا الباب كثيرة جدّاً عن جمع من الصحابة.

وبهٰذا الرأي تجتمع الأدلّة، وتتّفق، بحيث يكون بقاء الطائفة المنصورة إلى أوان مجيء تلك الريح، وهي أمر الله، ويكون التعبير بقوله: «إلى قيام الساعة» باعتبار القرب الشديد، حيث إن هٰذه الريح تهب قبيل الساعة، وكأنها ـ والله أعلم ـ رحمةٌ بالمؤمنين، ولطفٌ بهم، ولذٰلك وُصِفَت بأنها كريح المسك، ومسُّها كمسِّ الحرير.

قال الإمام النووي:

«فأطلق في هٰذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة، على أشراطها ودنُوِّها المتناهي في القرب»[1].

وهٰذا رأي غالبيَّة الأئمة والشُّرَّاح[2]، وهو أولى من رأي مَن فسَّر قيام الساعة بقيام ساعتهم هم؛ أي: وقت موتهم بهبوب الريح[3].

أما رواية: «حتى يقاتل آخرهم المسيح الدَّجّال»، وكذٰلك رواية: «حتى

= (٢٣٤)، (١ / ١٣١).

ـ وأحمد في «المسند» (٣ / ١٠٧ و١٦٢).

ـ وأبو عوانة في: كتاب الإيمان، بيان أن الساعة لا تقوم ما دام في الأرض من يوحِّد الله، (١ / ١٠١).

ـ وابن منده في كتاب «الإيمان»: ٨٢ ـ ذكر ما يدل على أن الإسلام يعود كما بدأ حتى لا يبقى منه شيء، برقم (٤٤٧ و٤٤٨ و٤٤٩)، (١ / ٥٣٣).

(١) «شرح النووي على مسلم» (٢ / ١٣٢).

(٢) انظر: النووي (٢ / ١٣٢ و١٣ / ٦٧)، وابن حجر (١٣ / ٧٦ ـ ٧٧ و٢٩٤ ـ ٢٩٥)، والمناوي في «فيض القدير» (٦ / ٤١٧)، وغيرهم.

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٧٧).

ينزل عيسى بن مريم»[١]؛ فقد اندفع عنهما الإشكال بهٰذا الجمع أيضاً، حيث إن آخر الطائفة المنصورة يكونون مع عيسى ـ عليه السلام ـ بالشام؛ كما في حديث جابر بن عبدالله[٢]، حيث قال بعد ذكر الطائفة المنصورة؛ قال:

«فينزل عيسى بن مريم ـ ﷺ ـ، فيقول أميرُهم: تعال؛ صلِّ لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هٰذه الأمَّة»[٣].

والذين يقاتلون الدَّجَّال يكونون بعد قتله مع عيسى ـ عليه السلام ـ ثم يرسل الله الريح الطيِّبة، فلا يبقى بعدهم إلا الشرار[٤].

وهٰذا هو الإشكال المتعلِّق بالزمان.

○○○○○

أما الإشكال المتعلق بالمكان؛ فإنه قد ورد تخصيص الشام في عدد من الأحاديث المتعلِّقة بالطائفة المنصورة، وغيرها.

منها قول مالك بن يخامر عن معاذ: «وهم بالشام»[٥].

ومنها قوله: «لا تزال عصابةٌ بدمشق ظاهرين»[٦].

وقوله: «يقاتِلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس

---

(١) وهي في رواية أبي يعلى لحديث جابر.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الحديث ـ بهٰذه الزيادة ـ: رواه مسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، ٧١ ـ باب نزول عيسى بن مريم، برقم (٢٤٧) (١ / ١٣٧).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٧٧).

(٥) سبق في حديث معاوية.

(٦) كما في إحدى روايات الحديث عن أبي هريرة.

وما حوله»[1].

وقوله: «هم أهل الشام»[2].

ومنها قوله: «هم ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»[3].

ومنها قوله في مقدمة حديث: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم»[4].

ومنها قوله: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق»[5].

ومنها قوله: «وعقر دار المؤمنين الشام»[6].

وقال الإمام أحمد: «أهل المغرب هم أهل الشام»[7].

وقال ابن تيمية: «وهو كما قال؛ فإن هٰذه لغة أهل المدينة النبويَّة في ذاك الزمان، كانوا يسمُّون أهل نجد والعراق: أهل المشرق، ويسمون أهل الشام: أهل المغرب؛ لأن التغريب والتشريق من الأمور النسبيَّة، فكل مكان له غرب وشرق، فالنبيُّ ـ ﷺ ـ تكلَّم بذٰلك في المدينة النبويَّة، فما تغرَّب عنها فهو غربه، وما تشرَّق عنها فهو شرقه»[8].

وأضاف ـ رحمه الله ـ وجهاً آخر لترجيح ما قاله الإمام أحمد، وهو أن

---

(١) كما في إحدى روايات الحديث عن أبي هريرة.

(٢) كما في إحدى روايات الحديث عن أبي هريرة.

(٣) كما في حديث أبي أمامة.

(٤) كما في حديث قرة بن إياس.

(٥) كما في حديث سعد.

(٦) كما في حديث سلمة بن نفيل.

(٧) «الفتاوى» (٢٧ / ٤١).

(٨) «الفتاوى» (٢٧ / ٤١).

عدداً من الأحاديث بيَّنَت أنهم أهل الشام[1].

وفي مقابل هٰذا ثمَّت أحاديث في أن الإيمان يأرز بين المسجدين، ويأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها[2]. . . إلى فضائل أخرى للمدينة ليست لغيرها.

وكذٰلك ثبت للجزيرة العربية فضائل:

منها: أن الشيطان يئس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب[3].

ومنها الأمر بإخراج المشركين منها[4].

وأحاديث أخرى في فضل أهل اليمن، منها قوله ﷺ - وهو مولٍ ظهره إلى اليمن -: «إني لأجد نَفَس الرحمٰن ها هنا»[5].

والجواب عن تخصيص موضع الطائفة المنصورة بالشام يتلخَّص في أمرين:

---

(١) «الفتاوى» (٢٧ / ٥٠٧)، وانظر معاني أخرى للغرب في «فتح الباري» (١٣ / ٢٩٥)، «مشارق الأنوار» (٢ / ١٣٠)، وغيرها.

(٢) سبقت في حديث الغربة.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) كما هي إحدى الروايات في حديث سلمة بن نفيل.

قال ابن قتيبة - حول حديث: «لا تسبوا الريح؛ فإنها من نفس الرحمٰن» -: «إنه لم يرد بالنفس ما ذهبوا إليه، وإنما أراد أن الريح من فَرَج الرحمٰن - عز وجل - وروحه؛ يقال: اللهم نفِّس عني الأذى، وقد فرج الله عن نبيه - ﷺ - يوم الأحزاب. . . وكذٰلك قوله: إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن». «تأويل مختلف الحديث» (ص ٢١٢).

وقال ابن تيمية: «فقوله «من اليمن»، يبيِّن مقصود الحديث، فإنه ليس لليمن =

الأول: أن الأحاديث التي دلَّت على استمرار ظهور أهل الشام، وبالذات حديث سعد: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين»[1] ـ على اعتبار أن الغرب هو الشام؛ كما هو ظاهر ـ، فيقال فيها ما يُقال في ظهور الطائفة المنصورة، من أن هٰذا هو الحال العام الغالب في التاريخ، ولا يعارضه أن يظهر عليهم غيرهم في بعض الفترات.

ولا شك أن بلاء أهل الشام في حماية حوزة الإسلام، وإقامة حكومته، ودفاع أعدائه، أمرٌ ظاهر، منذ قامت فيه خلافة بني أمية، حيث تحطَّمت على صخرته جحافل التتر والصليبيين وغيرهم.

ولعله يكون لأهل الشام جولاتٌ وجولاتٌ في القضاء على أعداء الإسلام المقيمين بين ظهرانيهم، أو المجاورين لهم: كالنصيرية، والدروز، واليهود، والنصارى.

كما يقال فيه أيضاً: إن الظهور أمر نسبيٌّ، ولا يلزم من كونهم ظاهرين أن يكونوا ظاهرين من كل وجه، بل تكون الطائفة المنصورة فيه أكثر ظهوراً وشدَّة على المخالفين، وعزيمة في نصر الدين، منها في كثير من بلاد الإسلام.

ويؤكِّد هٰذا المعنى قوله ـ ﷺ ـ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم»[2].

ولا عبرة بوضع خاصٍّ تعيشه تلك البلاد في حاضرها، أو ماضيها، أو

= اختصاص بصفات الله تعالى، حتى يظن ذٰلك، ولكن منها جاء الذين يحبُّهم ويحبُّونه... وهٰؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الرحمٰن عن المؤمنين الكربات».

«الفتاوى» (٦ / ٣٩٨).

(١) سبق تخريجه.

(٢) كما في حديث قرة بن إياس.

مستقبلها، بل ينبغي النظر إلى الحال العام الغالب، مع إدراك الدور التاريخي الثابت بالنصوص، حيث تكون الطائفة المنصورة بالشام، مع المهدي ـ عليه السلام ـ، ثم مع عيسى، حيث تقاتل الدَّجَّال، ولذلك قال الحافظ ابن حجر:

«المراد بالذين يكونون ببيت المقدس: الذين يحصرهم الدَّجَّال إذا خرج، فينزل عيسى إليهم، فيقتل الدَّجَّال، ويظهر الدين في زمن عيسى. . . »[1].

والأمر الثاني:

أن معظم الأحاديث خلت من تقييد الطائفة المنصورة بالشام، وهذا يؤكِّد أن الطائفة المنصورة لا يلزم أن تكون في بلد واحد، بل الأقرب أن تكون في بلدان متفرقة، خاصة البلدان التي وردت الإشادة بها؛ كالجزيرة، واليمن، وغيرهما.

بل وفي سائر بلاد الإسلام؛ كما قال الإمام النووي:

«ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرِّقين في أقطار الأرض»[2].

والأحاديث التي حدَّدت وجود الطائفة المنصورة بالشام؛ فإنما يُراد بها ـ والله أعلم ـ فترة تاريخية معيَّنة، هي التي تكون قبل قيام الساعة، حيث تدلُّ النصوص الكثيرة على أن معظم الأحاديث المتعلِّقة بالمهدي وعيسى بن مريم ونحوهما من أشراط الساعة إنما تكون بالشام[3].

---

(١) «الفتح» (١٣ / ٢٩٤)، وانظر على سبيل المثال حديث أبي هريرة الآتي قريباً.

(٢) «شرح النووي» (١٣ / ٦٧).

(٣) من هذه الأحاديث: حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم =

. . . .

= بالأعماق أو بدابق (موضعان بالشام)، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا؛ قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: . . . والله لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذْ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدُّون للقتال، يسوُّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم - ﷺ -، فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته».

ـ رواه مسلم في: ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٩ ـ باب فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، برقم (٣٤)، (٤ / ٢٢٢١).

ـ ورواه أبو عمرو الداني في «السنن»: باب ما جاء في خروج الروم (ل ١١٣ ـ ب).

ـ ورواه الحاكم في: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٤٨٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ـ ومنها حديث ذي مخبر ـ رضي الله عنه ـ، وفيه: «فيرفع رجل من أهل الصليبِ الصليبَ، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين، فيقوم إليه، فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم، ويجتمعون للملحمة . . .».

ـ رواه ابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ٣٥ ـ باب الملاحم، برقم (٤٠٨٩)، (٢ / ١٣٦٩)، ونقل المعلق عن «الزوائد» أن إسناده حسن.

ـ وروى بعضه أبو داود في: ٩ ـ كتاب الجهاد، ١٦٨ ـ باب في صلح العدو، برقم (٢٧٦٧)، (٣ / ٢١).

وفي: ٣١ ـ كتاب الملاحم، ١ ـ باب ما يذكر في قرن المئة، برقم (٤٢٩٢)، (٤ / ٤٨١).

ـ ورواه الحاكم في: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٤٢٠)، وقال: «هذا حديث =

كما أن يحتمل أن يكون المقصود قتالهم للروم المذكور في الأحاديث[1]، ثم للدَّجَّـال، حتى يأتيهم أمر الله وهم بالشام، فيكون قوله: «وهم بالشام»؛ أي: حال إتيان الأمر، والله أعلم.

○ غربة الطائفة المنصورة:

يعرِّف العلماء الطائفة بأنها الجماعة تطيف بالشيء[2].

قال ابن فارس:

«ولا تكاد العرب تحدِّدها بعدد معلوم، إلا أن الفقهاء والمفسِّرين يقولون فيها مرة: إنها أربعة فما فوقها، ومرة: إن الواحد طائفة. ويقولون: هي الثلاثة، ولهم في ذٰلك كلام كثيرٌ، والعرب فيه على ما أعلمتُكَ، أن كل جماعة يمكن أن تحفَّ بالشيء، فهي عندهم طائفة، ولا يكاد هٰذا يكون إلا في اليسير»[3].

والطائفة المنصورة هي جماعة اتَّفقت على كلمة الحق، وتحقَّقت فيها الخصائص السابقة؛ من الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، ومنازلة أعدائه، وإن كانت متفرِّقة في البلدان، وإن كان لا يَعْرِف بعضُها بعضاً.

وهٰذه الطائفة تعيش أصنافاً من الغربة في الله.

فهي تعيش الغربة التي يعيشها المسلمون بين أهل الملل والأديان، إذ هي طائفة منهم، غربتهم غربة لها، وقلَّتهم قلة لها، وضعفهم ضعف لها.

وتعيش الغـربـة التي تعيشها الفرقة الناجية، إذ هما قريبٌ من قريب،

= صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس، (٣ / ٤٣٢).

(٣) «معجم مقاييس اللغة» (٣ / ٤٣٢)، وانظر: «تفسير الطبري» (١٨ / ٦٨).

وبعضهما من بعض، فهي تعيش غربة فرقة واحدة بين ثنتين وسبعين فرقة.

وتعيش فوق هٰذا وذاك غربتها الخاصَّة بها، حيث تصدَّت لهٰذا العمل الجهادي العظيم، وأوقفت حياتها على رفع راية الإسلام في كل ميدان.

وهٰذه غربة مضنية، إذ إنه من الصعب على المرء أن يلتزم الطريق المستقيم، ويصبر على الحق في البيئات والأزمنة التي أطبق عليها الانحراف، فكيف له بأن يضيف إلى ذٰلك القيام بالدعوة، ومعالجة الانحراف الواقع؟!

وغربة هٰؤلاء المجاهدين المنصورين تتفاوت تفاوتاً عظيماً بين زمان وزمان، ومكان ومكان، وهٰذا التفاوت يكون لأسباب؛ منها:

١ ـ مدى قوة هٰذه الطائفة، وتمكينها، وظهورها، إذ إن ذٰلك يختلف أيضاً في الزمان والمكان:

وقد يعظم شأنها في زمان معيَّن ومكان معيَّن، حتى يكون بيدها الحكم والسلطان، ويكون أهل البدعة والانحراف حينئذ هم الغرباء.

وقد تضعف، وتضطهد، ويعطي أفرادها المجهود من أنفسهم.

ومن أهم عوامل قوتها: وجود الرؤوس والقيادات من العلماء والمفكرين والمجاهدين وغيرهم، ممن يُسَلِّم لهم عامة الناس، بالعلم والفضل والسابقة، فيفلحون في دفع الغربة عن هٰذه الطائفة، أو تخفيفها، وفي نشر السنة بين الناس، حتى لا تكون السنَّة غريبة بينهم.

٢ ـ مدى قوة أعدائها ومناوئيها؛ من أصحاب البدع، أو حملة المبادىء والمذاهب الوضعيَّة، أو غيرهم.

فحين يملك هٰؤلاء الحكم يضطهدون هٰذه الطائفة، ويُنزِلون بها ألوان

الأذى، حتى يعيدوها إلى ملتهم، أو يُنْهِكوها؛ قتلاً، وتشريداً، واضطهاداً، أو يكف الله بأسهم، فيأذن بزوالهم، واستخلاف غيرهم.

قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُموكُمْ أَوْ يُعِيدوكُمْ في مِلَّتِهِمْ وَلَنَ تُفْلِحوا إِذاً أَبداً**﴾[1].

وحين تتقارب القوَّتان؛ يكون الصراع سجالاً؛ يُدال لهٰؤلاء من هٰؤلاء، ولهٰؤلاء من هٰؤلاء.

٣ ـ مدى بعد الناس عن الهدى والسنة، وجهلهم، وانحرافهم.

فكلما ابتدعوا؛ اتسعت الشقة، وتضاعفت آلام الغربة التي تلقاها الطائفة المنصورة.

ولا شك أن بين هٰذه الأمـور ترابطاً كبيراً، فجهود تلك الطائفة هي من أسباب تمكينها، وكسر شوكة أعدائها، وتقريب الناس إلى السنة، وإزالة غربتها بينهم.

ومن حيث الجملة؛ فإنـه كلما تباعد الزمان عن عهد النبوَّة استحكمت الغربة واشتدَّت؛ مصداقاً لقوله ـ ﷺ ـ فيما يرويه أنس ـ رضي الله عنه ـ:

«لا يأتي عليكُم زمانٌ إلَّا الذي بعده شرٌّ منه، حتى تَلْقَوا ربَّكم»[2].

---

(١) سورة الكهف: ٢٠.

(٢) رواه البخاري في: ٩٢ ـ كتاب الفتن، ٦ ـ باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه، (٨ / ٨٩).

ـ والترمذي في: ٣٤ ـ كتاب الفتن، ٣٥ ـ باب، رقم (٢٢٠٦)، (٤ / ٤٩٢).

ـ والدارمي في: المقدمة، ٢٢ ـ باب تغير الزمان وما يحدث فيه، (رقم ١٩٤)، (١ / ٥٨).

وأشد أيام غربة هٰذه الطائفة هي الأيام التي تكون في آخر الزمان، حين يَدْرُسُ الإسلام كما يَدْرُسُ وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدْرَى ما صيام ولا صلاة ولا نُسُك؛ كما في حديث حُذيفة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدْرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صَدَقة، ولَيُسرى على كتاب الله ـ عز وجل ـ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز؛ يقولون: أدركنا آباءنا على هٰذه الكلمة: (لا إلٰه إلا الله)، فنحن نقولها».

فقال له صلة[1]: ما تُغني عنهم (لا إلٰه إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟! فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّها عليه ثلاثاً، كل ذٰلك يُعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة! تُنجيهم من النار؛ ثلاثاً[2].

= ــ وأحمد في «المسند»: (٣ / ١٣٢ و١٧٧ و١٧٩).

ــ والطبراني في «المعجم الصغير»: باب من اسمه علي، (١ / ١٩٢).

ــ والخطيب في «تاريخ بغداد»: في ترجمة حامد بن محمد الرفا الهروي، ورقمها (٤٢٨٦)، (٨ / ١٧٣).

(١) صلة هو ابن زفر ـ كما في رواية الحاكم ـ، يروي عن حذيفة، وعمار، وابن مسعود، وغيرهم، كان من الثقات الأثبات، مات في ولاية مصعب بن الزبير.

انظر: «التهذيب» (٤ / ٤٣٧).

(٢) الحديث جاء عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً وموقوفاً.

ــ فرواه ابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ١٤ ـ باب ذهاب القرآن والعلم، برقم (٤٠٤٩)، (٢ / ١٣٤٤)، من طريق علي بن محمد، حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، عن النبي ﷺ، به.

ــ وعلي بن محمد: هو ابن إسحاق بن أبي راشد الطنافسي: ثقة. =

. . . .

= انظر: «التهذيب» (٧ / ٣٧٨)، «التقريب» (٢ / ٢٣).

ـ وأبو معاوية: هو محمد بن خازم ـ بالخاء المعجمة ـ الضرير، قال فيه الذهبي: «ثقة، ثبت، ما علمت فيه مقالاً يوجب وهنه مطلقاً»، وقال ابن حجر: «ثقة، أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في غيره».

«الميزان» (٣ / ٥٣٣ و٤ / ٥٧٥)، «التهذيب» (٩ / ١٣٧)، «التقريب» (٢ / ١٥٧).

ـ وأبو مالك الأشجعي: هو سعد بن طارق الكوفي: ثقة.

انظر: «التهذيب» (٣ / ٤٧٢)، «التقريب» (١ / ٢٨٧).

ـ وربعي بن حراش ـ بالحاء المهملة ـ تابعي ثقة.

انظر: «التهذيب» (٣ / ٢٣٦)، «التقريب» (١ / ٢٤٣).

ـ فالإسناد صحيح، ورجاله ثقات.

ـ قال البوصيري: «إسناده صحيح، رجاله ثقات، رواه مسدَّد في «مسنده» عن أبي عوانة، عن أبي مالك؛ بإسناده ومتنه. . .».

«مصباح الزجاجة» (٤ / ١٩٤).

ـ وقال ابن حجر: «. . . بسند قوي».

«الفتح» (١٣ / ١٦).

ـ والحديث رواه الحاكم من طريق الأصم، عن أحمد بن عبدالجبار، عن أبي معاوية، وفيه تكرار حذيفة لقوله: «تنجيهم» مرتين: كتاب الفتن والملاحم، (٤ / ٥٤٥)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ـ ورواه أيضاً من طريق أبي بكر بن الحفيد، عن أبي كريب، عن أبي معاوية، (٤ / ٤٧٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ولم يخرجاه.

ـ ورواه من طريق أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا واصل بن عبدالأعلى، حدثنا محمد بن فضل، حدثنا أبو مالك الأشجعي. . . بنحوه موقوفاً، (٤ / ٥٠٥)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». =

= ـ ورواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»، سياق ما دلَّ من الآيات على أن القرآن تكلَّم الله به على الحقيقة، من طريقين عن عبدالرحمٰن بن أبي حاتم، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا خلف ـ يعني ابن خليفة ـ، عن أبي مالك، عن ربعي، عن حذيفة موقوفاً، وليس فيه كلام صلة وما بعده: (رقم ٥٧٧)، (٢ / ٣٤٦).

ـ ورواه ابن منده في كتاب «التوحيد»: بيان يدل على أن المحفوظ في الصدر هو القرآن. . .، من طريق فضيل بن سليمان ـ كذا في المطبوع ـ، عن أبي مالك، عن ربعي، عن حذيفة بن اليمان، ولم يذكر لفظه، بل أحال على لفظ حديث أبي هريرة الآتي رقم الحديث (٣٥٧)، (٢ / ٣٢٧).

ـ ورواه أبو عمرو الداني في كتاب «السنن الواردة في الفتن»، باب ما جاء أن الإسلام يدرس ويذهب، (ل: ٥٧ / ب ـ ٥٨ / أ) من طريق إسحاق بن أبي يحيى، عن سعيد بن طارق ـ كذا ـ، عن زر، عن حذيفة، موقوفاً.

ـ وحديث أبي هريرة يصلح شاهداً لحديث حذيفة، وهو ما رواه الحاكم؛ قال: حدثنا علي بن عيسى بن إبراهيم، حدثنا مسدَّد بن قطن، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضل، حدثنا أبو مالك الأشجعي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

«يُسْرى على كتاب الله، فيرفع إلى السماء، فلا يصبح في الأرض آية من القرآن، ولا من التوراة والإنجيل ولا الزبور، وينتزع من قلوب الرجال، فيصبحون لا يدرون ما هو؟».

«المستدرك»: كتاب الفتن والملاحم (٤ / ٥٠٦)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ـ ورواه ابن منده في كتاب التوحيد مرفوعاً عن أبي مالك عن أبي حازم عن أبي هريرة. . . بلفظ مختلف: بيان يدل على أن المحفوظ في الصدور هو القرآن، برقم (٣٥٧)، (٢ / ٣٢٧).

ـ وروى ابن عدي في «الكامل» عن أبي هريرة نحوه بلفظ وإسناد مختلفين، في: ترجمة أحمد بن عبدالرحمٰن بن وهب، (١ / ١٨٨). =

فإذا صحَّ وجود الطائفة المنصورة في ذٰلك الزمان؛ فإنها تكون ـ إذاً ـ في أقسى وأشد فترات اغترابها، وهي غربتها التي لا تمكين بعدها، ولا زوال لها؛ إلا بقيام الساعة.

وذٰلك أنه يَحْتَمِلُ أن يكون حديث حذيفة بعد هبوب الريح، وقبض أرواح المؤمنين، وعلى هٰذا يكون ما في قلوب هٰؤلاء القوم الذين يقولون: (لا إلٰه إلا الله) من الإيمان أدنى من مثقال حبة خردل، فلا تقبض الريح أرواحهم؛ لأنها تقبض مَن كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان؛ كما سبق في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

وهٰؤلاء القوم المخلَّفون داخلون ـ إجمالاً ـ في أحاديث الشفاعة، ومنها ما رواه أنس بن مالك، وفيه قوله ـ ﷺ ـ:

«فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها، لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد!

= ـ وله **شاهد** موقوف صحيح جاء من طرق عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بمعناه.

ـ رواه عبد الرزاق في «مصنفه»: كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه، برقم (٥٩٨٠ و٢٩٨١)، (٣ / ٣٦٢).

ـ والدارمي في: كتاب فضائل القرآن، ٤ ـ باب في تعاهد القرآن برقم (٣٣٤٤ و٣٣٤٦)، (٢ / ٣١٥).

ـ والطبراني في: ترجمة عبد الله بن مسعود، ورقمها (٧٧٢)، رقم الحديث (٨٦٩٨ و٨٧٠٠)، (٩ / ١٥٣).

ـ وقال الهيثمي: «... ورجاله رجال الصحيح، غير شداد بن معقل، وهو ثقة». «المجمع» (٧ / ٥٢).

ـ وقال ابن حجر: «وسنده صحيح، ولكنه موقوف». «الفتح» (١٣ / ١٦).

ارفع رأسك، وقُلْ يسمعْ لك، وسلْ تعط، واشفعْ تشفَّعْ، فأقول: يا رب! أمَّتي. فيقال: انطلق، فأخرِجْ منها مَن كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق، فأفعل.

ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيُقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقُلْ يُسْمَعْ لك، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقول: يا رب! أُمَّتي أُمَّتي. فيقال: انطلقْ فأخرجْ منها مَن كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق، فأفعل.

ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقُل يُسْمَع لك، وسل تُعْط، واشفع تُشَفَّع. فأقول: يا ربّ! أمَّتي، أمَّتي، فيقول: انطلق، فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق، فأفعل.

ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمد! ارفعْ رأسك، وقُلْ يُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ. فأقول: يا رب! ائذن لي فيمن قال: (لا إله إلا الله). فيقول: وعزَّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجَنَّ منها مَن قال: (لا إله إلا الله)...» الحديث[1].

---

(١) رواه البخاري في: ٩٧ ـ كتاب التوحيد، ٣٦ ـ باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (٨ / ٢٠٠ ـ ٢٠٢).

ــ ومسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (٣٢٦)، (١ / ١٨٢ ـ ١٨٤).

ــ وغيرهما.

ــ وله شواهد كثيرة عن أبي سعيد الخدري، وجابر، وأبي هريرة، وغيرهم.

فإذا جمعنا هٰذه الأحاديث الأربعة: حديث حُذيفة، مع حديث الطائفة المنصورة، مع حديث أنس وما أشبهه من أحاديث الشفاعة، مع حديث عبدالله بن عمرو في قبض أرواح المؤمنين؛ تبيَّن أنه يبقى بعد هبوب الريح قومٌ في قلوبهم من الإيمان أدنى من مثقال حبَّة من خردل، وهم يقولون: (لا إلٰه إلا الله)، ولا يدرون ما صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولا نسك، ومع ذٰلك تنجيهم (لا إله إلا الله)؛ كما قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ فيخرُجون من النار برحمة أرحم الراحمين، ثم بشفاعة سيد المرسلين ـ ﷺ ـ، وإن مكثوا فيها ما مكثوا.

وهم بهٰذا يختلفون عن الذين قال فيهم النبيُّ ـ ﷺ ـ في آخر حديث الشفاعة الذي رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ:

«ثم أعود الرابعة، فأقول: ما بقي في النار إلا مَن حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود»(١).

وبهٰذا الجمع يندفع التعارض المتوهَّم بين النصوص، والله أعلم.

وإذا كانت هٰذه الطائفة ممَّن لم يَقْنَعْ بصلاح نفسه فحسب، بل بذل وُسْعه وجهده؛ لإصلاح الناس، وحملهم على السنة؛ فإنهم حينئذ غرباء بين الغرباء!

وفي ذٰلك يقول الحافظ ابن رجب: «وهٰؤلاء الغرباء قسمان:

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس.

---

(١) رواه البخاري في: ٦٥ ـ كتاب التفسير، ٢ ـ سورة البقرة، ١ ـ علم آدم الأسماء كلها، (٥ / ١٤٦ ـ ١٤٧).

ـ ومسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (٣٢٢ و٣٢٤)، (١ / ١٨٠ ـ ١٨٢).

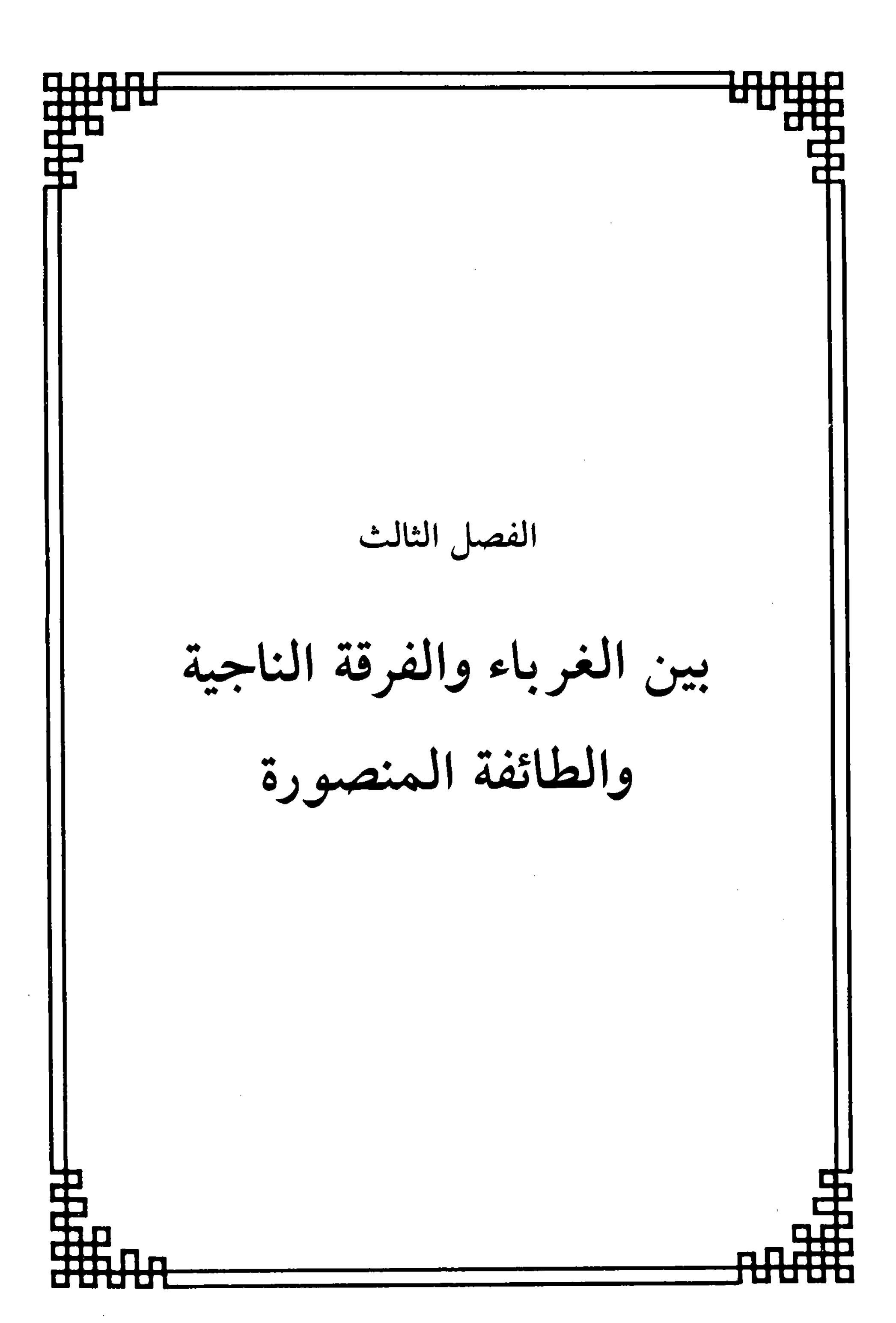
والثاني: من يصلح ما أفسد الناس، وهو أعلى القسمين، وهو أفضلهما»[1].

وغربة هٰؤلاء ليست غربة المتصوِّفة الذين يفرُّون إلى خَلَواتهم وعزلتهم، ويتركون الحياة للطواغيت المفسدين، والكفرة والمنافقين، بل غربتهم غربة المجاهدين، الذين يعلمون أن الغربة شرفٌ لهم، وعلوٌّ لقدرهم، ورفعٌ لدرجاتهم، فلا يستوحشون لقلة الموافقين، ولا يأبهون بكثرة المخالفين، فلا يضرُّهم مَن خذلهم، ولا مَن خالفهم إلى يوم الدين، وإذا كان الله معهم، فماذا فقدوا؟

○○○○○

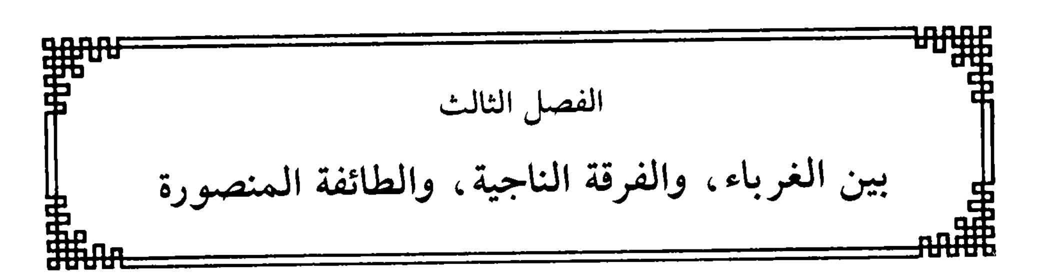
---

(١) «كشف الكربة» (ص ٢٨).



الفصل الثالث

بين الغرباء والفرقة الناجية والطائفة المنصورة



الفصل الثالث

بين الغرباء، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة

○ مَن هُم الغرباء المقصودون في الحديث؟

المقصـود من هٰذا الفصـل التكميلي ربط موضـوع الغرباء وصفاتهم، بالفرقة الناجية، بالطائفة المنصورة، وبيان إنْ كان ثَمَّتَ أوجه اختلاف بين هٰذه المسمَّيات الثلاثة.

فحين نتـأمَّل أحاديث الغربة[1]؛ نجد أن أكثر الصفات التي وُصف بها الغرباء إنما وردت من طرق ضعيفة لا تثبت.

إنما ثبت وصف الغرباء بالصلاح إذا فسد الناس[2].

وهٰذه الاستقامة هي سرُّ غربتهم بين الناس، وإنما كانوا غرباء لقلَّتهم في وسط كثرة منحرفة من أهل السوء، ولذٰلك جاء وصفهم في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بأنهم: «أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممَّن يطيعهم»[3].

---

(١) سبق تخريجها في التمهيد.

(٢) من حديث سعد، وجابر، وسهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنهم ـ.

(٣) سبق تخريجه.

والمعنى: أنهم أُناس صالحون قليل.

وهٰذه الصفة مفهومة من وصف (الغرباء) الذين ارتبطت غربتهم بغربة الإسلام.

فالغربـاء الأوَّلـون هم ـ كما قال البيهقي: «المهاجرون الذين هجروا أوطانهم في الله عز وجل»(١).

ولـيسـت غربـتهـم لأنهم في وطن غير وطنهم، أو بين قوم غير قومهم ـ فحسب ـ، بل غربتهم الأساسيَّة لقلة المسلمين في ذٰلك الزمان.

وكذٰلك الحال بالنسبة للغرباء حين عودة الإسلام غريباً:

أ ـ فهم المسلمون بين الكفار، حيث عددهم بالنسبة إليهم قليل.

ب ـ وكذٰلك هم الملتزمون بالشرع والسنة بين المسلمين.

جـ ـ وهم كذٰلك الداعون إلى ذٰلك بين سائر المتَّبعين للسنة.

وهٰذان الصنفان من الغرباء ـ أعني: الملتزمين بالسنة بين المسلمين، والـداعين إليهـا من بين الملتـزمين بها ـ لم يكونوا موجودين في غربة الإسلام الأولى؛ لأن الناس كانوا حينئذ ـ في الأعم الأغلب ـ إما مؤمنٌ موحِّد متَّبع مجتهد في دينه، وإما كافرٌ محارِب للدِّين معلِنٌ للعداوة.

لكن بعـدمـا وجد الإسلام، وضرب بجرانه في الأرض، واستقرَّ أمرُه؛ بدأت الفتن، والأهواء، والاختلافات، تدبُّ بين المسلمين، حتى تفرَّقوا شيعاً وأحـزابـاً، واختلفوا اختلافاً عظيماً، **فصار الملتزمون للنهج الأول غرباء بين غيرهم من المسلمين، وهٰؤلاء هم الفرقة الناجية.**

---

(١) «الزهد الكبير» (ص ١٥١).

وبذلك يظهر ارتباط الغربة بالفرقة الناجية.

وفي ذلك يقول الإمام الآجُرِّي:

«وقوله ـ ﷺ ـ: «وسيعود غريباً»؛ معناه ـ والله أعلم ـ: أن الأهواء المضلَّة تكثُر، فيضلُّ بها كثيرٌ من الناس، ويبقى أهل الحق ـ الذين هُم على شريعة الإسلام ـ غرباء في الناس، ألم تسمع إلى قول النبي ـ ﷺ ـ: «تفترق أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». قيل: مَن هي الناجية؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»؟»[1].

ولما روى الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ حديث ابن مسعود في الغرباء؛ قال:

«قال عبدان[2]: هم أصحاب الحديث الأوائل»[3].

وإذا كان الحديث عامّاً غير مخصَّص؛ فإننا لا نستطيع أن نقول: إن الفرقة الناجية هم ـ وحدهم ـ الغرباء، ولكنهم من الغرباء، خاصة وأن الحديث ربط البدء بالعودة، فقال: «بدأ... وسيعود»، فعُلِم أن غربة المسلمين كافة بين أهل الملل والأديان داخلة ـ أيضاً ـ في معنى الحديث.

---

(١) «الغرباء» (ص ٢٤).

(٢) هو: عبد الله بن عثمان بن جبلة الأزدي العتكي مولاهم، أبو عبدالرحمن المروزي الحافظ، وعبدان لقبه، وكان إمام أهل الحديث ببلده، وهو ثقة مأمون، ولد سنة (١٤٠هـ)، وتوفي سنة (٢٢١هـ).

انظر: «التهذيب» (٥ / ٣١٣).

(٣) «شرف أصحاب الحديث»: ٦ ـ قول النبي ـ ﷺ ـ: «بدأ الإسلام غريباً...» (ص ٢٤).

أما الطائفة المنصورة؛ فيبدو ارتباط موضوعها بموضوع الغربة، من وصف عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ للغرباء بأنهم: «الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة مع عيسى بن مريم»[1].

وإذا كان من المعلوم أن آخر الطائفة المنصورة يقاتلون المسيح الدَّجَّال ـ أي: مع عيسى عليه السلام[2] ـ؛ ظهرت مناسبة بعثهم يوم القيامة مع عيسى عليه السلام.

فالطائفة المنصورة غريبة في الدُّنيا المائجة بالكفر البواح، وغريبة بين المسلمين الذين أكلتهم الأهواء والفتن، بل وغريبة داخل الفرقة الناجية التي لم يتصدَّ جميع أفرادها للإصلاح، ومقاومة عوامل الهدم والفساد في واقع الأمة.

وبهٰذا يظهر أن ثَمَّتَ غربةً عامَّةً للمسلمين، وغربةً خاصَّةً للفرقة الناجية، وغربة أخصَّ منها للطائفة المنصورة.

وها هنا يثور سؤال: وهل ثَمَّتَ فرقٌ بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؟

وهل يمكن تصوُّر وجود تغاير بينهما؟

أو يسبق إلى الوهم أن تكون هٰذه غير تلك؟

هٰذا ما يجيب عليه العنوان التالي:

○ هل بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة تغايُر؟

إن خصائص الفرقة الناجية التي تقدَّم بيانُها تتلخَّص في ثلاثة جوانب هي:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كما سبق تفصيله في الفصل المتعلق بالطائفة المنصورة في هٰذا الكتاب.

١ ـ العلم والفقه الصحيح، المبنيُّ على الوحي، سواء في مجال العقيدة، أو الشريعة، بحيث لا يكون لهم مع النصِّ رأيٌ ولا اختيار.

٢ و ٣ ـ تكيُّف الشعور والوجدان والعمل والترك مع هٰذا العلم الصحيح، فالحب والبغض، والولاء والبراء، والقرب والبعد، والأخذ والترك، والعطاء والمنع، والإقدام والإحجام، وسائر الأعمال القلبيَّة أو اللِّسانية أو البدنيَّة؛ لا يخرج شيء من ذٰلك كله عمَّا يقتضيه هٰذا العلم.

ولهٰذه الخصائص آثار عظيمة في حياتهم الفرديَّة والجماعية.

منها أنهم يكونون أبعد الناس عن الاختلاف والفرقة، وأقربهم إلى الوحدة والألفة، إذ إنهم يعتمدون على الوحي والنصِّ، ويسلِّمون جميعهم لذٰلك، بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع ممَّن يحكِّمون عقولهم أو أهواءهم في النصوص، ويحرِّفونها عن مواضعها، فيقعون في الاختلاف العظيم، إذ العقول والأهواء لا تنضبط ولا تتناهى.

ومنها رأفتهم بالمخالِف، وحرصُهم على هدايته، وتحاشيهم من إطلاق ألفاظ التكفير على مخالِفيهم؛ ما لم يَرَوْا كُفراً بواحاً صُراحاً عندهم من الله فيه برهان؛ بخلاف أهل البدع الذين يكفِّر بعضهم بعضاً لأدنى اختلاف، ويكفرون أهل الاتِّباع والحق والسنة.

أما خصائص الطائفة المنصورة؛ فكانت:

١ ـ أنها ملتزمة بالحق، مستقيمة على الدين الصحيح، سائرة على السنة.

٢ ـ أنها قائمة بأمر الله، وذٰلك بنشر السنة، والأمر بالمعروف، والنهي

عن المنكر، والجهاد.

٣ ـ أنها مجدِّدة للأمة ما اندرس من أمر دينِها.

٤ ـ أنهـا ظاهـرة إلى قيام الساعة بكل معاني الظهور، فهي ظاهرة غير مستترة، ثابتة على دينِها ومنهجها، غالبة بالحجة والبرهان، منصورة على العدو ـ في غالب الأحيان ـ وإن صاحب ذٰلك لأواء، وإن تخلَّلته هزيمة عارضة.

٥ ـ أنهـا صابرة على الحق الذي التزمته واعتصمت به، لا يضرُّها مَن كادها، ولا مَن خالفها، ولا مَن ناوأها، حتى يأتي أمر الله، وهم على ذٰلك.

وبتـأمُّـل هٰذه الخصائص يبدو أن الخاصيَّة الأولى داخلة في خصائص الفـرقة الناجية، ولذٰلك؛ فالطائفة المنصورة هي من الفرقة الناجية بلا شك، وهٰذا مما لا يحتاج إلى بيان.

أما بقيَّة الخصائص؛ فقد وردت معانيها في أحاديث الطائفة المنصورة مقـرونـة بوصفها بالمنصورة أو الظاهرة؛ كما تقدَّم، وبين هٰذه الصفات وبين النصر والظهور علاقة وثيقة، إذ هي صفات متعدِّية، تتعلق بالدعوة، ومقارعة الظالمين، وقتال الكافرين، وحرب المبتدعين.

وهم في معركتهم تلك محتاجون إلى النصر، والظهور، والتأييد.

ولا شكَّ أن للفرقة الناجية من ذٰلك قدرٌ يحقِّق لها وصف (النجاة)؛ كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

﴿فَلَمَّـا نَسُـوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنا الَّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأَخَذْنَا الَّذينَ ظَلَموا بعَذابٍ بَئيسٍ بِما كَانُوا يَفْسُقونَ﴾[1].

---

(١) الأعراف: ١٦٥.

فالنَّجاة من نصيب الآمرين الناهين.

وقد يكون من بينهم مَن لا يطيق شيئاً من ذٰلك، فيؤثر العزلة والسلامة، فهو حينئذٍ ناجٍ وليس بمنصور.

ولٰكن ثمَّت فرقٌ كبيرٌ بين أن يكون للفرد أو الفئة قدرٌ من الصفة، وبين أن تكون هٰذه الصفة هي حاله، وشأنه، وأبرز خصيصةٍ له، وهو فيها فارسُ الميدان.

ولـذٰلـك؛ فإن من الـظاهـر أن الطائفة المنصورة هي طائفة من الفرقة الناجية، ولا يلزم أن تكون جميعها.

وممـا يؤكِّـد هٰذا أَنَّ ذِكْـر الفـرقة الناجية جاء بمناسبة ذكر افتراق الأمة واختلافها في دينِها، ولهٰذا؛ فالغالب ـ في أوصافهم ـ ذكر السلامة من البدع، والاستقامة على السنن، وتجنُّب الأهواء، وإن لم يكونوا بمعزل عن الدعوة، ونشر السنة، والأمر والنهي.

أمـا ذكـر الـطائفة المنصورة؛ فقد اقترن به الحديث عن القتال، وقهر الأعداء، ومواجهة المكذِّبين والمخالفين والمناوئين.

واقترن به ذكر القيام لحفظ الدين، وحمايته؛ بلفظ المبالغة: (قوَّامة).

واقترن به ذكر اللأواء ـ وهي الجهد والمشقة ـ التي يجدها المجاهد في طريقه.

واقترن به ذكر الجهاد، وبقائه، واستمراره إلى قيام الساعة ـ إلى أن يأتي أمر الله ـ، وحتى يقاتل آخر هٰذه الطائفة المسيح الدَّجَّال.

واقترن به ذكر الخيل التي عُقِد في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهي

رمزٌ للجهاد في سبيل الله، ولا يعني هٰذا أن الحديث ليس على الحقيقة، بل إنه يدلُّ بظاهره ـ مع هٰذا ـ على أن الناس سيعودون إلى الحرب بالسلاح القديم، ويحتاجون في حربهم إلى الخيل، وإلى ما شاكلها من الوسائل، وأن الملاحم الكبرى التي تسبق الساعة إنما تكون بالسيوف والخيول ونحوها؛ كما في حديث أبي هريرة وغيره في ذكر الملاحم[1].

كما اقترن به ذكر الأقوام الذين يُزيغ الله قلوبهم، فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم.

وهٰذا يبيِّنُ أنَّ ثمَّتَ فرقاً بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وأن الطائفة المنصورة تأخذ بالجد والعزيمة، في حين تأخذ بقيَّة الفرقة الناجية بالرخصة، وأن الطائفة المنصورة تقوم بفروض الكفاية؛ في الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وإقامة الحجة على العالَمين،

---

(١) سبق تخريج حديث أبي هريرة، وفيه: «فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان...» الحديث.

ـ وفي حديث ابن مسعود عند مسلم وغيره ـ أيضاً ـ في ذكر الملحمة الكبرى، وفيه بعد ذكر الصريخ: «فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة».

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ».

ـ مسلم: **٥٢** ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة، **١١** ـ باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، برقم (٣٧)، (٤ / ٢٢٢٣).

ـ ولا شك أن الأصل في هٰذه العبارات الحقيقة، وهٰكذا فهمها المخاطبون؛ لأن هذه معانيها في اللغة التي يعرفونها، والتي نزل بها القرآن، وجاء بها الشرع.

ونقلها عن حقيقتها إلى معنى مجازي هو خلاف الأصل.

وحينئذ لا يكون من اشتغل بغير هٰذه الفروض، من التعبُّد، أو طلب الحلال، أو غير ذٰلك، مقصِّراً ملوماً؛ إلا حين يُحتاج إليه في مؤازرة تلك الطائفة ودعمِها، ولكنَّه لا يكون من هٰذه الطائفة؛ لأن كلمة (طائفة) تدلُّ بمعناها اللغوي على أن هٰذه الفئة أطافت بشيء واجتمعت حوله، وما هٰذا الشيء إلا القوامة على الحق، والسهر على حفظه وحمايته، والذب عنه، إذ إن تعليق أحكامها على وصف معيَّن لا بدَّ أن يكون مراداً مقصوداً، والرسول - ﷺ - لم يصفهم بالنجاة فحسب، بل لم يرد وصفهم بالنجاة ألبتة في أحاديث الطائفة المنصورة السابقة، وإنما وُصِفوا بذٰلك في أحاديث الفرقة الناجية.

أما في أحاديث الطائفة المنصورة؛ فوُصِفوا بوصف أعلى من ذلك، وهو وصفُ الظُّهور، والنصر، والغلبة، والثبات، وملازمة الحق، والقتال دونه، وما أشبه ذٰلك.

فهم (بعض) الفرقة الناجية من المتحمِّسين للدعوة على بصيرة الباذلين حياتهم وأوقاتهم في سبيل الله، الصابرين على ما يلقونه من الأذى في هٰذا الطريق.

ومن أعظم البراهين والأدلة على ذٰلك أن كل مسلم من أول الدنيا إلى قيام الساعة واجبٌ عليه شرعاً أن يكون من (الفرقة الناجية)، محرَّم عليه شرعاً أن يتَّبِعَ الأهواء المتفرِّقة، والشيع الضالَّة المنحرفة، وهٰذا أمرٌ لا شكَّ فيه.

وليس كذٰلك الأمر بالنسبة للطائفة المنصورة، إذ إنها (طائفة) من الأمة تدوم على القيام بفروض الكفاية؛ من الأمر، والنهي، والجهاد، ونشر العلم والسنة، وهٰذه من فروض الكفايات التي قد يقوم بها (طائفة)، فتسقط عن الباقين.

ويظهر هذا وهذا جلياً عند تأمُّل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولاَ تَموتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمونَ . واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْواناً . وكُنْتُمْ عَلى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحونَ﴾(1).

فبعد الأمر بتقوى الله وملازمة طاعته، ذَكَرَ الخصائص التي يلزم كل مسلم التحقُّق بها، ويكون مَن خرج عنها أو أخلَّ بها خارجاً عن مسمَّى الفرقة الناجية، ولو كان باقياً على الإسلام، وهي الاعتصام بحبل الله، والتمسُّك بشريعته، وملازمة جماعة المسلمين، وترك التفرُّق، والاجتماع على العقيدة التي ألَّف الله بها بين قلوب المؤمنين، فأصبحوا بنعمته إخواناً، والتي أنقذهم بها من النار.

وجاءت الأوامر السابقة كلها خطاباً للأمة كافة: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا . . .﴾، والمقصود كل فرد من هٰذه الأمة، فلا بد له من التزام ذٰلك؛ ليكون من المسلمين، ومن الفرقة الناجية.

ثم ثنَّى بذكر بعض الخصائص المتعلِّقة بالطائفة المنصورة، فتغيَّر أسلوب الخطاب من مخاطبة الكافَّة بما يجب على كل فردٍ منهم، إلى مخاطبتهم بما يجب أن يقوم به (أمة) أو (طائفة)، فقال: ﴿ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ . . .﴾.

فبيَّن أنَّ الواجب أن يوجد في المسلمين (أمة) يتولَّون مهمة الدعوة، والأمر، والنهي، ووعَدَ هٰؤلاء بالفلاح، الذي هو حصول المطلوب، والنجاة من المرهوب، في العاجل والآجل.

---

(1) آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٤.

وقد جاء عن الضَّحَّاك[1] في تفسير المراد بالأمة في هٰذه الآية أنه قال:

«هم خاصة أصحاب رسول الله، وهم خاصة الرواة»[2].

وقد بوَّب البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه»:

«باب: قول الله تعالى: ﴿وكَذٰلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾، وما أمر النبي ـ ﷺ ـ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم»[3].

قال الحافظ ابن حجر في شرح هٰذه الترجمة:

«والوسط: العدل... لأن أهل الجهل ليسوا عُدولاً، وكذٰلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور: أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي، ومَن سواهم، ولو نسب إلى العلم؛ فهي نسبة صورية، لا حقيقية»[4].

وقد ساق البخاري ـ رحمه الله ـ هٰذه الآية ﴿وكذٰلك جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ في كتاب «خلق أفعال العباد»، ثم قال:

«هم الطائفة التي قال النبي ـ ﷺ ـ: لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم مَن خذلهم»[5].

---

(١) ابن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني، المفسر، المؤدِّب، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير، وثقه أحمد، وابن معين، وأبو زرعة، وضعفه يحيى القطان، وابن عدي، توفي سنة (١٠٥هـ).

«الميزان» (٢ / ٣٢٥)، و«طبقات المفسرين للداودي» (١ / ٢٢٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٤ / ٣٨).

(٣) «صحيح البخاري» (٨ / ١٥٦).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٣١٦).

(٥) «خلق أفعال العباد» (ص ٤٢).

وكأن هٰذه الأقوال تومىء إلى أن الصحابة ـ وهم أفضل هٰذه الأمة ـ قد استجمعوا الفضل من أطرافه، فصاروا (مثلاً) لكل خير، أما بعدهم؛ فإن الفضائل تفرَّقت في أصناف شتى من هٰذه الأمة، وصار خلفاء الصحابة فيهم هم القائمون بحمل العلم الشرعي؛ من رواية الحديث، والسنة، وحفظها على الأمة، وكذٰلك القائمون بالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحوهم؛ ممن يحفظ مصالح المسلمين العامة، ويتعاهدها، ويتصدى لها.

فالأمة الوسط الشاهدة على الناس، هم الجماعة الذين يجب اتِّباعهم، وهم أهل العلم، وهم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة، وهم خاصة أصحاب محمد ـ ﷺ ـ، ثم من سار على دربهم، والتزم ما كانوا عليه: اعتقاداً، وقولاً، وفعلاً، وهم (أمة) من الأمة؛ كما يومىء إليه كلام الأئمة.

فبان بهٰذا أن يجب أن يوجد (من) المسلمين جماعة أو طائفة تتولى القيام على قضايا الأمة ـ عامة ـ، وتقوم فيها بفرض الكفاية، وهٰذه الطائفة هي (الطائفة المنصورة)، ونصرها معنى من معاني (الفلاح) الذي وعدها الله به.

والفرقة الناجية، بل المسلمون كافة، يجب أن يكونوا عوناً لهٰذه الطائفة في أداء مهمَّتها، والقيام بواجبها؛ لأنها تتحمَّل عنهم مسؤولية ضخمة تنوء بحملها الجبال الراسيات.

وبهٰذا يتَّضح الفرق بين (الفرقة الناجية) و(الطائفة المنصورة)، وأن الطائفة المنصورة (جزء) من الفرقة الناجية، ولا يلزم أن تكون جميعها.

وقد يمكن أن يكون هٰذا الجزء (الطائفة المنصورة) ليس أفضل من غيره من (أجزاء) الفرقة الناجية من كل وجه، بل هو أفضل في تحقيق النصرة لهٰذا الدين، والقيام بالحق، ولو كان مفضولاً في جوانب أخرى، فقد يكون في الفرقة

الناجية من آثار العزلة للتعبُّد والتنسُّك، وظنَّ هٰذا فرضه، فصار أفضل في هٰذا الجانب، ولكنه مفضولٌ في الجانب الأهم المتعلق بإصلاح الأمة.

وقد كان جمع من الصحابة والتابعين يعدُّون معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ ومن معه من أهل الشام هم الطائفة المنصورة؛ لأنهم بالشام، ولأن النصر تحقَّق لهم، فصاروا منصورين، وصارت الدولة بأيديهم، وحقق الله بهم للدين فتحاً عظيماً.

وقد قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ: «وإني لأرجو أن تكونوا هم ـ يا أهل الشام ـ»[1].

وعقَّب مالك بن يخامر على رواية معاوية للحديث ـ وهو يخطب ـ بقوله: «سمعتُ معاذاً يقول: وهم بالشام»[2]؛ يعني: أهل تلك الطائفة.

وهٰذا يدل على أنه يرى الرأي نفسه.

وهٰذا ممكن، وإن كان عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«يكون في أمَّتي فرقتان، فيخرج من بينهما مارقةٌ يلي قتلهم أولاهم بالحق»[3].

---

(١) سبق مراراً.

(٢) سبق مراراً.

(٣) رواه مسلم في: ١٢ ـ كتاب الزكاة، ٤٧ ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٥١)، وبرقم (١٤٩ و١٥٠ و١٥٢ و١٥٣)، (٢ / ٧٤٥).

ـ وأبو داود في: ٣٤ ـ كتاب السنة، ١٣ ـ باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، برقم (٤٦٦٧)، (٥ / ٥٠).

ولكن ليس ثمَّت ما يمنع أن يكون النصر حليف فئة من الفرقة الناجية؛ لأنها أجمع لخصائص النصر، وأقدر على حفظ الدولة، أو لأي حكمة أخرى يعلمها الله، ولو كانت هٰذه الفئة مفضولة في الجملة، ويوجد من هو أقرب إلى الحق منها من بعض الوجوه.

يقول الشيخ الإمام ابن تيمية في الجمع بين نصوص تفضيل أهل الشام وبين نصوص تفضيل علي ـ رضي الله عنه ـ ومن معه:

«أما قوله ـ ﷺ ـ: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين» . . . ونحو ذٰلك مما يدلُّ على ظهور أهل الشام وانتصارهم؛ فهٰكذا وقع، وهٰذا هو الأمر؛ فإنهم ما زالوا ظاهرين منتصرين.

وأما قوله عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمَّتي قائمة بأمر الله . . . »، ومَن هو ظاهر؛ فلا يُقْتَضى ألا يكون فيهم مَن فيه بغيٌ، ومَن غيرُه أولى بالحق منهم، بل فيهم هٰذا وهٰذا.

وأما قوله: «تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»؛ فهٰذا دليل على أن عليّاً ومن معه كان أولى بالحق إذ ذاك من الطائفة الأخرى، وإذا كان الشخص أو الطائفة مرجوحاً في بعض الأحوال؛ لم يمنع أن يكون قائماً بأمر الله، وأن يكون ظاهراً بالقيام بأمر الله عن طاعة الله ورسوله، وقد يكون الفعل طاعة، وغيره أطوع منه.

وأما كون بعضهم باغياً في بعض الأوقات، مع كون بغيه خطأً مغفوراً، أو ذنباً مغفوراً؛ فهٰذا ـ أيضاً ـ لا يمنع ما شهدت به النصوص، وذٰلك أن النبي ـ ﷺ ـ أخبر عن جملة أهل الشام وعظمتهم، ولا ريب أن جملتهم كانوا أرجح في عموم الأحوال . . . »[1].

(١) «الفتاوى» (٤ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، وانظر ما قبلها وما بعدها.

وبهٰذا يظهر أن الطائفة المنصورة ليست اسماً مرادفاً ـ باستمرار ـ للفرقة الناجية، بل إن مسمى الفرقة الناجية أعمُّ وأوسع، والداخلون فيه أكثر.

والأصـــل ـ والله أعلم ـ أن الـطائفـة المنصـورة أولى بالحق من جملة الوجوه، وإنما ينصر الله من ينصره.

ولكن؛ قد يوجد في الناس من الجهل، والظلم، والهوى، ما يجعل ولاية الأكمل عليهم متعذرة، أو شبه متعذرة؛ لبعد ما بينهم وبينه، فيكون من حفظ الله لدينه، وأمته، وسنة نبيه: أن يولي عليهم من يكون أقدر على سياستهم، وجمع كلمتهم، وإن لـم يكـن هو الأكمل من جميع الوجوه، لكنه هو الملائم لحالهم.

○○○○○

وبهـذا التقـرير تتَّضـح علاقـة هٰذه المسمَّيات الثـلاثة بعضها ببعض: الغرباء، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة[1].

○○○○○

وهٰكذا يتَّضح أن الخيرية تنحصر في ثلاث دوائر بعضها أضيق من بعض:

● فالدائرة الواسعة دائرة الإسلام، التي تشمل كل من نطق بالشهادتين، وأقام الصلاة، ولـم يأت مكفِّراً يُحْكَمُ له بموجبه بالخروج من الملة، مهما ارتكب من المعاصي، ومهما تلبَّس به من البدع.

وأهل هٰذه الدائرة هم أهل الجنة الذين يدخلونها، وإن عُذِّبوا بما اقترفوا

---

(١) وقد سبق الحديث عن غربة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فيما مضى.

من المعاصي، أو وقعوا فيه من البدع.

ومَن لم يكن من أهلها؛ فالجنَّة عليه حرام:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ﴾(١).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٢).

وقال ﷺ - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى -: «يا إبراهيمُ! إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين»(٣).

وقال - ﷺ -: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ»(٤).

● والدائرة الثانية: دائرة الفرقة الناجية داخل الأمة المسلمة، وهي تشمل من سلموا من مقارفة البدع الغليظة التي يخرجون بها عن السَّمْت والهدي الأول الذي كان عليه النبي - ﷺ - وأصحابه، وسلموا من الارتكاس في الشهوات المهلكة المردية التي يخرجون فيها عن دائرة العدالة والاستقامة إلى دائرة الفسق والانحراف، بحيث يجتمعون على ذلك، ويوالون فيه، ويعادون فيه، بل ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين.

● والدائرة الثالثة، وهي أضيق الدوائر، هي دائرة الطائفة المنصورة داخل الفرقة الناجية، والتي حملت على كاهلها عبء الذَّود عن الحياض، وحماية البيضة، ورفع راية الحق، والقتال دونها.

وهؤلاء هم خير الأمة، وأفضلها، وأثقلها حملاً، وأعظمها منزلة، وبهم

---

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

يندفع عنها العذاب والنقم، وبزوالهم ينتهي الإسلام، وتقوم الساعة؛ كما سبق تفصيله.

ooooo

وهذا ينسجم مع القسمة الثلاثية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ومِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سَابِقٌ بالخَيْراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذٰلكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبيرُ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلونَها يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤْلُؤاً ولِبَاسُهُمْ فِيها حَريرٌ . وقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغفورٌ شَكُورٌ . الَّذي أَحَلَّنَا دَارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنَا فيها لُغُوبٌ﴾[1].

قال ابن عباس: «هم أمة محمد ـ ﷺ ـ، ورَّثهم الله كل كتابٍ أُنزل، فظالمهم مغفورٌ له، ومقتصدهم يحاسَب حساباً يسيراً، وسابِقُهم يدخل الجنة بغير حساب»[2].

وجاء نحو ذٰلك عن عائشة، وابن مسعود، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، والبراء بن عازب، وكعب الأحبار، وعبيد بن عمير، وغيرهم من علماء الصحابة والتابعين[3].

فالظالم لنفسه يدخل فيه المسرف بالمعاصي كما يدخل فيه المبتدع الذي لم تخرجه بدعته عن دائرة الإسلام.

---

(١) فاطر: ٣٢ ـ ٣٥.

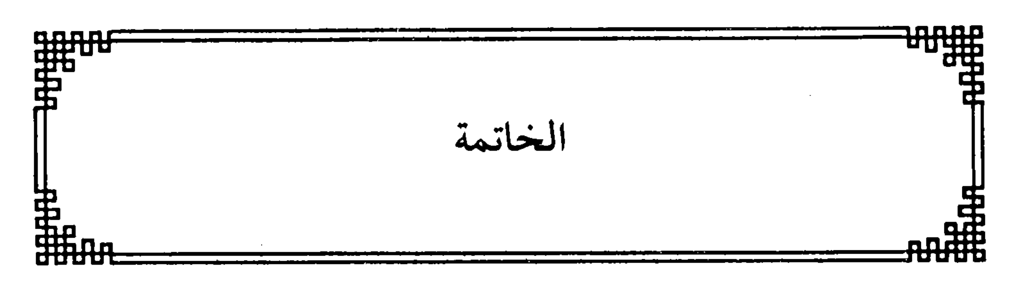
(٢) رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي. وانظر: «الدر المنثور» (٧ / ٢٣).

(٣) انظر تفصيل رواياتهم في «الدرّ المنثور»، الموضع السابق.

والمقتصد هو الملتزم بالنهج المجانب للبدعة والمعصية؛ دون أن يكون له مزيد فضل؛ بجهاد، أو إصلاح، أو كلمة حق عند سلطان جائر.

والسابق بالخيرات هو المشمِّر للخير؛ دعوة، وبذلاً، واحتساباً، ومصابرةً، ومرابطةً. . . وذلك هو الفضل الكبير.

○○○○○



الخاتمة

وفي نهاية هٰذا المطاف أرجو أن يكون اتَّضح في ذهن القارىء الكريم عدد من النتائج المهمَّة، والتي تتلخَّص فيما يلي:

أولاً: ثبوت حديث الفرقة الناجية، ومعرفة أهم خصائصها، وأي الطوائف الإسلامية تستحق أن توصف بذٰلك؟

ثانياً: ثبوت حديث الطائفة المنصورة، بل وتواتره، ومعرفة خصائص هٰذه الطائفة، ومهمّاتها.

ثالثاً: التمييز بين (الفرقة الناجية)، و(الطائفة المنصورة)، وأن بين الاسمين تغاير من بعض الوجوه.

فالفرقة الناجية هي المجانبة لأهل الزيغ والبدع، الملتزمة بالسمت الأول الذي كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه، وقد يكون من بين أفرادها عامةٌ لا نصيب لهم يُذْكَر في العلم، ومشتغلون بالدنيا في طلب الرزق الحلال لهم ولمن تحت أيديهم، وقد يكون من بين أفرادها قومٌ ظنُّوا أنَّ العزلة في حقهم أولى، فاعتزلوا المجتمع؛ لا يأمرون، ولا ينهون، ولا يقارِعون الباطل باجتهادهم.

أما الطائفة المنصورة؛ فإنما وصفت بـ (المنصورة) لأنها المجاهدة،

وهٰذه من أخص خصائصها: أنها تنازل المنكر، والبدعة، والكفر، والانحراف ـ بجميع صوره وأشكاله ـ، وتحاربه، فهي المرابطة على الثغور، القائمة بفروض الكفايات الكبرى عن هٰذه الأمة.

فهي أقل عدداً، ولكنها أقوى عدةً، وأعظم بلاءً ونفعاً، وأنكى في العدو.

وتقف الفرقة الناجية في دائرتها الواسعة، ثم الأمة المسلمة كلها في إطارها الكبير، ردءاً للطائفة المنصورة، وعوناً لها.

وهٰذا يبيِّن أهمِّية ظهور هٰذه الطائفة؛ لئلا يلتبس أمرها على الناس، فربما استطاع العدو أن يشوِّه صورتها، ويحول بين الأمة وبينها، حتى ترتدَّ رماح الأمة إلى صدورها، وهٰذا مع الأسف يحدث كثيراً.

فمن أعظم ميادين جهاد هٰذه الطائفة: العمل على الالتحام بهٰذه الأمة، والتواصل معها، ورعاية مصالحها العامة ـ كما سيجيء تفصيلاً إن شاء الله ـ في الرسالة الثالثة، وفي موضوعي (الجهاد)، و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

رابعاً: أن وصف (الغربة) يشمل ثلاث دوائر:

● الأولى: الدائرة الكبرى، دائرة المسلمين، فهم غرباء بين أمم الأرض الكافرة، التي لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا تحرِّم ما حرَّم الله ورسوله، ولا تدين دين الحق.

● الثانية: دائرة أضيق منها، دائرة الفرقة الناجية، فهي غريبة في وسط هٰذه الأمة التي اجتاحتها الأهواء، ولعبت بوحدتها النزعات والنزغات، فصارت كما قيل:

وتَــفَــرَّقُــوا شِيَعــاً فَكُــلُّ قَبِــيلَةٍ

فِيهــا أَمِــيْرُ الــمُــؤمِــنِــينَ ومِــنْــبَــرُ

● الثالثة: وهي أضيق الدوائر، غربة الطائفة المنصورة، وهي فئة قليلة بالقياس إلى الأمة، بل وحتى بالقياس إلى (الفرقة الناجية).

جعلنا الله جميعاً من المسلمين الناجين المنصورين بمنّه وكرمه.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

○○○○○

الفهرس

ooooo

صدر الإذن بطبع هذا الكتاب من
المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام
برقم ١٢١٣ وتاريخ ١٤١١/٤/١٧ هـ

